الجامعة الإسلامية ـ غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم تفسير القرآن وعلومه

سورة الفاتحة

دراسة موضوعية

إعداد

الطالب/ بسام رضوان شحادة عليان

إشراف

الدكتور/ عبد السلام حمدان عودة اللوح

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تفسير القرآن وعلومه، من كلية أصول الدِّين في الجامعة الإسلامية بغزة.

العام الجامعي

1429 هـ ـ 2008 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿بِسْـــمِ اللهِ الـــرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴿1﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَـٰـــلَمِينَ﴿2﴾

الرَّحْمٰـــنِ الرَّحِيمِ﴿3﴾ مَـــلِكِ يَوْمِ

الدِّينِ ﴿4﴾ إِيَّاكَ نَعْبُـــدُ وإِيَّـــاكَ

نَسْتَعِينُ ﴿5﴾ اهْـــدِنَا الـــصِّرَٰطَ

المُستَقِيـــمَ﴿6﴾ صِـــرَٰطَ الَّـــذِينَ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْـــرِ الْمَغْـــضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّـــالِّينَ ﴿7﴾ ﴾

سورة الفاتحة

شكر وتقدير

امتثالاً لقوله تعالى:﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ** ﴾(1) ، واقتداءً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" **من لا يشكر الناس لا يشكر الله**"(2)، فإني أولاً أحمد الله العظيم، حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً أن مَنَّ عليّ بإتمام هذه الرسالة، ويسَّرها لي، فالحمد كلّه له _ تعالى وحده...

وأتقدَّم بالشكر والعرفان إلى أستاذي وشيخي القدير الدكتور عبد السلام حمدان اللوح _حفظه الله_ الذي تكرَّم بالموافقة على الإشراف على هذه الرسالة، والذي لم يَأْلُ جهداً في توجيهاته الطيّبة، وملاحظاته المفيدة، ونصائحه البنَّاءة، وصبره الكبير على أسئلتي... ولقد استفدت من هذه الملاحظات والتوجيهات فوائد جمّة، حتى تمَّت هذه الرسالة على هذا الوجه.. داعياً الله _تعالى _أن يجزيه عنّي أفضل الجزاء، وأعظم الثواب، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين .

كما وأقدِّم عظيم شكري وتقديري لأستاذيَّ العزيزين، عضويّ لجنة المناقشة، اللذَين تلطَّفا بقبول مناقشة هذه الرسالة، لإبداء الملاحظات التي تزيدها حسناً وكمالاً، وهما:

فضيلة الدكتور: عبد الرحمن يوسف الجمل _حفظه الله.

فضيلة الدكتور: عصام العبد زهد _حفظه الله.

سائلاً المولى _عزَّ وجل_ أن يجزيهما عني خير الجزاء والثواب.

كما وأقدّم شكري العميق لجميع أساتذتي في كلية أصول الدين، لِمَا لهم عليَّ من فضل التدريس والتوجيه، وقد استفدت منهم الكثير، فجزاهم الله عنّي كل خير.

كما وأشكر الجامعة الإسلامية بغزة، التي أتاحت لي الفرصة لإتمام دراستي العليا، سائلاً الله _تعالى _ أن يحفظها من كل سوء، ومن كل شرّ.

ولا يفوتني أن أقدِّم عظيم شكري للأخوة العاملين في المكتبة المركزية في الجامعة، على ما يبذلونه من جهدٍ كبير لتقديم المساعدة والتسهيلات لطلاب العلم، فجزاهم الله عنّي كل خير.

كما وأتقدَّم بالشكر والعرفان لوزارة الأوقاف والشئون الدينية، وأخصُّ بالذكر دائرة تحفيظ القرآن الكريم، وعلى رأسهم مدير الدائرة الأخ الشيخ: زياد عليّان أبو مساعد، والأخوة الأفاضل: الشيخ: جمال الدهشان، والأستاذ: مأمون محمد سليمان، والأستاذ: عدنان عابد، على ما قدَّموه لي من تسهيلات وإعانة أثناء دراستي، وإعدادي للرسالة.

---

(1) سورة البقرة – الآية(152).

(2) سنن الترمذي –كتاب البر والصلة(24) – باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك(35) – ج4 – ص111– حديث(1954)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

كما أكرر شكري وتقديري لجميع مَنْ نصحني وأعانني، داعياً الله _سبحانه_ أن يجزيهم عنّي أفضل الجزاء، وأخصُّ بالذكر:

وَالِديَّ الحبيبين اللذين شجعاني على طلب العلم، وغرسا حبَّ الدين في قلبي، وربّياني تربية إيمانية، وأغدقا عليَّ من حنانهما وعطفهما ورعايتهما.. سائلاً الله _تعالى _ أن يبارك في عمرهما في طاعة الله تعالى.

كما وأشكر أَخَويَّ الغاليين: أبا رضوان وأبا وليد، اللذين قدَّما لي يد العون، ماديّاً ومعنويّاً، فجزاهما الله عني كلّ خير، وحفظهما من كل سوء وشر.

كما وأشكر أختي العزيزة أم أمين _حفظها الله_ التي شجعتني على طلب العلم الشرعي، فجزاها الله عنّي خير الجزاء.

ولا أنسى زوجتي الحبيبة (أم أسامة) التي سهرت الليالي، وتحمّلتني الكثير في سبيل إنجاز هذه الرسالة، فجزاها الله عني كل خير.

كما لا يفوتني أن أقدّم صادق شكري وتقديري لإخواني وأصحابي الأعزاء، وأخصُّ بالذكر، الأخوة: الأستاذ: أشرف الشوّا، والشيخ: عبد الحكيم مطر، والشيخ: محمود جعفر، على ما قدّموه لي من مساعدة وعون، فبارك الله فيهم، وجزاهم الله عنّي كل خير.

وأخيراً: فالشكر إلى كلّ من كان سبباً في دراستي ورسالتي حتى وصلت إلى هذا اليوم المشهود.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد المرسلين، وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد...

فإن الله سبحانه وتعالى قد منَّ على هذه الأمة بأن أرسل إليها محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً وبشيراً، وأراد من هذه الأمة أن تتبع هذا الرسول صلى الله عليه وسلم في كل خطوة يخطوها، وفي كل نهج ينهجه؛ لأنه تعالى لم يبعث إليها هذا الرسول صلى الله عليه وسلم إلاَّ ليخرجها من ظلام الشرك، وظلام الجهل الذي كان مخيماً آنذاك، إلى نور التوحيد والإيمان، وإلى عبادة من يستحق العبادة وهو الله تعالى .

من أجل ذلك جاء النبي صلى الله عليه وسلم ومعه شريعة منهجية، ستظل خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، متمثلةً بالمنهاج الرباني، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولا بد من تدبر كتاب الله تعالى: تلاوةً ودراسةً وحفظاً وتطبيقاً؛ للنجاة من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة، ولمعالجة أمراضنا، وإعزاز ديننا الحنيف .

لذلك كان أشرف عمل يشتغل به الإنسان، وأعظم جهد يقوم به، هو تدبر منهاج الله ودراسته وتفسيره وتطبيقه.

من أجل هذا رَغِبْتُ في أن أسلك هذا العمل الجليل، وألتحق بركبه، عسى أن ينالني شيء من الثواب العظيم عند الله عز وجل.

ولمَّا كانت سورة الفاتحة لها شأن عظيم، وفضل كبير، دفعني ذلك إلى أن أقتصر على دراستها وتفسيرها من بين سور القرآن الكريم، حيث إنها ترتبط بحياة كل مسلم ارتباطاً وثيقاً، ويحفظها كل إنسان صغيراً وكبيراً، وعالماً وجاهلاً، ونساءً ورجالاً.. وهي تعالج نواحي الخلل والأمراض المنتشرة في واقع المسلمين، وهي على قصرها ووجازتها قد تضمنت معاني القرآن الكريم كله، واشتملت على قضايا أساسية، ومعلومات غنية، حيث تناولت أمور العقيدة والعبادة والتشريع والأخلاق وغير ذلك.

فالمسلمون بحاجة ماسة إلى هذه المعاني في سورة الفاتحة؛ لتنقلهم من التيه والضياع ومن الذِّلة والهوان، إلى النجاة والفوز بالدنيا و الآخرة.

يقول تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾(3)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**"(4) .

لذا كان موضوع بحثي ودراستي هو: (سورة الفاتحة دراسة موضوعية).

وفي الختام أتوجه بقلبي إلى الله خاشعاً ضارعاً أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، غنياً برحمته وعفوه. فما أصبت فيه من شيء فلا فضل لي فيه، إذ الفضل كله لله وحده، لا اله إلا هو وحده لا شريك له، وما أخطات فيه فإني أستغفر الله منه، وأتوب إليه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أسباب اختيار الموضوع :

1- عظمة ومكانة هذه السورة من بين سور القرآن الكريم . حيث إنها ترتبط بحياة كل مسلم ارتباطاً وثيقاً. ويحفظها كل إنسان صغيراً وكبيراً..

2- بيان الفوائد العظيمة و القواعد الإيمانية التي اشتملت عليها السورة.

3- عظمة ما تناولته السورة من موضوعات عظيمة، تعالج نواحي الخلل والأمراض المنتشرة في واقع المسلمين. حيث تضمنت معاني القرآن كله، واشتملت على قضايا أساسية، ومعلومات غنية.حيث تناولت أمور العقيدة والعبادة والتشريع والواقع وغير ذلك.

4- دراسة هذه السورة دراسة موضوعية محكَّمة؛ لبيان مقاصدها وموضوعاتها المختلفة .

الدراسات السابقة :

بعد البحث والاطلاع على ما كتب حول سورة الفاتحة في العديد من المكتبات، والمواقع الإلكترونية، وخاصة موقع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، لم أعثر على أية رسالة علمية تناولت هذه السورة كدراسة موضوعية مستقلة متخصصة و محكمة، لكنني وقفت على كتابين بعنوان :

1- (أم القرآن والسبع المثاني) للشيخ إبراهيم أحمد شلبي .

وبعد اطلاعي على موضوعاته وجدت أنه يختلف في تناوله للمواضيع عما أردت البحث فيه، حيث إن غالب موضوعاته فقهية، يتناول فيها المؤلف المسائل الفقهية المتعلقة بسورة

---

(1) سورة الحجر- الآية (87) .

(2) مسند أحمد – ج 8 – ص 387 – حديث (8667) ، قال أحمد شاكر في تخريجه للمسند : إسناده صحيح، و سنن الترمذي – كتاب فضائل القرآن (42) – باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب (1) – ج 5- ص 5 – حديث (2875)، و قال : هذا حديث حسن صحيح .

الفاتحة إضافة إلى أنها ليست دراسة أكاديمية محكمة .

2- (أم القرآن وخير ثلاث سور أنزلت) للشيخ محمد محمود الصواف .

وهـذا الكتاب عبارة عن تفسير موجز ومختصر لسورة الفاتحة، وكذلك لثلاث سور أخرى وهي : (الصمد، والفلق، والناس) يغلب عليه الأسلوب الثقافي وليست دراسة أكاديمية محكمـة.

أما بحثي المقترح فكان تفسيراً موضوعياً لسورة الفاتحة حسب المنهج الموضوعي للسورة القرآنية ملتزماً بالمنهج العلمي الأكاديمي المتبع . بما يميز دراستي عن الدراستين السابقتين .

أهداف البحث:

1- إبراز الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة وعلاقتها مع السور التي بعدها, وعلاقتها بالسور المبدوءة بـ (الحمد لله).

2- إبراز الموضوعات الهامة التي تعرضت لها السورة؛ لبيان محورها الرئيس .

3- بيان أن هذه السورة تقدم العلاج الشافي لكثير من نواحي الخلل والانحراف والوهن في واقع المسلمين.

4- استخلاص العبر والعظات واللطائف والفوائد من هذه السورة الجليلة.

5- إثراء المكتبات الإسلامية ببحث علمي محكَّم، يتناول سورة الفاتحة من زاوية جديدة.

منهج الباحث :

سأعتمد بإذن الله تعالى المنهج التفسيري الموضوعي للسورة القرآنية، وذلك من النواحي التالية:

1- الحديث عن السورة وأسمائها وعدد آياتها و أغراضها و فضلها، والمناسبات في السورة .

2- إبراز المحور الرئيس للسورة .

3- إظهار القضايا القرآنية في السورة، وبيان المناسبة بين هذه القضايا من جهة، وبينها وبين المحور الرئيس من جهة أخرى .

4- بيان الموضوعات الهامة التي تناولتها السورة، ودراستها دراسة موضوعية والاستشهاد بالآيات والأحاديث التي تخدم كل موضوع منها.

5- الالتزام بقواعد التفسير المأثور.

6- الاعتماد على المراجع التفسيرية بالدرجة الأولى، و سوف أذكر اسم المؤلف مع الكتاب إن لم يذكر في المتن، و إن ذكر في المتن يُكتفَى به دون ذكره في الحاشية، وإن ذكر المرجع في الصفحة نفسها مرة أخرى أكتفي بذكر المؤلف مرة واحدة .

7- العمل بالضوابط التي وضعها العلماء للتفسير بالرأي المحمود .

8- عزو الآيات المستشهد بها إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية .

9- تخريج الأحاديث الواردة في البحث، وعزوها إلى مصادرها وذلك حسب ضوابط وأصول التخريج، ونقل أقوال العلماء في الحكم على الأحاديث في غير الصحيحين إن أمكن .

10- توضيح معاني المفردات اللغوية التي تحتاج إلى بيان في الحاشية .

11- الترجمة للشخصيات والأعلام والبلدان غير المعروفة .

12- عزو الأقوال المقتبسة إلى أصحابها، وذلك في مواضع الاقتباس، وتوثيقها حسب الأصول .

13- إعداد مجموعة من الفهارس العلمية، و هي كما يلي :

أ – فهرس للآيات القرآنية حسب ترتيبها في القرآن .

ب- فهرس للأحاديث الشريفة .

ج – فهرس للأعلام المترجَم لهم، وسأعتمد على ما اشتهر به، سواء أكان اسماً أم كنية أم لقباً .

د – ثبت بالمصادر والمراجع .

هـ – فهرس للموضوعات.

خطة البحث:

وتشتمل الخطة على مقدمة و ثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة : وفيها أسباب اختيار الموضوع والدراسات السابقة وأهداف البحث ومنهج الباحث.

الفصل الأول

وقفات حول السورة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: بين يدي السورة

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة.

المطلب الثاني: عدد آيات السورة وزمن نزولها.

المطلب الثالث: أغراض السورة ومحتوياتها.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي للسورة.

المطلب الخامس: فضل السورة.

المطلب السادس: ما قيل في سبب نزول السورة والظروف التي نزلت فيها.

المبحث الثاني: المناسبات في سورة الفاتحة.

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: تعريف بعلم المناسبات وأهميته .

المطلب الثاني : مناسبة سورة الفاتحة مع سورة البقرة.

المطلب الثالث: مناسبة آيات سورة الفاتحة مع بعضها البعض.

المطلب الرابع: علاقة السورة بالسور المفتتحة بالحمد لله.

المطلب الخامس: علاقة السورة بالمقاصد العامة للقرآن الكريم .

الفصل الثاني

التفسير الموضوعي لسورة الفاتحة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التفسير الموضوعي وألوانه وبيان أهميته.

المبحث الثاني: المحور الرئيس و القضايا الفرعية في السورة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المحور الرئيس في السورة وهو (تقرير العبودية لله تعالى).

المطلب الثاني: القضايا الفرعية في السورة وعلاقتها بمحور السورة الرئيس :

القضية الأولى: التوحيد وعلاقته بمحور السورة .

القضية الثانية: الشريعة وعلاقتها بمحور السورة .

القضية الثالثة: الأخلاق وعلاقتها بمحور السورة .

القضية الرابعة: بيان أحوال الأمم وعلاقته بمحور السورة .

المبحث الثالث: أهم الموضوعات التي تناولتها السورة.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول : حمد الله تعالى على آلائه.

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: آية الحمد في السورة .

الفرع الثاني: حقيقة الحمد لله تعالى وفضله .

الفرع الثالث: الفرق بين الحمد والشكر والمدح في المعنى .

المطلب الثاني :أدلة التوحيد في السورة.

وفيه أربعة فروع :

الفرع الأول: تعريف التوحيد لغةً واصطلاحاً .

الفرع الثاني: أنواع التوحيد كما تعرضه السورة .

الفرع الثالث: بعض صور الانحراف عن التوحيد .

الفرع الرابع: أهمية أنواع التوحيد الثلاثة .

المطلب الثالث : الإيمان بيوم الدين.

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: حقيقة يوم الدين.

الفرع الثاني: أهمية وفضل الإيمان بيوم الدين.

الفرع الثالث: أسماء يوم الدين.

الفرع الرابع: بعض القضايا التي تتعلق بـــ (يوم الدين) .

المطلب الرابع : عبادة الله والاستعانة به.

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: حقيقة العبادة والاستعانة.

الفرع الثاني: منزلة العبادة والاستعانة في الإسلام .

الفرع الثالث: مجالات العبادة في الإسلام .

الفرع الرابع: بعض القضايا التي تتعلق بالعبادة والاستعانة .

المطلب الخامس: هداية الله للإنسان .

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: حقيقة الهداية ومعناها في سورة الفاتحة.

الفرع الثاني: بعض القضايا التي تتعلق بالهداية .

الفرع الثالث: أسباب الهداية التي وهبها الله للإنسان .

المطلب السادس: الاعتصام والتمسك بالصراط المستقيم.

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تعريف الصراط المستقيم و حقيقته .

الفرع الثاني: أهمية الاهتداء إلى الصراط المستقيم.

الفرع الثالث: بيان من أنعم الله عليهم وفضل إتباعهم.

الفصل الثالث

القواعد والمسائل والفوائد العامة المستنبطة من السورة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: القواعد الإيمانية في هذه السورة .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: إخلاص النية لله تعالى .

المطلب الثاني: الدعاء وحسن التوجه إلى الله تعالى.

المطلب الثالث: بناء الأمة المسلمة الواحدة على الصراط المستقيم .

المطلب الرابع: التحذير من إتباع طريق اليهود والنصارى .

المبحث الثاني: المسائل الفقهية العامة المستنبطة من سورة الفاتحة.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: المسائل الفقهية المتعلقة بالبسملة فقط .

المطلب الثاني: المسائل الفقهية المتعلقة بالسورة كلها .

المبحث الثالث: الفوائد واللطائف العامة المستنبطة من سورة الفاتحة.

وفيه تسعة مطالب :

المطلب الأول: الفوائد واللطائف من البسملة .

المطلب الثاني:الفوائد واللطائف من الحمد لله رب العالمين .

المطلب الثالث: الفوائد واللطائف من الرحمن الرحيم .

المطلب الرابع: الفوائد واللطائف من مالك يوم الدين .

المطلب الخامس:الفوائد واللطائف من إياك نعبد وإياك نستعين .

المطلب السادس: الفوائد واللطائف من اهدنا الصراط المستقيم .

المطلب السابع: الفوائد واللطائف من صراط الذين أنعمت عليهم .

المطلب الثامن: الفوائد واللطائف من غير المغضوب عليهم و لا الضالين.

المطلب التاسع:الفوائد واللطائف الإعجازية في السورة .

الخاتمة

وفيها خلاصة البحث و أهم النتائج .

الفصل الأول

وقفات حول السورة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: بين يدي السورة.

المبحث الثاني: المناسبات في سورة الفاتحة.

المبحث الأول

بين يدي السورة

لمّا كانت سورة الفاتحة من أفضل وأعظم سور القرآن الكريم كان لا بد من التعرّف عليها من خلال أسمائها وعدد آياتها, وبيان وقت نزولها وأغراضها وفضلها، والظروف التي نزلت فيها.

وبناء على ذلك قسّمتُ هذا المبحث إلى ستة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة.

المطلب الثاني: عدد آيات السورة وزمن نزولها.

المطلب الثالث:أغراض السورة ومحتوياتها.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي للسورة.

المطلب الخامس: فضل السورة.

المطلب السادس: ما قيل في سبب نزول السورة, و الظروف التي نزلت فيها .

المطلب الأول

أسماء السورة

سورة الفاتحة لها أسماء كثيرة ذكرها العلماء في كتبهم منهم الإمام الرازي والقرطبي والسيوطي وغيرهم، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمّى .

ونظراً لشهرة هذه السورة بالفاتحة , لذا يحسن أن نتعرض لمعنى هذا الاسم بالذات .

الفاتحة في اللغة: " مشتقة من الفَتح وهو نقيض الإغلاق، فتَحَه يَفتحُه فَتحاً وافتَتَحه وفَتَّحَه فانفَتَحَ وتَفَتحَ . وفاتحة الشيء أوّله.. وفواتح القرآن: أوائل السور, الواحدة فاتحة . وأم الكتاب يقال لها :فاتحة القرآن " (1) .

قال الراغب (2): "فتح إزالة الإغلاق والإشكال...وفاتحة كل شيء مَبدَؤُه الذي يُفتَحُ به مابعده، وبه سُمّي فاتحة الكتاب "(3) .

والفاتحة اسم على وزن (فاعلة)، تطلق على أول كل شيء فيه تدريج ، والتاء إما للتأنيث، أو للنقل من الوصفية إلى الإسمية، وليست تاء المبالغة(4).

وقال ابن عاشور: "الفاتحة وَصفٌ وُصِفَ به مبدأ القرآن وعومل معاملة الأسماء الجنسية "(5) .

وبالنظر إلى هذه الأسماء يجد الباحث أنها تنقسم إلى قسمين:

أسماء توقيفية, وأسماء اجتهادية.

أولاً:الأسماء التوقيفية:

فقد ذكر الإمام ابن عاشور أنه لم يثبت في السنة الصحيحة والمأثور من أسمائها إلا فاتحة الكتاب أو السبع المثاني، وأم القرآن أو أم الكتاب (6) .

وبالنظر إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وجد الباحث اسماً آخر، إضافة إلى ما ذكره الإمام ابن عاشور وهو القرآن العظيم.

---

(1) لسان العرب – لابن منظور –ج2–ص 536–539(باختصار).

(2) الراغب : هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب ، أديب من الحكماء العلماء . توفي سنة 502 هـ . انظر :(الأعلام)– للزركلي – ج 2 – ص 255 .

(3) مفردات ألفاظ القرآن– ص 370.

(4) انظر: الكليات – لأبي البقاء الكفوي – ص 694، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – لأبي السعود – ج 1 – ص 6 .

(5) التحرير و التنوير – م 1– ج 1– ص 132.

(6) المرجع السابق نفسه – م 1 –ج – 1 ص 131 .

1- فاتحة الكتاب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يخـــــرج فينادي أن : " **لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب فما زاد** " (1) .

وسُميت بذلك: لأنه يفتتح بها في المصاحف والتعليم، والقراءة في الـصلاة، وقيـل: لأنهـا أول سورة نزلت من السماء، وقيل: لأنها أول سورة كتبت في اللوح المحفوظ، وقيـل: لأن الحمـد فاتحة كل كلام (2) .

2- السبع المثاني:

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾ (3) .

وعن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أنه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم أم القرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا فـي الإنجيـل ولا فـي الزبور ولا في الفرقان مثلها، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**"(4).

وفي سبب تسميتها بالسبع: فلأنها سبع آيات.وأما سبب تسميتها بالمثاني فوجوه:

- لأنها مستثناة من سائر الكتب السماوية، كما جاء في الحديث السابق.
- وقيل: لأنها تُقرأ في الصلاة، ثم إنها تثنى بسورة أخري.
- وقيل: لأنها تُثنَّى في كل ركعة.
- وقيل: لأن الله أنزلها مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة.
- و قيل : لأنها كلما قرأ العبدُ منها آية ثناه الله بالإخبار عن فعله .
- و قيل : لأنها اجتمع فيها فصاحة المثاني ، و بلاغة المعاني (5) .
- وقيل : " لأنها استُثنيت لهذه الأمة ، فلم تنزل على أحد قبلها ذُخراً لها "(6).

3- أم القرآن أو أم الكتاب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله وعليه وسلم قال: " **من صلى صلاةً**

---

(1) مسند أحمد – ج 9 – ص 237 – حديث (9496)، قال حمزة الزين في تخريجـه للمسند : إسناده حسن .

(2) انظر:التفسير الكبير–للرازي – م 1 – ج1 – ص 144، و الجامع لأحكام القرآن – للقـرطبي – ج1–ص 111 ، والإتقان في علوم القرآن – للسيوطي – م1 – ج1–ص174 .

(3) سورة الحجر – الآية (87).

(4) سنن الترمـذي –كتاب فضـائل القرآن (42) – باب ما جاء في فضل فاتحـة الكتاب (1) –ج 5 – ص 5 – حديث (2875) – وقال عنه : هذا حديث صحيح .

(5) انظـر : التفسير الكبير – م 1–ج 1– ص 146 ؛ و الإتقان في علـوم القـرآن – م 1 –ج 1 – ص 175 .

(6) الجامع لأحكام القرآن – ج 1– ص 112.

لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج – ثلاثاً – غير تمام"(1) .

وسبب تسميتها بذلك فيه وجوه:

أ- إن أم الشيء أصله، والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة. الإلهيات، المعاد، النبوات، إثبات القضاء والقدر لله تعالى، فهذه السورة اشتملت على هذه الأمور الأربعة، ولما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه الأمور الأربعة لُقبت هذه السورة بأم القرآن لاشتمالها على هذه الأمور الأربعة، فهي أصل القرآن.

ب- "روي عن أبي بكر بن دريد (2) أنه قال: الأم في كلام العرب الراية التي ينصبها العسكر، فسميت هذه السورة بأم القرآن: لأن مفزع أهل الإيمان إلى هذه السورة كما أن مفزع العسكر إلى الراية" (3) .

ج- قال الماوردي(4):" سميت بذلك لتقدمها وتأخر ما سواها تبعاً لها،صارت أُمّاً لأنها أَمَّتهُ، أي: تقدمته ،وكذلك قيل لراية الحرب: أُم، لتقدمها واتباع الجيش لها. ويقال لما مضى على الإنسان من سِنِي عمره أُم لتقدمها، ولمكة أم القرى لتقدمها على سائر القرى؛ولأن الأرض منها دُحيت وعنها حَدثت،فصارت أُمّاً لها لحدوثها عنها كحدوث الولد عن أمّه "(5) .

د- وقيل: سميت بذلك، لأنها أفضل السور، كما يقال لرئيس القوم: أم القوم.

هـ- وقيل: لأن حرمتها كحرمة القرآن كله.

ز- وقيل: لأنها محكمة والمحكمات أم الكتاب "(6) .

---

(1) صحيح مسلم – كتاب الصلاة (4) – باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (11) – ج 1 – ص 190 –حديث (395) .

(2) أبو بكر بن دريد : هو أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي من أزد عُمان من قحطان، من أئمة اللغة والأدب . قالوا عنه : أشعر العلماء، وأعلم الشعراء، له مؤلفات كثيرة منها : (الجمهرة – أدب الكاتب)، ولد في البصرة سنة – 223 هـ، و توفي سنة 321 هـ . انظر (معجم الأدباء) –كامل الجبوري – ج 5 – ص 216 .

(3) التفسير الكبير – للرازي – م 1–ج 1– ص 144 – 146 .

(4) الماوردي : هو أبو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، شيخ الشافعية، عالم في الأصول و الفروع، و التفسير و الأحكام . له تصانيف كثيرة، توفي سنة 450 هـ . انظر : (البداية و النهاية) – لابن كثير – ج 12 – ص 78 .

(5) النكت و العيون – ج 1– ص 46 .

(6) انظر : الإتقان في علوم القرآن– للسيوطي – م 1 – ج 1 – ص 174 ، 175 .

أمّا أم الكتاب، ففي هذا الاسم خلاف ، جـوّزه الجمهـــور وكرهه أنـس والحـسن (1) وابـن سيرين (2) ؛ لأنّ أمّ الكتاب هو اللوح المحفوظ . قـال تعـالى: ﴿...**وَعِنـدَهُ أُمُّ الْكِتَـابِ** ﴾(3). والصحيح أنه يجوز تسميتها بأم الكتاب، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صـلى الله عليه وسلم أنه قال :" **الحمد لله أم القرآن وأمّ الكتاب والسبع المثاني**" (4) .

4- **القرآن العظيم :**

كما جاء في الحديث السابق : "**.... هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**"(5) .

"سُميت بذلك: لتضمنها جميع علوم القرآن، وذلك أنها تشتمل على الثناء على الله تعالى بأوصاف كماله وجلاله، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها، والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانته تعالى، وعلى الإبتهال إليه فـي الهدايـة إلـى الـصراط المـستقيم وبيانـه عاقبـة الجاحدين"(6).

ثانياً : الأسماء الاجتهادية للسورة :

هناك عدة أسماء اجتهادية ذكرها العلماء نذكر منها:

1- **سورة الحمد:**" سميت بذلك؛ لأن أولها لفظ الحمد.

2- **الوافية:** كان سفيان بن عيينة(7) رضي الله عنه يسميها بهذا الاسم.

قال الثعلبي (8): "وتفسيرها أنها لا تقبل التنصيف، ألا ترى أن كل سورة من القرآن لو قـرئ

---

(1) الحسن البصري : يكنى أبا سعيد ، هو الحسن بن أبي الحسن البصري الأنصاري ، ثقة فقيـه فاضـل مشهور، زاهد ورع ، توفى سنة 110هـ . انظر:(صفوة الصفوة)- لابن الجوزي – ج2 – ص137 .

(2) ابن سيرين: هو أبو بكر محمد بن سيرين الأنصاري، مولى أنس بن مالك، كان ثقة عابداً كبير القدر، أسند الحديث عن ابن عمر وابن عباس وانس... توفي سنة 104هـ . انظر: (صفوة الصفوة) – ج 2- ص 142 .

(3) سورة الرعد – الآية (39) .

(4) سنن الترمذي – كتاب تفسير القرآن (44) – بـاب ومن سورة الحجر (16) – ج 5 – ص 141 – حديث (3124) – وقال عنه : هذا حديث حسن صحيح .

(5) سبق تخريجه – ص4 .

(6) الجامع لأحكام القرآن- للقرطبي –ج 1 – ص 112.

(7) سفيان بن عيينة : هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الكوفي ثم المكي، ثقة حافظ، فقيـه إمـام حجة، ولد سنة 107هـ، وتوفي سنة 198هـ . انظر: (صفوة الصفوة) – ج 1 – ص 425.

(8) الثعلبي : هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، كان حافظاً و اعظاً مفسراً مقرئاً . له مؤلفات عدة، منها :(الكشف و البيان عن تفسير القرآن) . توفي سنة 427هـ . انظر : (البداية و النهاية) –لابن كثير – ج 12- ص 38 .

نصفها في ركعة والنصف الثاني في ركعة أخرى لجاز، وهذا التنصيف غير جائز في هذه السورة "(1).

3- **الكافية:** سميت بذلك؛ لأنها تكفي عن غيرها، وأما غيرها فلا يكفي عنها، روي عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **أم القرآن عوض من غيرها، وليس غيرها عوضاً منها**"(2).

4- **الصلاة:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: " **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين...**"(3). والمراد هذه السورة.

قيل: لأنها من لوازمها، فهو من باب تسمية الشيء باسم لازمه.

وقيل: لأن الصلاة لا تصحّ إلا بها.

5- **سورة الدعاء:** لاشتمالها على قوله تعالى: ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾.

6- **السؤال:** عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يقول الرب عز وجل : " **من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**"(4). وقد فعل الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك حيث قال: ﴿ **الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ**﴾(5). إلى أن قال : ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ (6) . ففي سورة الفاتحة- أيضاً- وقعت البداءة بالثناء عليه سبحانه وتعالي وهو قوله: ﴿ **الْحَمْدُ للّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ . ثم ذكر العبودية وهو قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ . ثم وقع الختم على طلب الهداية وهو قولة تعالى: ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** ﴾ . وهذا يدل على أن أكمل المطالب هو الهداية في الدين .

7- **الأساس:** وفي سبب تسميتها بذلك وجوه:

أ- إنها أول سورة من القرآن الكريم فهي كالأساس.

---

(1) التفسير الكبير – للرازي – م1- ج 1 – ص 146.

(2) المستدرك على الصحيحين – للحاكم – ج1 – ص 363- حديث (867) ، قال الحاكم : قد اتفق الشيخان على إخراج هذا الحديث عن الزهري من أوجه مختلفة بغير هذا اللفظ ، و رواة هذا الحديث أكثرهم أئمة، وكلهم ثقات على شرطهما ، ووافقه الذهبي .

(3) صحيح مسلم – كتاب الصلاة (4) – باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (11) – ج1 – ص 190- حديث (395) .

(4) سنن الترمذي – كتاب فضائل القرآن (42) –باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه و سلم (23) –ج 5–ص 29- حديث (2926) – وقال عنه : هذا حديث حسن غريب .

(5) سورة الشعراء – الآية (78) .

(6) سورة الشعراء – الآية (83) .

ب- إنها مشتملة على أشرف المطالب وذلك هو الأساس.

ج- إن أشرف العبادات بعد الإيمان هو الصلاة، وهذه السورة مشتملة على كل ما لابد منه في الإيمان، والصلاة لا تتم إلا بها .

8- **سورة الشكر:** وذلك لأنها ثناء على الله بالفضل والكرم والإحسان.

9- **الشفاء:** لأنها إذا قُرئت على المريض فإنها تشفيه بأمر الله (1) .

10- **الرقية:** ثبت ذلك من حديث أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه وفيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذي رقى سيد الحي: "**وما كان يدريه أنها رُقية،اقسموا واضربوا لي بسهم** "(2) . ذكره ابن كثير في تفسيره (3) .

11- " **سورة المناجاة:** لأن العبد يناجى فيها ربّه بقوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾.

12- **سورة تعليم المسألة:**قيل: لأن فيها آداب السؤال؛ لأنها بدئت بالثناء قبله.

13- **سورة التفويض:** لاشتمالها على التفويض في قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾"(4) .

14- **سورة الكنز:** ذكره الإمام الزمخشري في تفسيره (5) . سميت بذلك؛ لأنها تشتمل على كنوز عظيمة من العلوم و المعاني .

15- **سورة النور:** " لظهورها بكثرة استعمالها أو لتنويرها القلوب لجلالة قدرها، أو لأنها لما اشتملت عليه من المعاني عبارة عن النور بمعنى القرآن."(6) .

هذا ما وقف عليه الباحث من أسماء هذه السورة سواء التوقيفية أم الاجتهادية.

---

(1) التفسير الكبير -للرازي - م 1 - ج 1 -ص 144 - 147 (بتصرف) .

(2) صحيح البخاري - كتاب فضائل القرآن (66)- باب فضل فاتحة الكتاب (9) - ص 1069- حديث (5007) ، و صحيح مسلم - كتاب السلام (39) - باب جواز أخذ الأجر على الرقية بالقرآن و الأذكار (23) - ج 4 - ص 1111 -حديث (2201) .

(3) تفسير القرآن العظيم -ج 1 -ص 8 .

(4) الإتقان في علوم القرآن- للسيوطي - م 1 - ج 1 -ص 176 ، 177 .

(5) انظر : الكشاف- ج 1 - ص 11.

(6) روح المعاني - للألوسي - ج 1 - ص 38 .

المطلب الثاني

عدد آيات السورة وزمن نزولها

أولاً:عدد آيات السورة :

لقد اهتمّ سلف هذه الأمة رضوان الله عليهم ببيان عدد آي القرآن الكريم وحروفه، ويرجع ذلك إلى شدة حرصهم على المحافظة على القرآن الكريم، ونقل علومه التي تعلموها من النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روي أنهم أحبّوا عدّ الآي في صلاتهم، وشغفوا بعقد أصابعهم فيها لأجل ترغيب النبي صلى الله عليه وسلم وحضّه إياهم على تحصيل ثواب عدد خاص من الآيات في الصلاة، وتعيين هذا العدد سبباً للفوز بثواب الله الكثير، فعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :"**من قرأ في ليلة خمسين آية لم يُكتب من الغافلين** "(1) .

من أجل ذلك حرص كثير من الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم على عقد أصابعهم في الصلاة؛ لمعرفة عدد ما يقرءون فيها رغبة منهم في نيل ذلك الأجر الموعود والفوز بهذا الثواب العظيم، ولن يتيسّر ذلك إلا بمعرفة عدد الآي "(2) .

واختلف العلماء في عدّ الآيات هل هو توقيفي أم اجتهادي؟ و خلاصة القول في ذلك أن المشهور عن عدّ الآيات أنه ثابت بالتوقيف . ثم اختلف هل دخله الاجتهاد أو لا ؟

فذهب فريق من العلماء أنه كله ثابت بالتوقيف لا مجال للقياس والاجتهاد فيه، وحجتهم في ذلك:

أ- ورود أشباه للفواصل و لم تعد بالإجماع .

ب- اعتبار بعض فواتح السور آيات دون بعضها مع وجود المشابهة .

ج- وجود آيات قصار في السور الطوال، و آيات طوال في السور القصار.

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أن هذا العلم بعضه توقيفي و بعضه اجتهادي، على معنى أن هناك آيات توقيفية قاس عليها العلماء غيرها مما لم يثبت فيه شيء عن النبي صلى الله عليه و سلم (3) . و يميل الباحث إلى هذا الرأي . و الله أعلم .

ولقد أجمع علماء العدّ على أن سورة الفاتحة سبع آيات، لورود النص بذلك في الكتاب والسنة: قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾ (4) .

---

(1) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد – كتاب الصلاة (4) – باب كم يقرأ في الليل (70) – ج 2 –ص 454 – حديث (3616) ، وقال : رواه الطبراني الكبير ، و رجاله ثقات .

(2) مذكرة :التبيان في عد آي القرآن في علم الفواصل– د.عبد الرحمن الجمل– ص 2.

(3) انظر : المرجع السابق نفسه – ص 8 .

(4) سورة الحجر – الآية (87) .

وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنّه عدّها سبع آيات. كما جاء في حديث أبي سعيد بن المُعَلَّى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "**لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال : (الحمد لله رب العالمين)، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتــه**"(1) .

فهذا الحديث يدل على أن الفاتحة سبع آيات. إلا إنهم اختلفوا في تحديد الآيــات الــسبعة على ما يلي:

عَدَّ المكّي والكوفي البسملة آية من الفاتحة وقالوا: إن قوله: ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيــرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾. آية تامة. وذهب إلى ذلك الشافعية. أما المــدنيان والبــصري والشامي لم يعدُّوا البسملة آية من الفاتحة، وقالوا: إن قوله: ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمــتَ عَلَــيهِمْ** ﴾ آية، وقوله: ﴿ **غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾آية أخرى (2) . وذهب إلى ذلك الأحناف.

ويرجع اختلاف العلماء في هذا العد إلى ما حفظوه وتلقوه عن الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول د.فضل عباس : " كان الرسول صلى الله وعليه وسلم يقف في قراءته غالباً عنــد رؤوس الآي، وكان الصحابة – رضي الله عنهم – يتعلمون منه، وبهــذا عرفــوا رؤوس الآي، ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يقف أحياناً على غير رأس الآي لبيان الجواز، فيحــسب بعــض الصحابة – ممن لم يسمعوا النبي صلى الله عليه وسلم وقف على رأس الآي ســابقاً – أن هــذه الكلمة التي وقف عليها النبي صلى الله عليه وسلم هــي رأس الآي، هــــذا هــــو الــسبب الرئيس، وهناك سبب آخر أشار إليه الزركشي في البرهان، وهو اختلاف العلماء في عدّ " بــسم الله الرحمن الرحيم" حيث اختلفوا فيها أهي آية أم ليست آية. وهذا السبب لا يعمّ كل ما وقع فيــه خلاف "(3) .

ثانياً: زمن نزول السورة:

قبل الحديث عن زمن نزول هذه السورة، هناك ثلاث اصطلاحات لمعرفة المكّي والمدني لا بــد أن نتعرّف عليها مع بيان الراجح منها وذلك فيما يلي:

أولاً: إنّ المكّي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة.

ثانياً: إن المكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن كان بمكة. وهو الراجح.

---

(1) صحيح البخاري –كتاب التفسير (65) – باب ما جاء في فاتحة الكتاب (1) – ص 923 – حديث (4474).

(2) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن – للشيخ عبد العظيم الزرقاني – ج1 – ص 270 ، و مذكرة التبيان في عد آي القرآن في علم الفواصل – د . عبد الرحمن الجمل– ص 11 .

(3) إتقان البرهان في علوم القرآن – د . فضل حسن عباس – ج 1 – ص 435 .

ثالثاً: إن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة (1).

وبالنظر إلى سورة الفاتحة يجد الباحث أن العلماء اختلفوا هل هي مكية أم مدنية؟

فقال أكثر العلماء إنها سورة مكية، وقال بعض العلماء منهم أبو هريرة ومجاهد(2) والزهري(3) وغيرهم: إنها سورة مدنية. وقيل: إن نصفها نزل بمكة، ونصفها الآخر بالمدينة. وهذا ضعيف.

وقيل: إنها نزلت مرتين: مرة بمكة حين فُرضت الصلاة، ومرة بالمدينة حين حُوّلت القبلة، فهي مكية مدنية(4).

ويرى الباحث أن الرأي الراجح، أن سورة الفاتحة سورة مكية نزلت قبل الهجرة في مكة، وذلك لقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾ . وسورة الحجر مكية بإجماع، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة ليلة الإسراء، وما حُفظ أنه كان في الإسلام قط صلاة بغير الفاتحة (5) .

وقال كثير من العلماء: إنها أول سورة نزلت، والصحيح أنه نزل قبلها " اقرأ باسم ربك الذي خلق" وسورة المدثر ثم الفاتحة، وقيل: نزل قبلها أيضاً "ن والقلم" وسورة المزمل، وقال بعضهم: هي أول سورة نزلت كاملة أي غير منجمة، بخلاف سورة " القلم".

وقد عُدت السورة الخامسة في ترتيب نزول السور (6) .

قال الزركشي :"وطريق الجمع بين الأقاويل أن أول ما نزل من الآيات ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ...** ﴾(7). ، و أول ما نزل من أوامر التبليغ ﴿**يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾ (8)، وأول ما نزل من السور كاملةً سورة الفاتحة "(9). وتُعدّ السورة الأولى حسب ترتيب المصحف التوقيفي.

---

(1) انظر : البرهان في علوم القرآن – للزركشي – ج 1 – ص 187 .

(2) مجاهد بن جبير:هو أبو الحجاج مجاهد بن جبير المكي القرشي المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، أحد أئمة التابعين والمفسرين، كان من أخصّاء أصحاب ابن عباس، وكان أعلم أهل زمانه بالتفسير . توفي وهو ساجد سنة 104هـ . انظر : (البداية و النهاية) – لابن كثير – م 5 – ج 9 – ص212.

(3) ابن شهاب الزهري:هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي، فقيه حافظ متقن ، من أفقه أهل المدينة .أَسْنَدَ عن ابن عمرو أنس بن مالك ،و سهل بن سعد و غيرهم ...و لد سنة 58هـ، و توفي سنة 124هـ ، انظر : (صفوة الصفوة) – لابن الجوزي – ج 1 – ص 376 .

(4) انظر : الإتقان في علوم القرآن – للسيوطي – م 1 – ج 1 – ص 55–57 ، و البرهان في علوم القرآن – ج 1 – ص 194 .

(5) انظر : الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج1– ص115.

(6) انظر : التحرير والتنوير – لابن عاشور – م1– ج1 – ص135، 136.

(7) سورة العلق – الآية (1) .

(8) سورة المدثر – الآية (1) .

(9) البرهان في علوم القرآن – ج 1 – ص 207 ، 208 .

المطلب الثالث

أغراض السورة

اشتملت هذه السورة الكريمة على أغراض عِدّة، تحدث عنها بعض المفسرين (1)، **وهـــي :**

1- حمد الله تعالى وتمجيده، والثناء عليه بذكر أسمائه الحسني المستلزمة لصفاته العليّـــة، وتنزيهـــه تعالى عن جميع النقائص، قال تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَـــنِ الرَّحِيمِ** ﴾.

2- إثبات البعث والجزاء وهو يوم الدين، قال تعالى: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾.

3- إفراده تعالى بالعبادة والاستعانة، وإخلاص العبادة له، وتوحيده بالألوهية تبارك وتعالى، وتنزيهه تعالى أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل، قال تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾.

4- التوجه إليه تعالى بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم والدين القويم، قال تعالى: ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾.

5- التضرّع إليه تعالى بتثبيتهم على الصراط المستقيم، ونهج سبيل من أنعم الله عليهم مـــن النبيـــين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يُجنّبهم تعالى اتباع طريق المغضوب عليهم والضالين، قـــال تعالى : ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾ .

6- الإخبار عن قصص الأمم السابقين؛ الأمم الصالحة والأمم الضالة و بيان حالهم. قال تعـــالى :" ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾.

7- اشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة,ليكونوا من أهلها يوم القيامة والتحذير من مـــسالك الباطل، لئلاّ يُحشروا مـــع سالكيهـــا يـــوم القيامـــة، وهم المغضوب عليهم والضالون، قال تعالى : ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾.

ويقول الشهيد سيد قطب : " إن في هذه السورة من كليات العقيـــدة الإســـلامية وكليـــات التصور الإسلامي، وكليات المشاعر والتوجهات، ما يشير إلى طرف من حكمة اختيارهـــا للتكـــرار في كل ركعة، وحكمة بطلان كل صلاة لا تذكر فيها ...."(2) .

وهكذا فقد اشتملت السورة على عدّة أغراض وأهداف سامية.

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج1– ص 30 ، والتحرير والتنوير– لابن عاشور –م1– ج1– ص133–134 ، وصفوة التفاسير– د. محمد علي الصابوني– ج1– ص24، والأساس في التفسير – لـــسعيد حوى – ج 1– ص40 .

(2) في ظلال القرآن –ج1– ص21 .

المطلب الرابع

المعنى الإجمالي للسورة:

بدأ الله تعالى هذه السورة الجليلة بحمد نفسه؛ ليعلّم عباده كيف يحمدونه ويشكرونه على نعمائه وآلائه التي لا تُحصى ولا تُعد، فهذا الإله المستحق لهذا الحمد ولهذا الثناء هو رب كل شيء ومليكه.

وهو كذلك الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، وشملت المؤمن والكافر واستوعبت الدنيا والآخرة، وهو المالك ليوم القيامة (1). هذا اليوم الذي تشيب فيه الولدان، وتنخلع فيه قلوب بني الإنسان، وهو اليوم الذي حثّنا الله سبحانه وتعالى أن نعمل له، ونستعدّ له : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ (2).

وكذلك جاءت الأحاديث تذكر وتلح، وتقرع القلوب من يوم الحساب والجزاء. فعن شداد ابن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**" (3) .

وكذلك ما يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخفف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا " (4) (5).

وما يروى عن ميمون بن مهران قال : "لا يكون العبد تقياً حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه"(6).

فالاعتقاد بهذا اليوم العظيم" كلية من كليات العقيدة الإسلامية، وأساس من أسس السعادة والنجاح للفرد و المجتمع . فالمؤمن عندما يتيقن أن هناك يوماً للجزاء والحساب يدفعه إيمانه إلى مراقبة الله، والتزام أوامره، واجتناب نواهيه"(7) .

---

(1) انظر : صفوة التفاسير – د . محمد علي الصابوني – ج 1 – ص25 .

(2) سورة الحشر – الآية (18) .

(3) سنن الترمذي – كتاب صفة يوم القيامة (34) – باب (25) – ج 4 – ص 356 – حديث (2459) – و قال عنه : هذا حديث حسن .

(4) ذكره الترمذي في سننه – ج 4 – ص 357 .

(5) انظر : تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 1 – ص 25 .

(6) ذكره الترمذي في سننه – ج 4 – ص 357 .

(7) تفسير القرآن الكريم – د . عبد الله شحاتة – ج 1 – ص 14 .

فماذا أعددنا لهذا اليوم العصيب ؟! هل أعددنا له صيام النهار وقيام الليل وإنفاق المال سرّاً وجهاراً، والرباط والجهاد، أم ماذا أعددنا ؟!.

لهذا بيّن الله لنا سبيل النجاة من هذا اليوم العصيب، وهو أن نخصه تعالى بالعبادة وحده وبالاستعانة به وحده، فالعبادة لله وحده تهب المسلمَ الأمنَ والطمأنينة، والقوة، والعزة، والطهارة والنقاء، وحسن الاتصال بالله تعالى، حتى يشعر المؤمن أنه مع الله يومه كلّه وأن الله معه، فهو في حمى الرحمن يومه وليلته، يشعر في هذا الحمى بأنه آمن مطمئن، قويّ غنيّ، طاهر نقي، فالله تعالى خلق عباده، وجعل لهم مهمة في هذه الحياة الدنيا، عليهم أن يقوموا بالوفاء بها، والنهوض إليها بعزيمة وقوة، ولا يستطيع أحد أن ينهض إلى هذه المهمة التي خلق لها ، إلا إذا أقام الأساس (الإيمان والتوحيد) ، وأوفى بالأركان الخمسة الشهادتين والشعائر.

"والمهمة التي خُلق الإنسان لها تجمل في كلمات أربع : العبادة، الأمانة، الخلافة، العمارة.

وأنّى لأحد من الخلق يمكنه الوفاء بهذه المهمة دون الوفاء بالأركان الخمسة ، وإقامة الأساس المتين الذي يقوم عليه بناء المهمة والمسؤولية ، فلا المهمة تصحّ وتصدق دون الأساس، ولا الأساس يفي بما بني لأجله دون الوفاء بالمهمة إلا من عذره الله ، هذه قضية هامة جداً تعالج خللاً كبيراً في واقع المسلمين الذين انطووا في بيوتهم لا ينهضون لمهمتهم التي خُلقوا لها ، والتي فصّلها الله حتى لا يكون عذرٌ لأحد بالتخلف عنها.الملايين من المسلمين لا يدركون خطورة هذه القضية، ولا يدركون أنهم بتخلفهم عن الوفاء بها مهّدوا السبيل لأعداء الله حتى اقتحموا الديار وأذلّوا المسلمين بما كسبت أيديهم من تهاون وآثام وانحراف"(1) .

فقوله : (إياك نعبد) أي لك اللهم نخشع و نذل ونستكين، إقراراً لك يا ربنا بالعبودية، لا لغيرك .

وقوله : (وإياك نستعين) أي كما نعبدك ولا نعبد سواك، كذلك نستعين بك، ونلجأ إليك في كل أمور حياتنا ، فالأمر كله لك، والملك كله لك، والحمد كله لك (2) . إذن لابد أن يستقر في قلب المؤمن هذا التصور عن يقين ، تثبته الآيات والأحاديث في مصاحبة منهجية للمنهاج الرباني مصاحبة عمر وحياة : ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ (3) .

وكذلك : ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ (4) .

---

(1) كيف ضيعت الأمانة التي خلقنا للوفاء بها – د . عدنان النحوي – ص 24 و ما بعدها .

(2) انظر : جامع البيان – للطبري – ج 1 – ص 103 ، 104 .

(3) سورة البقرة –الآية (186) .

(4) سورة غافر –الآية (60) .

وكذلك : ﴿**وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ (1) .

والآيات كثيرة تلح على المؤمن باللجوء إلى الله، والاستعانة به، وكما جاء في الحديث الشريف:"..... **احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز** ...."(2).

وبعد ذلك يأتي دعاء المؤمنين، دعاء الجماعة المؤمنة الواحدة خاضعين لله ضارعين إليه بأن يهديهم إلى الصراط المستقيم، وأن يثبتهم عليه . والمعنى : " دلنا على الصراط المستقيم وأرشدنا إليه، وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى أُنْسك وقُرْبك " (3) .

"هذا الصراط هو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، فهو صراط الأمة المسلمة الواحدة في الأرض، صراط الأمة التي تحمل رسالة الله إلى الناس كافة ، تحمل الخير للبشرية كلها لجميع العصور، صراط الأمة التي تدعو إلى الخير، والتي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

وليس طريق أولياء الشيطان الذين انحرفوا عن الصراط المستقيم من اليهود والنصارى ومن سلك طريقهم، وسار على نهجهم" (4) .

إن الهداية إلى هذا الصراط المستقيم هي أعظم ما يطلبه المؤمن من ربه تعالى، وهي ضمان السعادة والفوز له في الدنيا والآخرة .

---

(1) سورة إبراهيم – الآية (12) .

(2) صحيح مسلم – كتاب القدر (46) باب في الأمر بالقوة و ترك العجز و الاستعاذة بالله (8) – ج 4 – ص 1322 –حديث (2664) .

(3) الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج 1 – ص147 .

(4) هذا هو الصراط المستقيم فاتبعوه– د. عدنان النحوي– ص 15 .

المطلب الخامس

فضل السورة

جاءت الأحاديث الشريفة وأقوال العلماء تبيّن فضل سورة الفاتحة، **ومن هذه الأحاديث :**

1- روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد بن المُعَلَّى - رضي الله عنه- أنه قال : " كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجب حتى صليت، ثم أتيته، فقال : ما منعك أن تأتي ؟ فقلت يا رسول الله : إني كنت أصلي ، فقال : ألم يقل الله: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ (1) ؟ **ثم قال : لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج ، قلت له يا رسول الله : ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال : " الحمد لله رب العالمين " هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته** "(2).

2- روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال : كنا في مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحي سليم (3)، وإنّ نَفَرَنا غُيَّبٌ فهل منكم راقٍ ؟ فقام معها رجل ما كنا نَأْبِنُه(4) . برُقْيَة ، فرقاه فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبناً فلما رجع قلنا له : أكنت تحسن رقية أو ترقى ؟ قال : لا ، ما رقيتُ إلا بأمّ الكتاب، قلنا : لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي ونسأل رسول الله فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : "**وما كان يدريه أنها رقية اقسموا واضربوا لي بسهم**" (5).

3- عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **مَن صلّى صلاةً لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج - ثلاثاً- غير تمام** " (6). فسورة الفاتحة ركن عظيم من أركان الصلاة ، فالصلاة لا تصحّ إذا لم تُقرأ الفاتحة فيها على الرأي الراجح عند الجمهور .

---

(1) سورة الأنفال - الآية (24) .

(2) صحيح البخاري - كتاب التفسير (65) - باب " ما جاء في فاتحة الكتاب " (1) - ص 923 - حديث (4474) .

(3) سليم : السلم :لَدْغُ الحيّة . والسليم : اللّديغ ، يقال : سَلَمَتْهُ الحيّة أي لَدَغَتْهُ . انظر : (لسان العرب) - ج 12-ص292.

(4) نَأْبِنُهُ : الأَبْنُ : التهمة ، وما كنا نأبنه برقية أي ما كنا نعلم أنه يَرْقِي فنَعِيبه بذلك. انظر:(لسان العرب) - ج 13-ص3 .

(5) صحيح البخاري - كتاب فضائل القرآن (66) - باب " فضل فاتحة الكتاب " (9)- ص 1069-حديث (5007)، و صحيح مسلم - كتاب السلام (39) - باب " جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن و الأذكار (23)- ج 4 - ص 1111 - حديث (2201) .

(6) سبق تخريجه - ص 4 .

4- وعنه أيضاً قال : سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول : قال الله عز وجل : " **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال : " الحمد لله رب العالمين " قال الله : حمدني عبدي، وإذا قال : "الرحمن الرحيم" قال الله تعالى : أثنى عليَّ عبدي، فإذا قال : "مالك يوم الدين" قال الله تعالى : مجدني عبدي، فإذا قال : " إياك نعبد وإياك نستعين" قال الله تعالى : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال : "اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين " قال الله : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل** " (1) .

5- وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال : "**بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضاً – أي صوتاً كصوت الباب يفتح – من فوقه فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك، فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط – إلا اليوم فسلّم : وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته** " (2) .

6- عن أُبيّ بن كعب- رضي الله عنه- أنه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم أم القرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، هي السبعُ المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته** " (3).

7- وعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "**ألا أخبرك يا جابر بن عبد الله بأخير سورة في القرآن، قلت : بلى يا رسول الله – قال : اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تختمها**" (4) .

من هذه الأحاديث الشريفة يتبين فضل هذه السورة العظيمة ، فهي أفضل وأخير سورة في القرآن الكريم، لم ينزل في الكتب السماوية ولا في القرآن مثلها، فهي نورٌ أكرم اللهُ به سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم وأمّته على سائر الأنبياء والأمم جميعاً .

أمّا عن أقوال العلماء:

1- فقد رُوي عن مجاهد بن جبير أنه قال: إن إبليس – لعنه الله – رنَّ أربع رنَّات: حين

---

(1) صحيح مسلم – كتاب الصلاة (4)- باب " وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة " (11) –ج1 –ص 190 – حديث (395) .

(2) صحيح مسلم – كتاب صلاة المسافرين و قصرها (6) – باب " فضل الفاتحة و خواتيم سورة البقرة (43) – ج 1- ص 367- حديث (806) .

(3) سبق تخريجه – ص د .

(4) مسند أحمد – ج 13 – ص 429 – حديث (17528) ، قال حمزة الزين في تخريجه للمسند : إسناده حسن.، وصحيح الجامع – للألباني – ج 1 – ص 506 –حديث (2592) .

لُعــن، وحين أُهبط من الجنة، وحين بُعث محمد صلى الله عليه وسلم، وحــين أُنزلــت فاتحــة الكتاب "(1) .

2- وشكا رجل إلى الشعبي(2) وجع الخاصرة، فقال : عليك بأســاس القــرآن فاتحــــة الكتاب، سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول : لكل شيء أساس، وأساس الدنيا مكة ، لأنهــا منها دُحِيَت، وأساس السموات (عَريبا) ، وهي السماء السابعة، وأساس الأرض (عجيبــا) وهــي الأرض السابعة السفلى، وأساس الجنان (جنة عدن)، وهي سُرة الجنان(3) . عليها أُسست الجنــة وأساس النار (جهنم)، وهي الدركة السابعة السفلى عليها أسست الــدركات ، وأســاس الخلــق (آدم)، وأساس الأنبياء (نوح)، وأساس بني إسرائيل (يعقوب)، وأساس الكتب (القرآن)، وأســاس القرآن (الفاتحة)، وأساس الفاتحة (بسم الله الرحمن الرحيم)، فإذا اعتللــت أو اشــتكيت فعليــك بالفاتحة تُشْفى(4).

3- ويقول الإمام البقاعي (5):"...وهي أُمّ كل خير، وأساس كل معروف، ولا يُعتــدّ بهــا إلاّ إذا ثُنّيتْ فكانت دائمة التكرار، وهي كنزٌ لكل شيء، شافية لكل داء، كافية لكل هــمّ، وافيــة بكــل مَرَام، واقية من كل سوء، رقية لكل ملم، وهي إثبات للحمد الذي هــو الإحاطــة بــصفــات الكمال , وللشكر الذي هو تعظيم المنعِم, وهي عين الدعاء فإنه التوجّه إلــي المــدعو, وأعظــم مجامعها الصلاة " (6) .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج 1 – ص 109 .

(2) الشعبي : هو أبو عمرو عامر بن عبد الله بن شرحبيل بن عبيد الشعبي الحميري راوية من التابعين، كــان فقيهاً و شاعراً يضرب المثل بحفظه، ولد و نشأ في الكوفة سنة 19 هــ، و مات فيها فجأة سنة 103 هــ، انظر : (معجم الأدباء) – كامل الجبوري – ج 3 – ص 285 .

(3) سرة الجنان : أي الأصل، و قيل : هي أطيب موضع فيها. انظر : (لسان العرب) – لابن منظور – ج 4 – ص 358 ، 359 .

(4) الجامع لأحكام القرآن – ج1– ص113.

(5) البقاعي : هو أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، مؤرخ أديب، ولد سنة 809هــ – و توفي سنة 885هــ . أصله من البقاع في سورية، له عدة مؤلفات، منها : (أخبار الجلاد في فتح البلاد –نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) .انظر : (معجم الأدباء) – كامل الجبوري – ج 1 – ص 59 .

(6) نظم الدرر في تناسب الآيات و السور– ج 1 – ص 12 .

المطلب السادس

ما قيل في سبب نزول السورة والظروف التي نزلت فيها

أولاً : ما قيل في سبب نزول السورة :

من المُسلَّمات والبدهيات أنَّ من القرآن ما نزل ابتداءً، ومنه ما نزل عقب حادثة أو جواباً عن سؤال، وأكثر القرآن نزل ابتداءً ليعالج الأوضاع والعادات الفاسدة القائمة آنذاك، فليست كل آية لها سبب نزول، وليس كل ما ذكر من الأسباب سبباً في الحقيقة، فسبب النزول " هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدِّثةً عنه، أو مبيِّنةً لحكمه أيامَ وقوعه " (1) .

ولأسباب النزول فوائد عظيمة من أهمّها : أنه يُعِين على فهم معاني آيات القرآن وتفسيرها.

أمّا ما قيل عن سبب نزول سورة الفاتحة, فقد توهَّم بعض العلماء منهم الإمام الواحدي (2) وابن أبي شيبة (3) والبيهقي (4) حينما ظنّوا أن للسورة سبب نزول حيث أوردوا في كتبهم أن سبب نزول سورة الفاتحة ما رُوي عن أبي ميسرة **أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان إذا برز سمع منادياً يناديه يا محمد فإذا سمع الصوت انطلق هارباً فقال له ورقة بن نوفل :إذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع ما يقول لك قال : فلما برز سمع النداء يا محمد فقال : لبّيك قال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم قال : قل الحمد لله رب العالمين, الرحمن الرحيم , مالك يوم الدين حتى فرغ من فاتحة الكتاب** " (5) .

ويرى الباحث أن الإمام الواحدي وغيره قد وقعوا في الخطأ حينما ذكروا هذا الخبر بأنه سبب نزول سورة الفاتحة, فالصحيح أن هذا الخبر ليس سبب نزول؛ لأنه لا ينطبق عليه

---

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن – للشيخ عبد العظيم الزرقاني – ج 1 – ص 89 .

(2) الواحدي هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري ، و لد في نيسابور ، و توفي فيها سنة 468هـ ، مفسِّر ، عالم بالأدب ، له عدة مصنفات، منها : (أسباب النزول – شرح الأسماء الحسنى) . انظر : (معجم الأدباء) – كامل الجبوري – ج 4 – ص 240 .

(3) ابن أبي شيبة: هو أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي . حافظ محدث، روى عن ابن المبارك و ابن عيينة وغيرهما، و روى عنه البخاري و مسلم و أبو داود وغيرهم... و لد سنة 159هـ ، و توفي سنة 235هـ . انظر: (سير أعلام النبلاء) – للذهبي – ج 11 – ص 122 .

(4) البيهقي: هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، صاحب شعب الإيمان ، و السنن الكبرى ، و دلائل النبوة . ولد سنة 428هـ ، و توفي سنة 507هـ . انظر: (سير أعلام النبلاء) – للذهبي –ج 19 – ص 314 .

(5) أسباب النزول – للإمام الواحدي – ص 14 . قال أبو بكر بن العربي :هذا الخبر منقطع، ذكره الزركشي في البرهان – ج 1 – ص 207 .

تعريف سبب النزول الذي ذكره العلماء, فهو ليس حادثة وقعت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل بشأنها قرآن، وليس سؤالاً أو استفساراً وُجِّه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وجاءت الآيات مجيبة عنها .. و إنما هو توطئة و تهيئة بين يدي نزول السورة . وقد وجدتُ أن الإمام السيوطي لم يُورد في كتابه " لباب النقول في أسباب النزول" شيئاً عن الفاتحة؛ لأنه لا سبب لنزولها .

ثانياً : الظروف التي نزلت فيها السورة :

سورة الفاتحة نزلت قبل الهجرة في مكة على رأي أكثر العلماء، وهي السورة الخامسة حسب ترتيب النزول كما بيّن الباحث لذا فهي تعالج ما تعالجه السور المكية من قضايا العقيدة والتوحيد ، والتربية والأخلاق وغير ذلك...

فالسورة نزلت في المرحلة الأولى من مراحل الدعوة الإسلامية وهي مرحلة الدعوة سراً.

وبالرجوع إلى كتب التاريخ والسير نستطيع أن نتعرف على الظروف والأجواء التي امتازت بها هذه المرحلة.

يقول د. محمد سعيد البوطي متحدثاً عن أجواء هذه المرحلة : " بدأ النبي صلى الله عليه وسلم يستجيب لأمر الله ، فأخذ يدعو إلى عبادة الله وحده ونبذ الأصنام ، ولكنه كان يدعو إلى ذلك سرّاً حذراً من وقع المفاجأة على قريش التي كانت متعصّبة لِشِركها ووثنيتها، فلم يكن عليه الصلاة والسلام يُظهِر الدعوة في المجالس العمومية لقريش ، ولم يكن يدعو إلا من كانت تشده إليه قرابة أو معرفة سابقة. وكان في أوائل من دخل الإسلام من هؤلاء : خديجة رضي الله عنها، وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة وأبو بكر الصديق وعثمان بن عفان وغيرهم ....." (1) .

"وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه بالتزام الحيطة والحذر والتخفي وعدم الإعلان عن الإسلام إلى أن يقضي الله أمره . فكانوا إذا أرادوا الصلاة خرجوا فرادى إلى الشعاب والبرية يصلُّون على حذر ولهم عيون ترى القادم لتنبيه المصلّين عليه فلا يُؤخذوا على غرة، ويظهر أمرهم للناس ....."(2) .

وقد ذكرت كتب التاريخ والسير أن عدد المسلمين في هذه المرحلة كان ما يقارب أربعين رجلاً وامرأة، معظمهم من الفقراء والأرقّاء والمستضعفين، وقد اختار لهم الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم ليرشدهم ويعلّمهم فيها تعاليم الإسلام.

فسورة الفاتحة وغيرها من السور المكية نزلت في وقت كان المسلمون في قلّة من العدد، وضيق

---

(1) فقه السيرة – ص 68 .

(2) دراسة في السيرة – د. عماد الدين خليل –ص 63 .

مـــن العيش والراحـــة، وكانوا ضعفاء مستضعفين قد أصابهم مـــن مـــشركي قـــــريش الأذى الشديد ،والتعذيب الرهيب، والسخرية والاستهزاء، وغير ذلك...

أنـــزل الله تعالى هذه السورة وغيرها وقد كانت مكة مليئـــة بالعقائـــد الباطلـــة، والتـــصوّرات المنحرفة، والعادات السيئة، من شرك بـــالله، وعبـــــادة الملائكـــــة، وعبـــــادة الأصنـــــــام والتماثيل، وعبادة الجن، وإنكار البعث، وإنتشار الزنا وشرب الخمر، والقتل وغير ذلك ...

فنزلت سورة الفاتحة وأمثالها لتعالج أصـــحاب هـــذه العقائـــد الباطلـــة، وتـــصحح تـــصوراتهم ومعتقداتهم، ولتغرس في نفوس المسلمين العقيدة السليمة، والأخلاق الحسنة، والتربية السليمة ... " وكـــانت الآيات وقطع السور التي تنزل في هذا الزمان آيات قصيرة، ذات فواصـــل رائعـــة منيعة، وإيقاعات هادئة خلاّبة تتناسق مع ذلك الجو الهامس الرقيق، تشتمل على تحسين تزكيـــة النفوس، وتقبيح تلويثها برغائم الدنيا، تصف الجنة والنار كأنهما رأي عين، تسير بالمؤمنين فـــي جوّ آخر غير الذي فيه المجتمع البشري آنذاك "(1) .

(1) الرحيق المختوم – الشيخ صفي الرحمن المباركفوري – ص 74 .

المبحث الثاني

المناسبات في سورة الفاتحة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف بعلم المناسبات وأهميته.

المطلب الثاني: مناسبة سورة الفاتحة مع سورة البقرة.

المطلب الثالث: مناسبة آيات سورة الفاتحة مع بعضها البعض.

المطلب الرابع: علاقة السورة بالسور المفتتحة بالحمد لله .

المطلب الخامس: علاقة السورة بالمقاصد العامة للقرآن الكريم.

المطلب الأول

تعريف بعلم المناسبات وأهميته

أولاً: تعريف علم المناسبات:

المناسبة في اللغة: المقاربة، والمشاركة، وفلانٌ يناسب فلاناً، فهو نسيبه أي قريبه، وبينهما مُناسَبة أي مشاكلة(1). والنَّسَبُ: القرابة نَسَبَهُ يَنْسُبُهُ ويَنْسِبُهُ نسباً (2) . وناسب فلاناً: شركه في نسبه وشاكله (3) .

"**والمناسبة في الاصطلاح:** هي الرابطة بين الشيئين بأي وجه من الوجوه.

وفي كتاب الله تعني: ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها .

وفي الآيات تعني: وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وبعدها"(4). سواء كان هذا الربط عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك...(5) .

ويعتبر الإمام أبو بكر النيسابوري(6) أول مَنْ أَظهر علم المناسبة في بغداد وكان يلوم على علماء بغداد لجهلهم وجوه المناسبة. ومن المكثرين في المناسبات بين الآيات الإمام الرازي في تفسيره. وقد أفرده بالتصنيف أبو جعفر بن الزبير الأندلسي(7) في كتابه: "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن" ... ومن أوسع المراجع في هذا العلم كتاب :" نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" لبرهان الدين البقاعي. وألَّفَ الإمام السيوطي كتاباً في المناسبات :" تناسق الدرر في تناسب السور". ومن العلماء المعاصرين الذين اهتمُّوا به الشيخ عبد الله الغماري(8)، وكتب كتاباً: "جواهر البيان في تناسب سور القرآن " .

---

(1) مختار الصحاح – لأبي بكر الرازي – ص352 .

(2) لسان العرب – لابن منظور – ج1 – ص755 (بتصرف) .

(3) المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى وآخرون – ص956.

(4) مباحث في التفسير الموضوعي – د. مصطفى مسلم – ص58.

(5) الإتقان في علوم القرآن – م1 –ج3–ص273 .

(6) أبو بكر النيسابوري: هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ، محدث و فقيه ، له مصنفات عدة ، منها : (الأوسط – الإجماع) . توفي سنة 319 هـ . انظر : (سير أعلام النبلاء) – للذهبي – ج 14 – ص 491.

(7) أبو جعفر بن الزبير الأندلسي : هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد الأندلسي . عالم محدّث نحوي مفسّر . ولد سنة 627 هـ – توفي سنة 708هـ . انظر : (الأعلام)– للزركلي – ج 1– ص 86، و(معجم الأدباء)– كامل الجبوري – ج 1 ص 100.

(8) عبد الله الغماري : هو أبو الفضل عبد الله بن محمد بن قاسم بن محمد الغماري، يرجع نسبه إلى سيدنا علي رضي الله عنه . حفظ القرآن و بعض المتون .. ولد بطنجة سنة 1328هـ و توفي سنة 1413هـ . انظر : (موقع السنة)WWW.alsunna.org/ghummari.htm .

كما تحدَّث الشيخ محمد عبد الله دراز(1) في كتابه:" النبأ العظيم " عن المناسبات بين آيات سورة البقرة (2).

وقد اختلف العلماء في علم المناسبات، فهناك علماء مؤيدون لهذا العلم وهناك علماء رافضون.

فمن العلماء المؤيدين: الإمام البقاعي والرازي والزركشي والسيوطي وغيرهم..

يقول البقاعي: " وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكَّن من اللبّ، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب" (3) .

ومن العلماء الرافضين: الشيخ العزّ بن عبد السلام(4) وأبو حيان(5) والشوكاني والشيخ محمد بن عبد الله الغزنوي(6) وغيرهم..يقول الغزنوي:"اعلم أن كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنٍّ لا يعود عليهم بفائدة"(7) . وقد استطاع د. مصطفى مسلم أن يوفق بين المؤيدين والرافضين حيث يقول :" لاشك أن هذا العلم دقيق المسالك خفي المدارك، وهو من العلوم التي تحتاج إلى بذل الجهد في التتبع والاستقصاء اللغوي لدلالات الألفاظ القرآنية، والإحاطة بأسباب النزول، والبلاغة والأساليب

---

(1) محمد عبد الله دراز:عالم أديب ، حصل على شهادة الدكتوراة في فرنسا ، و يعتبر من كبار العلماء في العالم .. من مؤلفاته (النبأ العظيم– تاريخ آداب اللغة العربية) . ولد بمصر ، و توفي في الباكستان فجأة سنة 1377 هـ . انظر : (معجم المؤلفين) – عمر كحالة – ج 10 – ص 212 .

(2) مباحث في التفسير الموضوعي – د. مصطفى مسلم – ص 66، 67 (بتصرف).

(3) نظم الدرر في تناسب السور – ج1 – ص7 .

(4) العزّ بن عبد السلام:هو أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن الدمشقي الشافعي – جمع علوماً كثيرة ، وله مصنفات عدة ، منها (اختصار النهاية – القواعد الكبرى و الصغرى) . ولد سنة 577هـ – و توفي سنة 660هـ . انظر : (البداية و النهاية) – لابن كثير – ج 13– ص 218 .

(5) أبو حيّان: هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي . عالم في النحو و التفسير و اللغة و الحديث و القراءات و التاريخ و الأدب .. من مؤلفاته : (البحر المحيط) . ولد سنة 654هـ ، و توفي سنة 745هـ . انظر : (الدرر الكامنة) – لابن حجر العسقلاني – ج 4–ص 302–310.

(6) محمد بن عبد الله الغزنوي :عالم ومحدث ، أحد أفاضل عصره ، قرأ على أبيه و رحل إلى دهلي . و أخذ الحديث واشتغل بالدرس و الوعظ و الإرشاد ، له دور هام في نشر علوم الحديث و العقيدة السلفية في أبناء الهند . توفي سنة 1296هـ . انظر : (مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) – WWW. Iuedu. Sa/magazine.

(7) ذكره د.مصطفى مسلم في كتابه "مباحث في التفسير الموضوعي" – ص59 وما بعدها.

البيانية.. ولابد أن يكون الباحث ذا حسّ مرهف، وذكاء قوي ليدرك سرَّ هذا الترتيب للآيات التي وضعت بجوار بعضها... ثم يقول: " ونحن نُسلِّمُ أن بعض العلماء الباحثين في وجوه المناسبات قد تكلّفوا أحياناً في استخراج وجه المناسبة، ولكن تكلفهم لا ينبغي أن يكون ذريعة للرافضين...

إن القول بوجود المناسبات أمرٌ يحتمه الاعتقاد بتنزيه كلام الله – سبحانه– عن الفوضى والتناقض: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا**﴾ (1).

وعلى الباحث أن يبذل قصارى جهده للتعرّف على وجه المناسبة بين الآيات، فإن ظهر له شيء من ذلك فهذا نعمة من الله وفضل عليه، وله أن يظهره ويبيّنه، وإن خفي عليه وجه المناسبة فعليه أن يمسك ولا يتكلّف ويفوّض أمره إلى الله تعالى..." (2) .

وقد تدارك د. عبد السلام على ما سبق بقوله :" ولاشك أن القرآن قد نزل مفرقاً بعد أن كان مجموعاً في اللوح المحفوظ وهذه هي شبهة المنكرين لعلم المناسبة بين الآيات والسور، ولكنه عاد مجموعاً بعد تفرّقة كما كان قبل نزوله، فلم يتغير مكان آية عمّا كانت عليه قبل النزول، ولذلك قال العلماء بأن ترتيب الآيات والسور توقيفي وليس اجتهادي، فجبريل هو الذي كان يحدد للنبي _صلى الله عليه وسلم_ مكان الآية من السورة وهكذا السورة بين أخواتها، فلاشك إذن أن يكون الترتيب كما كان حال وجوده في اللوح حسب الحكمة الإلهية لهذا الترتيب (3) .

وقد تكون المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة، وبين فاتحة السورة وخاتمتها، وبين سورتين متجاورتين، وهكذا ...

ثانياً: أهمية علم المناسبات:

ذكر كثير من العلماء أهميةَ هذا العلم وفوائدَه، فقد قال الإمام الزركشي :" واعلم أن المناسبة علم شريف، تحزَرُ به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول...

قال القاضي أبو بكر بن العربي(4): ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة

---

(1) سورة النساء – الآية (82) .

(2) مباحث في التفسير الموضوعي – ص65، 66 (باختصار) .

(3) أضافها د. عبد السلام اللوح من خلال ملاحظاته على الرسالة.

(4) أبو بكر بن العربي:هو القاضي أبو بكر بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي . كان فقيهاً عالماً محدثاً مفسراً أصولياً، أديباً متكلماً. من مؤلفاته: (أحكام القرآن – الناسخ و المنسوخ). ولد سنة 468هـ– و توفي سنة 543هـ . انظر : (البداية و النهاية) – لابن كثير–ج 12– ص 230.

الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم...

ثم قال: قال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم من قال لا يُطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب: أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ، ومرتّبة سورُه كلُّها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة؛ ومن المعجز البيّن أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يُبحث أول كل شيء عن كونها مكمّلة لما قبلها أو مستقلة؛ ثم المستقلة، ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علمٌ جَمٌّ؛ وهكذا في السور، يُطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سِيقَت له (1).

وقال الإمام السيوطي:" وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المُحْكَم المتلائم الأجزاء" (2).

وقال الشيخ مناع القطان :" كما أن معرفة سبب النزول لها أثرها في فهم المعنى وتفسير الآية فإن معرفة المناسبة بين الآيات تساعد كذلك على حسن التأويل ودقة الفهم... ولمعرفة المناسبة فائدة في إدراك اتساق المعاني، وإعجاز القرآن البلاغي، وإحكام بيانه، وانتظام كلامه، وروعة أسلوبه "(3).

وقال د. مصطفى مسلم:" اعتبر بعض المفسرين أن نسبة هذا العلم من علم التفسير مثل نسبة علم البيان من علم النحو... وهو علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سر البلاغة،لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه من الحال... وعدم مراعاة علم المناسبات بين الآيات يوقع في بعد عن المعنى حتى في الآية الواحدة..."(4).

وقال الشيخ سعيد حوَّى:" ولقد سئلت أكثر من مرة مِنْ بعض مَنْ عرضتُ عليه وجهة نظري في فهمي للصلة بين الآيات والسور عن فائدة هذا الموضوع، وكنت أجيبه: في أن الإجابة على هذا الموضوع تخدم ردّ شبهة أن هذا القرآن لا يجمع آياته في السورة الواحدة جامع، ولا يجمع بين سوره رابط، وذلك لا يليق في كلام البشر، فكيف بكلام ربّ العالمين...

إن الإجابة على هذا الموضوع كما قلنا تخدم قضايا أخرى. منها: قضية تأكيد إعجاز القرآن، ومنها: قضية دحض شبهة أن هناك افتراقاً بين القرآن المكي والمدني، ومنها: أن تخدم

---

(1) البرهان في علوم القرآن – ج1– ص35 وما بعدها (باختصار) .

(2) الإتقان في علوم القرآن –م1– ج3– ص273.

(3) مباحث في علوم القرآن –ص96.

(4) مباحث في التفسير الموضوعي – ص58، 60 (باختصار).

في معرفة بعض أسرار القرآن، ومنها: أنها تخدم قضية الفهم للكثير من المعاني التي يدل عليهـــا السياق....

بالإضافة إلى أنها تُرينا أن هذا القرآن من خلال سياق الآية في السورة ومن خلال سياق الآيات بالنسبة لمجموع القرآن، ومن خلال صلات السور بعضهـــــا ببعض، ومـــــن خـــلال نـــواحٍ أخرى، يعطينا معاني لا نهاية لها ولا يمكن الإحاطة بها "(1) .

(1) الأساس في التفسير –ج1–ص27، 28(باختصار) .

المطلب الثاني

مناسبة سورة الفاتحة مع سورة البقرة

بعد البحث والاطلاع والاستقصاء وجد الباحث أن هناك تناسباً بين السورتين، في الصدر، وفي المضمون، وفي خاتمة سورة الفاتحة مع صدر سورة البقرة، وذلك فيما يلي:

أولاً: المناسبة بين السورتين في الصدر:

يجد الباحث أن السورتين ابتدأتا بالمتشابه وبالأمور الغيبية.

حيث ابتدأت سورة الفاتحة بحمد الله تعالى وبيان رحمته، وبأن الله مالك يوم الدين، ومعرفة يوم الدين تعتبر من المتشابه الذي لا يعلم كنهه إلا الله ربّ العالمين، وهو يعتبر من الأمور الغيبية.

قال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ (1) .

وفي صدر سورة البقرة، ابتدأت السورة بالمتشابه وهو الحروف المقطعة، حيث يرى الباحث أن الحروف المقطعة من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه، وكذلك ابتدأت بالحديث عن الإيمان بالغيب ومنه اليوم الآخر، قال تعالى : ﴿**الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ....** ﴾ (2) .

وللإمام الألوسي في تفسيره رأي آخر في المناسبة بين صدر السورتين، حيث يقول :" ولمَّا افتتح سبحانه الفاتحة بالأمر الظاهر، وكان وراء كل ظاهر باطن افتتح هذه السورة (البقرة) بما بطن سرّه وخفي إلا على من شاء الله تعالى أمره"(3) .

وإلى مثل هذا الرأي ذهب الإمام السيوطي حيث قال :" لما ابْتُدِئتْ الفاتحة بالحرف المُحْكَم الظاهر لكلّ أحد بحيث لا يُعْذَر أحدٌ في فهمه، ابْتُدِئتْ البقرة بمقابله، وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل، أو المستحيلة "(4) .

ثانياً: المناسبة بين السورتين في المضمون :

هناك علاقة متينة بين السورتين من حيث المضمون، فقد ذكر العلماء وجوهاً لهذه العلاقة.

فقد ذكر الإمام السيوطي أن كل سورة جاء فيها معانٍ إجمالية فإن السورة التي بعدها تأتي بتفصيل وبيان هذا الإجمال.

---

(1) سورة الفاتحة- الآيات (2-4) .

(2) سورة البقرة - الآيات (1-4).

(3) روح المعاني- للألوسي -ج1-ص98 .

(4) الإتقان في علوم القرآن -م1-ج3- ص 284.

وضرب المثال على ذلك بسورتي الفاتحة والبقرة، حيث ذكر وجوهاً تبيّن مدى الترابط المتين، والتناسب القوي بين سورتي الفاتحة والبقرة (1). فقد اشتملت سورة الفاتحة على قضايا ومواضيع هامة، حيث تحدثت عن العقيدة، والشريعة والعبادة والأخلاق والسلوك، وعن أصناف الناس الثلاثة، وكان ذلك بشكل إجمالي دون تفصيل. وجاءت سورة البقرة فذكرت هذه القضايا والمواضيع بشكل مفصّل، فبينت ما أجملته سورة الفاتحة.

1- سورة الفاتحة ابتدأت بالبسملة وحمد الله – تعالى- وتربيته تعالى لخلقه، وعن رحمته تعالى وعن ملكه ليوم الجزاء والحساب هذه الأمور كلّها تمثل بعض جوانب العقيدة، فجاءت سورة البقرة وفصّلت هذه القضايا العقائدية بشكل لا لبس فيه ولا غموض. قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ،الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (2) وقوله تعالى : ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ (3).

2- تحدثت سورة الفاتحة عن عبادة الله تعالى والاستعانة به بأسلوب موجز، فجاءت سورة البقرة وفصّلت وبيّنت هذه المواضيع، حيث تحدثت سورة البقرة عن معظم الشعائر والعبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وقتال في سبيل الله... كما تحدثت عن الاستعانة بقوله : ﴿**وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾ (4) .

وقوله : ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ...** ﴾ (5).

3- وتحدثت سورة الفاتحة عن الأخلاق الكريمة والسلوك المستقيم بقوله : ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ وذلك بأسلوب مجمل دون تفصيل، فجاءت سورة البقرة تبيّن وتفصّل الصراط المستقيم بقوله : ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ (6) .

فالصراط المستقيم هو كتاب الله الذي لا شك ولا تهمة فيه، وهذا الكتاب هو هداية للمتقين لأنهم هم المنتفعون به وحدهم. وكذلك تحدثت سورة البقرة وبشكل مفصّل عن الأخلاق والسلوك

---

(1) انظر : تناسق الدرر في تناسب السور- ص 65 – 70 .

(2) سورة البقرة – الآيتان (21 ، 22) .

(3) سورة البقرة – الآية (28) .

(4) سورة البقرة – الآية (45) .

(5) سورة البقرة- الآية (186).

(6) سورة البقرة- الآية(2) .

القويم. قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ (1) وقول: ﴿**...فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِتباع بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**﴾ (2).

4- وتحدثت سورة الفاتحة بإيجاز عن أصناف الناس الثلاثة وهم المؤمنون واليهود والنصارى، وجاءت سور البقرة وتحدثت بشكل مفصّل عن هذه الأصناف الثلاثة، فتحدثت عن المؤمنين بقوله : ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (3).

وتحدثت عن اليهود بآيات كثيرة منها قوله: ﴿ **وَلَقَدْ جَاءكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ (4) وتحدثت عن النصارى بقوله : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ** ﴾ (5).

"هكذا كانت سورة البقرة بمثابة التفصيل لما أجملته سورة الفاتحة، فكانت سورة الفاتحة كأنها البذرة الطيبة التي جمعت كل العناصر والمبادئ الإسلامية الرفيعة، غُرِسَتْ هذه البذرة في أرض طيبة فأنْبَتتْ شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تلك الشجرة هي سورة البقرة ..."(6).

ثالثاً: مناسبة خاتمة سورة الفاتحة مع صدر سورة البقرة:

تبدأ الفقرة الأخيرة في سورة الفاتحة بقوله تعالى معلّما لنا : ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ وتبدأ سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿**الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ (7). فهناك صلة وارتباط بين (اهدنا) وبين (هدىً للمتقين)، كأنهم لمّا سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم، قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو هذا الكتاب (8) .

---

(1) سورة البقرة- الآية (190) .

(2) سورة البقرة- الآية (178) .

(3) سورة البقرة- الآيات (3-5).

(4) سورة البقرة- الآية (92) .

(5) سورة البقرة- الآية (113) .

(6) في رحاب التفسير - للشيخ كشك -م1-ج1-ص77 .

(7) سورة البقرة- الآيتان (1، 2) .

(8) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن - للسيوطي- ص52، وروح المعاني- للألوسي- ج1- ص98، والأساس في التفسير - لسعيد حوى - ج1- ص50.

المطلب الثالث

مناسبة آيات سورة الفاتحة مع بعضها البعض

تحدث كثير من المفسرين عن مناسبة آيات سورة الفاتحة مع بعضها البعض، وقد حاول الباحث أن يجمع خلاصة أقوال العلماء في وجه المناسبة بين آيات هذه السورة، ثم أفرد الباحث بعد ذلك قول حسن البنا – رحمه الله.

– مناسبة ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بقوله : ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ :

" لما ابتدأ الإنسان بآية التسمية استفتاحاً باسمه تعالى، واعترافاً بألوهيته، وبياناً لذكر فضله ورحمته، اشتغل بالشكر لربّه و الحمد له فقال :(الحمد لله)؛ و لما رأى نعم الله – تعالى– على غيره واضحة كما شاهد آثارها على نفسه ،عرف أنه تعالى ربّ الخلائق أجمعين فقال : ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (1) .

–مناسبة ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ بقوله: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ :

" ولما أثبت بقوله : (الحمد لله) أنه المستحق لجميع المحامد لا لشيء غير ذاته الحائز لجميع الكمالات أشار إلى أنه يستحقّه أيضاً من حيث كونه ربّاً مالكاً منعماً فقال :(ربّ). [وأشار بقوله :(العالمين) إلى الدليل الدال على وجود الإله القادر الحكيم، وفيه إشارة إلى أن كل ما سواه فهو مفتقر إليه تعالى، ومحتاج في وجوده إلى إيجاده، وفي بقائه إلى إبقائه] ولما كانت مرتبة الربوبية لا تستجمع الصلاح إلا بالرحمة اتبع ذلك بصفتي (الرحمن الرحيم) ترغيباً في لزوم حمده، وهي تتضمن تثنية تفصيل ما شمله الحمد أصلاً"(2) ." وتنبيهاً على أن نِعَمَ الله الجليلة وصلت إلينا عن طريق الرفق واليسر ونفي الحرج، حتى في أحكام التكاليف والنواهي والزواجر فإنها مرفوقة باليسر... فمعظم تدبيره – تعالى – بنا هو رحمات ظاهرة، كالتمكين في الأرض وتيسير منافعها.."(3).

– مناسبة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بقوله : ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ :

" لما كان الربُّ المنعوت بالرحمة قد لا يكون مالكاً، وكانت الربوبية لا تتمّ إلا بالمِلك المفيد لتمام التصرّف، وكان المالك قد لا يكون مَلِكاً، ولا يتم مِلكُه إلا بالمُلْك المفيد للعزة، المقرون بالهيبة المثمرة للبطش والقهر المنتج لنفوذ الأمر أَتْبَعَ ذلك بقوله: (مالك يوم الدين) ترهيباً من سطوات مجده" (4) .

---

(1) انظر: مجمع البيان – للطبرسي – ج 1 – ص 65 ، 66 .

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات و السور – للبقاعي – ج 1 – ص 14.

(3) التحرير والتنوير – لابن عاشور –م1–ج1–ص173(باختصار).

(4) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور –ج1–ص14.

– مناسبة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بقوله : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ :

" لما ذكر الله تعالى أنه (مالك يوم الدين) ناسب ذلك أنه لا معبود سواه، ولا يستعان إلا به. فَمَنْ الحقيق بالعبادة إلا المالك؟ ومَنْ الجدير بطلب العون إلا هو؟ فبَيْن الآيتين تمام ارتباط واتصال، وفيهما التفات من الغيبة إلى الخطاب، فإن العبادة وطلب العون ثناء على الله بما هو أهله، فناسب ذلك أسلوب الخطاب في (إياك) و(إيّاك) " (1) .

–مناسبة ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ بقوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ :

" لما ذكرت هذه الآية ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ العبادة والاستعانة، وأنهما يجب أن يكونا لله ، ناسب ذلك أن يأتي بآية الدعاء بعد العبادة و الاستعاذة، فقال :﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾. فالدعاء مخّ العبادة، وطلب الهداية من الله إنما هو استعانة به سبحانه أن يُوَفَّقَ إليها، فكان بين الآيتين تمام ارتباط." (2).

– مناسبة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ بقوله : ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ :

" لما طلب المؤمنون من الله تعالى أشرف طريق، سألوا بعد ذلك أحسن رفيق، فقالوا ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ...**﴾ واستعاذوا وتبرّأوا من الاقتداء بالحائدين عن الصراط المستقيم فقالوا : ﴿**...غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ...**﴾ (3).

رأي الشهيد حسن البنا– رحمه الله– :

يقول رحمه الله : " ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ (4)، ولاشك أن من تدبّر الفاتحة الكريمة –وكل مؤمن مطالب بتدبّرها في تلاوته عامة وفي صلاته خاصة رأى من غزارة المعاني وجمالها، و روعة التناسب وجلاله، ما يأخذ بلبّه، ويضيء جوانب قلبه. فهو يبتدئ ذاكراً تالياً متيمّناً باسم الله الموصوف بالرحمة التي تظهر آثار رحمته متجددة في كل شيء، مستشعراً أن أساس الصلة بينه وبين خالقه العظيم هو هذه الرحمة التي وسعت كل شيء، فإذا استشعر هذا المعنى، ووقر في نفسه، انطلق لسانه بحمد هذا الإله الرحمن الرحيم، وذكَّره الحمد بعظيم نعمه، وكريم فضله، وعظيم آلائه البادية في تربيته للعوالم جميعاً، فأجال بصيرته في هذا المحيط الذي لا ساحل له، ثم تذكر من جديد أن هذه النعم الجزيلة، والتربية الجليلة ليست عن رغبة ولا رهبة، ولكنها عن تفضل ورحمة، فتعلّق لسانه مرة ثانية بالرحمن الرحيم، ولكن

---

(1) في رحاب التفسير– للشيخ كشك –م1–ج1–ص67.

(2) المرجع السابق نفسه –م1–ج1– ص70.

(3) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور –ج1–ص20.

(4) سورة القمر– الآية(17).

من كمال الإله العظيم أن يقرن الرحمة بالعدل، ويذكّر بالحساب بعد الفضل، فهو مع رحمته السابغة المتجددة سَيَدِينُ عبادَه، ويحاسب خلقه يوم الدين: ﴿ **يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**﴾ (1) فتربيته لخلقه قائمة على الترغيب بالرحمة، والترهيب بالعدالة والحساب،وإذا كان الأمر كذلك فقد أصبح العبد مكلَّفاً بتحرّي الخير، والبحث عن وسائل النجاة، وفي هذا أشد ما يكون حاجة إلى من يهديه سواء السبيل،ويرشده إلى الصراط المستقيم، وليس أولى به في ذلك من خالقه ومولاه، فليلجأ إليه، وليعتمد عليه ،وليخاطبه بقوله : ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ وليسأله الهداية من فضله إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم بمعرفة الحق واتباعه، غير المغضوب عليهم بالسلب بعد العطاء، والنكوص بعد الاهتداء، وغير الضالين التائهين الذين يضلون عن الحق، أو يريدون الوصول إليه، فلا يوفقون للعثور عليه آمين.فهل رأيت تناسباً أدق أو ارتباطاً أوثق مما تراه بين معاني هذه الآيات الكريمات؟ " (2).

---

(1) سورة الانفطار– الآية(19).

(2) مقاصد القرآن الكريم –ص66 ، 67.

المطلب الرابع

علاقة السورة بالسور المفتتحة بقوله : (الحمد لله)

تُعَدُّ سورة الفاتحة من السور الخمس في القرآن الكريم التي ابتدأت بقولـه :(الحمـد لله) وهـذه السور على الترتيب هي :(الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر) فهي السورة الأولى في ترتيب المصحف.. وبالنظر في هذه السور الخمس وجدتها جميعاً سوراً مكية، أما عن علاقـة سـورة الفاتحة بهذه السور، فهناك صلات قوية، ووشائج متينة بينها، وبيان ذلك فيما يلي:

- علاقة سورة الفاتحة بسورة الأنعام:

مـن الجـدير ذكره أن هاتين السورتين أُنْزِلتا جملة واحدة على رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم، وبالنظر في سورة الفاتحة نجد افتتاحها بقوله : ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ وكلمـة (ربّ العالمين) فيه إشارة إلى أنه- سبحانه وتعالى- تولّى تربية خلقه جميعـاً بتربيـة عامـة: ماديـة وروحية، حيث أمدّهم – تعالى- بمقومات العيش والحياة من متاع وزينة وغيرها... كما أمـدّهم بالأنبياء والرسل والمناهج السماوية.. إذن المذكور في سورة الفاتحة يشمل المادة والروح فهـو ربّ العالمين، ربّ السموات والأرض، والإنس والجن، والملائكة... أي جميع المخلوقات.

وأما سورة الأنعام فقد افتتحها الله تعالى بقوله : ﴿ **الْحَمْدُ لِلّهِ الَّـذِي خَلَـقَ الـسَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ** ﴾ (1).

فالمذكور هنا شيء مادي محسوس وهو : (السموات والأرض والظلمات والنور) فهو ينـدرج تحت قوله :(العالمين) أي ما سوى الله – تعالى . فالمذكور في أول سورة الأنعام كأنه قسم من أقسام ما هو مذكور في سورة الفاتحة .

- علاقة سورة الفاتحة بسورة الكهف:

سورة الفاتحة كانت التربية فيها تربية عامة: مادية وروحية، لكن بالنظر في سورة الكهف فقـد افتتحها الله تعالى بقوله: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَـا** ﴾ (2) فالتربية هنا تربية روحية فقط، فالكتاب الذي أنزله الله تعالى –على سيدنا محمد صلى الله عليـه وسلم يؤدي إلى هداية الناس، وتربيتهم تربية إيمانية وفكرية وأخلاقية... فالمذكور فـي سـورة الكهف يعتبر قسماً من أقسام ما هو مذكور في سورة الفاتحة.

- علاقة سورة الفاتحة بسورة سبأ:

سورة الفاتحة بَيّنَتْ أن الله تعالى هو رب جميع المخلوقين، وهو خـالقهم تعـالى ومربّيهـم جميعاً، سواء أكانوا محسوسين مادّيين أم كانوا روحانيين، وسواء أكانوا عقلاء أم غيـر عقـلاء

---

(1) سورة الأنعام –الآية(1).

(2) سورة الكهف–الآية(1).

وهكذا... فهي شاملة لكل المخلوقات. أما سورة سبأ والتي افتتحها الله- تعالى- بقوله: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾ (1) . فقد ذكرتْ المخلوقات المحسوسة والمرئية (السموات والأرض) فهي قسم مما هو مذكور في سورة الفاتحة.

-علاقة سورة الفاتحة بسورة فاطر:

سورة الفاتحة بيَّنت أن الله _سبحانه وتعالى _ هو ربّ المخلوقات جميعاً أي هو ربُّ ما سواه تعالى، من السموات والأرض والملائكة و الجن والإنس والحيوانات والبحار والنباتات وغيرها...

وسورة فاطر افتتحها الله – تعالى- بقوله : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ** ... ﴾ (2) .

فقد ذكرت بعض المخلوقات الحسيّة المرئية (السموات والأرض) وذكرت بعض المخلوقات غير المرئية (الملائكة) وهذه الأشياء كلها سواء المخلوقات المرئية أو غير المرئية قسم مما هو مذكور في سورة الفاتحة(3) .

يقول الإمام البقاعي مبيّناً علاقة سورة الفاتحة بهذه السور التي ابتدأت بالحمد : التصدير بالحمد إشارة إلى أمهات النعم الأربع، وهي الإيجاد الأول، و الإيجاد الثاني، والإبقاء الأول، والإبقاء الثاني، وأن الفاتحة لكونها أم الكتاب، أشير فيها إلى النعم الأربع، ثم أشير في كل سورة صُدِّرت بعدها بالحمد إلى نعمة منها على الترتيب، وأنه أشير في الأنعام إلى الإيجاد الأول، وهو خلق السموات و الأرض، وخلق الظلمات والنور، وخلق الإنسان من طين ...، وفي الكهف أشير إلى الإبقاء الأول، وهو الكتاب و الرسول؛ لأن نظام العالم و بقاء النوع الإنساني يكون بهما، و أنه أشير في سبأ إلى الإيجاد الثاني، وهو ذكر الموت و ما بعده من البرزخ والبعث والحشر والحساب...، وفي فاطر أشير إلى الإبقاء الثاني، وهو الفصل بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة، فإما إلى جنة، وإما إلي نار (4) .

وهكذا يتبيَّن لنا علاقة سورة الفاتحة بهذه السور التي ابتدأت بقوله (الحمد لله).

وبما أنَّ سورة الفاتحة هي أم القرآن وفاتحته ناسب أن يأتي فيها بأعظم الأشياء وأعمّها وأشملها.

---

(1) سورة سبأ- الآية(1) .

(2) سورة فاطر – الآية(1).

(3) انظر: التفسير الكبير – للرازي – م1-ج1- ص150، وتفسير الشعراوي- محمد متولي الشعراوي – ج6 – ص3492، والإتقان في علوم القرآن – للسيوطي-م1-ج3- ص285.

(4) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – ج 6 – ص 149 ، 150 ، 199 .

المطلب الخامس

علاقة السورة بالمقاصد العامة للقرآن الكريم

تحدث كثير من العلماء عن مقاصد القرآن الكريم وأهدافه، وما ذكره العلماء من مقاصد للقــرآن يَرْجِعُ ذلك كلُّه إلى عدة أمور:

1- إن القرآن كتاب هداية للإنس والجن.

2- إن القرآن كتاب إعجاز.

3- إن القرآن أُنزل ليتعبَّدَ الخلقُ بتلاوته.

4- إن القرآن فيه علوم عظيمة ترجع إلى ما يلي:

* إن القرآن يحتوي على علم العقائد.
* إن القرآن يحتوي على علم العبادات.
* إن القرآن يحتوي على علم السلوك والأخلاق.
* إن القرآن يحتوي على علم القصص والأخبار وبيان أحوال الأمم (1) .

وبالنظر في سورة الفاتحة نجد أنها اشتملت على جميع مقاصد القرآن ومعانيه .ويؤيّد ذلــك مــا أخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان : عن الحسن البصري، قال: "**أنزل الله مائــة وأربعــة كتب، أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علومها المفصّل** (2)، **ثم أودع علوم المفصّل فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها، كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة**"(3) .

وسيوضح الباحث مدى علاقة الفاتحة بمقاصد القرآن بشيء من التفصيل فيما يلـــــي:

أولاً: القرآن كتاب هداية للإنس والجن:

إن الهدايات القرآنية الكريمة، منها ما يستفاد من معاني القرآن الأصيلة، ومنها ما يــستفاد مــن معانيه التابعة، أما القسم الأول فواضح لا يحتاج إلى تمثيل... وأما القسم الثاني ففيه دقة وتأمــلّ وتدبّر... وضّحه الإمام الزرقاني بأمثلة استمدها من سورة الفاتحة حيث يقول:

"- منها: استفادة أدب الابتداء بالبسملة في كل أمر ذي بال، أخذاً من ابتداء الله كتابه بها، ومــن

---

(1) انظر: التفسير الكبير- للرازي – م1- ج1-ص145، وروح المعاني - للألوسي- ج1-ص36، والتحرير والتنوير- لابن عاشور-م1- ج1-ص134.

(2) المفصّل: يُطلق على القسم الأخير من سور القرآن الكريم؛ سُمّي مفصّلاً لكثرة الفصول التي بين الــسور ببسم الله الرحمن الرحيم، وقيل: لقلة المنسوخ فيه، وآخره سورة الناس، وفي أوّله اثنا عشر قولاً، والصحيح عند أهل الأثر أن أوله سورة ق، انظر: (البرهان في علوم القرآن) - للزركشي- ج1- ص245، 246.

(3) شعــب الإيمان- للبيهقي - كتاب فضائل السور والآيات- باب(فاتحة الكتاب)-ج2-ص450-أثر(2371) .

افتتاحه كل سورة من سوره بها عدا سورة التوبة.

– ومنها: استفادة أدب الاستعانة في أي شيء لا يستمدّ إلا من اسم الله وحده، أخذاً من إضافة الاسم إلى لفظ الجلالة موصوفاً بالرحمن الرحيم، ومن القصر المفهوم من البسملة على تقدير عامل الجار والمجرور متأخراً، ومن تقدير هذا العامل عامّاً لا خاصّاً.

– ومنها: استفادة الاستدلال على أن الحمد مستحقّ لله بأمور ثلاثة: تربيته– تعالى– للعوالم كلها، ورحمته الواسعة التي ظهرت آثارها، وتأصّل اتصافه – تعالى– بها، وتصرُّفه وحده بالجزاء العادل في يوم الجزاء. وذلك أخذاً من جريان هذه الأوصاف على اسم الجلالة في مقام حمده، بقوله سبحانه: ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾.

– ومنها: استفادة التوحيد بنوعيه: توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية من القصر الماثل في قوله سبحانه : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾.

– ومنها: استفادة دليل هذا التوحيد من الآيات السابقة عليه،ووقوعه هو في سياقها عقيبها كما تقع النتيجة عقب مقدماتها.

–ومنها: استفادة أن الهداية إلى الصراط المستقيم هي المطمع الأسمى الذي يجب أن يرمي إليه الناس ،ويتنافس فيه المتنافسون، ويدل على ذلك اختيارها والاقتصار على طلبها، والدعاء بها، ثم انتهاء سورة الفاتحة بها كما تنتهي البدايات بمقاصدها.

– ومنها: استفادة أن الهداية لا يرجى منها إلا الله وحده؛ لأنها انتظمتْ مع آيات التوحيد قبلها في سمط واحد.

– ومنها:استفادة أدب من الآداب،وهو أن يقدِّم الداعي ثناء الله على دعائه، استنتاجاً من ترتيب هذه الآيات الكريمة، حيث تقدم فيها ما يتصل بحمد الله وتمجيده وتوحيده، على ما يتصل بدعائه واستهدائه"(1) .

ثانياً: القرآن كتاب إعجاز:

من المقاصد العظيمة للقرآن الكريم، أن الله –سبحانه وتعالى– أنزله ليكون معجزاً يدل على صدق نبوة ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وليظلّ كذلك معجزة خالدة للثقلين إلى أن يرث الله الأرضَ ومَنْ عليها. والقرآن معجز ببلاغته ونظمه وأسلوبه وفصاحته.

فقد تحدّى العربَ قاطبةً أن يأتوا بسورة من مثله، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، وأصحاب القصائد والخطب، وأصحاب العقول والألباب، ولكنهم عجزوا عنه، وانقطعوا دونه، وقد بقي الرسول صلى الله عليه و سلم يتحدّاهم به ثلاثاً وعشرين سنة، مسفّهاً آراءهم وأحلامهم، معيباً

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن – للزرقاني–ج2–ص475 ، 476(بتصرف).

آلهتهم و عقائدهم، منكراً لهم أعمالهم، حتى حاربوه وقاتلوه، وليس ذلك إلا لعجزهم عنه، وعدم القدرة على الإتيان بمثله (1) .

وسورة الفاتحة باعتبارها من قصار السور، وكونها جمعت معاني القرآن ومقاصده، فهي بهذا تُعَدُّ معجزة ،لا يستطيع ولن يستطيع أحدٌ من الخلق مهما أوتي من البيان والفصاحة والبلاغة واللغة وغير ذلك... أن يأتي بمثل هذه السورة العظيمة أو يأتي بمثل غيرها..

ثالثاً: القرآن أُنزل ليتعبد الخلقُ بتلاوته:

إن من المقاصد العظيمة للقرآن الكريم _أيضاً_ نزوله ليتعبّد الخلق بتلاوته وتدبره وتطبيقه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ...**﴾ (2). وقوله تعالى – أيضاً: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ (3).

وعن عائشة – رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **الماهر بالقرآن الكريم مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويَتَتَعْتَعُ فيه وهو عليه شاق له أجران**"(4).

وبما أن سورة الفاتحة هي إحدى سور القرآن الكريم، فهي إذن تُعَدُّ ممّا يتعبّد الخلق بتلاوته وتدبره وخصوصاً أنها من أهمِّ أركان الصلاة، والصلاة لا تصحّ إلا بها عند جمهور العلماء، فحريٌّ أن تُحفظ وتُفْهم معانيها.

رابعاً: القرآن الكريم فيه علوم عظيمة ترجع إلى ما يلي:

أ– إن القرآن احتوى على علم العقائد، كأسماء الله تعالى وصفاته وأنواع التوحيد، وإثبات النبوّات، وإثبات البعث والحساب والجنة والنار وغير ذلك...

وهذا كلّه أشير إليه في سورة الفاتحة في قوله: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾. فهذه الآيات من سورة الفاتحة تتحدث عن الأمور العقائدية، فقوله : ﴿ **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ فيه اعتراف بأسماء الله – تعالى– (الله– الرحمن – الرحيم) وقوله : ﴿ **الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ اشتملت على وحدانية الله – تعالى– بكل معانيها، توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وقوله: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ يدل على إثبات يوم الجزاء والحساب...

---

(1) انظر : بيان إعجاز القرآن – للخطابي – ص21 ، 22 .

(2) سورة العنكبوت– الآية (45).

(3) سورة محمد – الآية(24).

(4) صحيح مسلم– كتاب صلاة المسافرين وقصرها (6) باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتعتع فيه(38)– ص363–حديث(798).

ب- إن القرآن احتوى على علم العبادات من أوامر ونواهي وشعائر ومعاملات وغيرهـــا...
وأشير إلى ذلك في سورة الفاتحة على جهة الإجمال في قوله تعـــالى : ﴿**إِيَّـــاكَ نَعْبُـــدُ وإِيَّـــاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ فهنا قصرُ العبادة والاستعانة على الله وحده.
ج- إنَّ القرآن احتوى على علم السلوك والأخلاق من التقـــوى والخـــوف مـــن الله، والـــورع، والخشية، والالتزام بمبادئ الإسلام، واتباع منهاج الله، وإخلاص النية لله، وغيرهـــــــــــا...
وأشير إلى ذلك على جهة الإجمال في قوله : ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾.
د- إن القرآن احتوى على علم الأخبار والقصص، كقصص الأنبياء، وقصص الأمـــم الـــسابقة وأحوال أهل الصلاح، وأحوال أهل الفساد، وغيره...
وأشير في سورة الفاتحة إلى بعض القصص، وبيان أحوال الأمم على جهة الإجمال فـــي قولـــه تعالى : ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الـــضَّالِّينَ**﴾ إشارة إلى أخبـــار وبيان أحوال أهل الصلاح، وأحوال أهل الفساد من الذين غضب الله عليهم ،والـــضالين الـــذين ضلّوا عن الصراط المستقيم.

وخلاصة ما تقدَّم ذكره يتبيَّن أن سورة الفاتحة اشتملت معانيها علـــى معانـــــي القـــرآن و مقاصده، فكان من الجدير بهذه السورة أن تسمّى أمّ القرآن و أم الكتاب، وكان من الجـــدير أن تُجعل أول سور القرآن، وتُقَدَّم عليها في الترتيب، وكان من الجدير أن تكون أفضل وأَخْيَر سورة في القرآن الكريم.

الفصـــل الثانـي

التفسير الموضوعي لسورة الفاتحة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

*** المبحث الأول :تعريف التفسير الموضوعي و ألوانه وبيان أهميته.**

*** المبحث الثاني: المحـــور الـــرئيس والقضايا الفرعية في السورة .**

و يشتمل على مطلبين :

المطلب الأول: المحور الرئيس في السورة وهو "تقرير العبودية لله تعالـــــى".

المطلب الثاني: القضايا الفرعية في السورة.

وتشتمل على أربع قضايا:

القضية الأولى: التوحيد وعلاقته بمحور السورة.

القضية الثانية: الشريعة وعلاقتها بمحور السورة.

القضية الثالثة: الأخلاق وعلاقتها بمحور السورة.

القضية الرابعة: بيان أحوال الأمم وعلاقته بمحور السورة.

*** المبحث الثالث: أهم الموضوعات التي تناولتهـــا الســـــــورة.**

المبحث الأول

تعريف التفسير الموضوعي و ألوانه و بيان أهميته

أولاً: تعريف التفسير الموضوعي :

هذا المصطلح هو تركيب وصفي من كلمتين: التفسير والموضوعي.

التفسير في اللغة: مصدر، على وزن (تفعيل). أصله من الفعل الثلاثي: "فَسَرَ ". وفعله الماضي (فَسَّر).

قال ابن فارس(1): "فَسَر: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه .. يقال: فَسَرْتُ الشيءَ وفَسَّرْتُه"(2).

وقال الراغب: "الفَسْرُ إظهار المعنى المعقول .. والتفسير في المبالغة كالفَسْر ..."(3) .

وقال أبو البقاء (4): "قال أهل البيان: التفسير هو أن يكون في الكلام لَبْس وخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسّره"(5).

والتفسير في الاصطلاح : "علم يُفْهَمُ به كتاب الله المنّزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه. واستمدادُ ذلك من علم اللغة والنحو والصرف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، و يحتاج لمعرفة أسباب النزول، و الناسخ والمنسوخ"(6) .

أما تعريف كلمة (الموضوعي): فهي نسبة إلى كلمة (الموضوع).

والموضوع في اللغة: من الوضع وهو من الفعل (وضع) .

قال ابن فارس : "وضع الواو والضاد والعين: أصلٌ واحد يدلُّ على الخفض للشيء وحطّه، وَوَضَعْتُه بالأرض وضعاً، ووضَعَتْ المرأة ولدها ... والوضيع: الرجل الدّنيء .."(7) . "والوضع: جعل الشيء في مكان ما، سواء كان ذلك بمعنى الحطّ والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان ...

---

(1) ابن فارس : هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد القزويني . كان رئساً في الآدب واللغة ، بصيراً بفقه مالك ، مناظراً متكلماً ، وهو من مدرسة نحاة الكوفيين . توفي سنة 395هـ . انظر : (سير أعلام النبلاء) –للذهبي – ج 17 – ص 103 .

(2) معجم مقاييس اللغة ج1 – ص 504 .

(3) مفردات ألفاظ القرآن – ص 380 .

(4) أبو البقاء الكفوي : هو أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، صاحب الكليات ، كان من قضاة الأحناف . توفي سنة 1094هـ . انظر : (لأعلام) – للزركلي – ج 2 – ص 38 .

(5) الكليات – ص 260.

(6) البرهان في علوم القرآن – للزركشي – ج1 – ص 13.

(7) معجم مقاييس اللغة – ج1 – ص 117، 118.

وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي لأن المفسر يرتبط بمعنى معيّن لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به "(1) .

وفي الاصطلاح: " قضية، أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم "(2) .

وأما التفسير الموضوعي :" فهو مصطلح معاصر، استخدمه المفسرون والباحثون المعاصرون، وأطلقوه على الأبحاث والدراسات التي تتناول موضوعاً من موضوعات القرآن، [أو مصطلحاً من مصطلحات القرآن أو سورة من سور القرآن أو القرآن الكريم كله].

وبما أنه مصطلح معاصر، فقد أورد من كتبوا فيه عدة تعريفات له، منها ما هو مختصر، ومنها ما هو مطوَّل، ومنها ما ينطبق على لون من ألوان التفسير الموضوعي دون سواه، ومنها ما ينطبق على أكثر من لون "(3) .

وقد رَجّح د. مصطفى مسلم تعريفاً من مجموعة تعاريف سابقة وهو أن التفسير الموضوعي "علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر"(4). معلّلاً هذا الترجيح بأنه تعريف خال عن التكرار وأنه يشير إلى نَوْعَيْه الرئيسين .

وقد ردَّ أستاذنا الدكتور عبد السلام اللوح هذا الترجيح باعتباره لا يشير إلا إلى لون واحدٍ للتفسير الموضوعي، وهو الموضوع القرآني، هكذا أراد به من ذكر التعريف ابتداءً(5).

وذكر تعريفاً أشمل وأوسع، حيث استوعب به الألوان الثلاثة للتفسير الموضوعي فقال: "هو جمع الآيات التي تتناول موضوعاً واحداً أو مصطلحاً واحداً أو الاقتصار على الآيات في السورة الواحدة، ويفسّر ذلك تفسيراً موضوعياً مبرزاً وحدة الموضوع، ومُحقِّقاً لمقاصد القرآن وأهدافه " (6) .

ويذهب الباحث إلى الأخذ بهذا التعريف الشامل، وقد حدّد فيه المنهج والغاية أيضاً .

ثانياً : ألوان التفسير الموضوعي :

لقد جعل العلماء للتفسير الموضوعي ثلاثة ألوان، وهي:

---

(1) مباحث في التفسير الموضوعي – د. مصطفى مسلم – ص 15.

(2) المرجع السابق نفسه – ص 16.

(3) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق – د . صلاح الخالدي – ص 29 .

(4) مباحث في التفسير الموضوعي – ص 16.

(5) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي "نظرياً وتطبيقاً" – د. عبد السلام اللوح، ود. عبد الكريم الدهشان – ص 8 .

(6) المرجع السابق نفسه – ص 8 .

اللون الأول: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني:

"وهو أن يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم، ثم يجمع الآيات التي تَـرِدُ بهـا اللفظـة ومشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها"(1) .

"ومصطلحـات القـرآن التـي تصلح لهذا اللون من التفسير الموضوعي كثيرة، مثـل: السلم، الجهاد، الأمة، العدل، الأمانة ... " (2).

اللون الثاني: التفسير الموضوعي للموضوع القرآني:

يهتمُّ هذا النوع بموضوعات القرآن العامة، حيث يختار الباحث أحد هذه الموضوعات، وينظـر في آيات القرآن التي عرضَتْهُ، ويستخرج منها الدلالات المختلفة، ويختار الباحـث الموضـوع الذي له أبعاد واقعية إصلاحية، أو مجالات علمية، أو آفاق تربويـة، وللمـسلمين المعاصـرين حاجاتٌ ماسّة إليه ...

وموضوعات القرآن التي لها هذه السمة، وتحقق هذه الغاية كثيرة، منها: نظام الحكم من خـلال القرآن، الصبر في القرآن ..."(3).

اللون الثالث: التفسير الموضوعي للسورة القرآنية:

حيث يبحث في هذا اللون عن الهدف الأساسي في السورة الواحدة، ويمثل هذا الهـدف محـور السورة في التفسير الموضوعي.

وطريقة البحث في هذا اللون هو:

- أن يستوعب الباحث هدف السورة الأساسي، أو أهدافها الرئيسة.
- ثم بالبحث عن سبب النزول للسورة أو الآيات التي عرضت الموضوع الأساسي للسـورة .
- ثم ينظر إلى ترتيب نزول السورة من بين السور المكية أو المدنية .
- ثـم يـدرس الأساليب القرآنية في عرض الموضوع والمناسبات بين مقـاطع الآيـات فـي السورة ..."(4).

ومثال ذلك: ما قمت به من دراسة سورة الفاتحة دراسة موضوعية.

وقد أضاف الدكتور عبدالسلام اللوح، والدكتور عبد الكريم الدهـشان لونـاً رابعـاً للتفـسير الموضوعي وهو: "التفسير الموضوعي للقرآن الكريم كله".

---

(1) مباحث في التفسير الموضوعي – د.مصطفى مسلم – ص 23.

(2)التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق – د. صلاح الخالدي – ص 52.

(3) المرجع السابق نفسه – ص 54 .

(4) مباحث في التفسير الموضوعي – ص 28 ، 29.

حيث يقول د. عبد السلام: " وهذا اللون حديث النشأة، والولادة ولعل له مستقبلاً زاهراً يضاهي الألوان الثلاثة السابقة، وذلك أن القرآن في ترابط سوره وآياته وتناسبها وإحكامها، يظهر في جملته وحدة موضوعية واحدة، يغطي قضايا وموضوعات موجودة في كل سورة، بل في كل آية من آياته، فعلى سبيل المثال موضوع الهداية، فالقرآن كله هداية لا تستثنى من ذلك سورة ولا آية تخرج عن هذا المقصد العام، وكذلك الإعجاز فليس هناك سورة إلا ويتحقق فيها هذا المقصد أيضاً، وهكذا المقاصد العامة للقرآن تؤخذ من جملته باعتباره كُلٌّ لا يتجزّأ "(1) .

(1) مباحث في التفسير الموضوعي " نظرياً وتطبيقياً " – ص 22 ، 23.

ثالثاً: أهمية التفسير الموضوعي :

"التفسير الموضوعي هو تفسير العصر الحاضر، وهو تفسير المستقبل أيضاً، وله أهمية كبرى عند المسلمين، وحاجتُهم إليه ماسَّة، وهذا التفسير يحقّق للمسلمين فوائد عديدة من حيث صلتهم بالقرآن، وتعرّفهم على مبادئه وحقائقه، ومن حيث تشكيل تصوراتهم وتكوين ثقافاتهم، ومن حيث عملهم على إصلاح أخطائهم، وتكوين مجتمعاتهم، ومن حيثُ حُسْن عرض القرآن والإسلام على الآخرين، والوقوف أمام الأعداء والمخالفين"(1) .

ويذكر الباحث بعض النقاط التي ذكرها العلماء المعاصرون في بيان أهمية التفسير الموضوعي، منها:

1- يُعَدُّ التفسير الموضوعي عاملاً أساسياً في حلّ مشكلات المسلمين المعاصرة، وتقديم الحلول لها على أساس القرآن.

2- يعتبر وسيلة ضرورية منهجية لتقديم القرآن تقديماً علمياً منهجياً لإنسان هذا العصر، وإبراز عظمة هذا القرآن.

3- يقومُ العلماء والباحثون من خلال هذا المنهج التفسيري بالوقوف أمام الأعداء وتفنيد أفكارهم الجاهلية.

4- تظهرُ به الحيويةُ الواقعية للقرآن، وتتحقق المهمّة العلمية الحركية للقرآن.

5- التفسير الموضوعي يتفق مع المقاصد الأساسية للقرآن، ويحققُ هذه المقاصد القرآنية في حياة المسلمين.

6- يتمُّ به تقديم مناهج الدعوة والحركة والإصلاح للدعاة والعاملين للإسلام.

7- ينفذ الباحثون به أمْرَ الله لهم بتدبّر القرآن، وإمعان النظر فيه ... (2) .

8- الوفاء بحاجات الناس في هذا العصر إلى الدين.

9- تصحيح مسار الدراسات الدينية، والعربية القائمة، وإصلاح مسارها، وضبطها على معايير قرآنية جامعة (3) .

10- عن طريقه يستطيع الباحث أن يبرز جوانب عديدة من وجوه إعجاز القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه (4) .

---

(1) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق – د . صالح الخالدي – ص 48 .

(2) انظر: المرجع السابق نفسه – ص 49 ، 50.

(3) انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي – د . عبد الستار فتح الله السعيد – ص 42 ، 51.

(4) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي – ص 31.

11- "التفسير الموضوعي يحقق دراسات وأبحاثاً قرآنية متخصّصة وفي مجالات متنوّعة يسهل الاطّلاع عليها وتحقيق الهدف والغاية منها"(1) .

12- التفسير الموضوعي الذي يتعلّق بالسورة القرآنية يؤكد الوحدة الموضوعية للسورة مهما تعددت القضايا المطروحة في السورة ... وهذا يجعل القاريء يمعن النظر في السورة؛ ليدرك ترابط قضاياها بوحدتها الموضوعية، ومدى ذلك الإنسجام والتناسب بين هذه القضايا.

13- التفسير الموضوعي الذي يتعلق بالمصطلح القرآني يكشف لنا بوضوح وجلاء مدى استعمال القرآن لهذا المصطلح، وما هي المعاني المختلفة التي تحملها هذه الكلمة القرآنية حسب السياق والمناسبة التي وردت فيها، وما هي الاشتقاقات والصيغ المستعملة لهذا المصطلح في القرآن الكريم، ممّا يُكَوِّنُ موضوعاً متكاملاً عنوانه هذا المصطلح (دراسة قرآنية) "(2) .

---

(1) مباحث في التفسير الموضوعي "نظرية وتطبيقاً " - د. عبد السلام اللوح، ود. عبد الكريم الدهشان - ص 45.

(2) المرجع السابق نفسه - ص 48 .

المبحـــث الثـــانـــي

المحور الرئيس والقضايا الفرعية في السورة

المطلب الأول: المحور الرئيس في السورة (تقرير العبودية لله تعالى)

من خلال استعراض آيات السورة والقضايا التي تتحدث عنها وجد الباحث أن الـسورة تتحـدّث عن محور رئيس، تدور حوله السورة كلّها بآياتها وقضاياها وموضوعاتها، وهذا المحور الرئيس هو " تقرير العبودية لله تعالى ".

هذا ما يلاحظه الباحث من خلال التوحيد، والشريعة، والأخلاق والسلوك، وحال الأمـم المؤمنين والكافرين.

ويظهر واضحاً من خلال هذه القضايا التي تطرحها السورة أنها لا تخرج عن محورها الرئيس الذي تدور حوله السورة كلّها، إنه تقرير العبودية لله تعالى. ويؤيد ذلك مـا ذهـب إليـه الإمام البقاعي مبيّناً أن الغرض الذي سيقت له الفاتحة هو إثبات اسـتحقاق الله تعـالى لجميـع المحامد، وصفات الكمال، واختصاصه تعالى بملك الدنيا والآخرة، وباستحقاقه عز وجل بالعبادة والاستعانة، والتضرع إليه تعالى بالثبات على صراط الفائزين من المؤمنين، واجتنـاب طريـق الهالكين من الكافرين، وموضّحاً أن مدار ذلك كلّه هو تقرير العبودية لله تعـالى وحـده، فهـو مقصود الفاتحة بالذات (1) .

هذه العبودية التي من أجلها خَلَق اللهُ الإنسَ والجنَّ ، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِـنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ (2) .

فأخبر الله تعالى – أن الحكمة والهدف من خلق الجن والإنس: هو أن يقوموا بعبـادة الله تعالى وطاعته، ومع ذلك فالله غنيٌّ عن عبادتهم، وإنما هم بحاجة دائمة إليه تعالى، لأنهـم هـم الفقراء إليه، فيعبدونه على وفق شريعته، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ**﴾ (3) . فَمنْ عَبَـدَ الله تعـالى بمـا شـرع فهو المؤمن الموحِّد، ومن عَبَدَه بغير ذلك فهو المستكبر المشرك (4) .

فالعبودية لله تعالى هي الغاية المقصودة من الخلق، والتي لها خُلقوا، ولهـا أُرسلـتْ

---

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – ج1 – ص 12.

(2) سورة الذاريات – الآيات (56 – 58).

(3) سورة فاطر –الآيات (15 – 17).

(4) انظر: عقيدة التوحيد – د. صالح الفوزان – ص 53.

الرسل، وأنزلت الكتب، ولأجلها خُلقتْ الجنة والنار، فالله لم يخلق الخلق عبثاً، ولم يتركهم سُدىً مُهْمَلين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ (1). أي "أفحسبتم أنما خلقناكم للإهمال كما خلقت البهائم ولا ثواب ولا عقاب ، وأنكم إلينا لا ترجعون بالبعث والنشور فنجازيكم بأعمالكم"(2).

ولقد جاء جميع الرسل والأنبياء لدعوة الخلق إلى ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، فإنهم كلّهم دعوا إلى العبودية لله تعالى، وإخلاص هذه العبودية له تعالى، من أول الأنبياء والمرسلين إلى آخرهم. فقال نوح – عليه السلام – لقومه : ﴿**...اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ...**﴾(3). وكذلك قال هود وصالح وشعيب وإبراهيم... (4). قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ...**﴾(5). أي، "ولقد بعثنا أيها الناس في كل أمّة سلفت قبلكم رسولاً كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له وأفردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة، وأبعدوا عن الشيطان، واحذروا أن يغويكم ويصدكم عن سبيل الله تعالى فتضلّوا " (6).

إذن العبودية هي أهم هدف لوجود الثقلين، وهي حجر الأساس الذي تقوم عليه الحياة، ولقد ذكر الله تعالى العبودية له في سورة الفاتحة والتي كانت من أوائل ما نزل من القرآن الكريم، وذلك قبل أن يُؤْمَرَ الناسُ بأيّ نوعٍ من العبادات، لما بين سورة الفاتحة والعبودية من ارتباط وثيق، وعلاقة وطيدة(7) .

ولهذا يقول الإمام محمد عبده (8): "والفاتحة بجملتها تنفخ روح العبادة في المتدبِّر لها، وروح العبادة هي إشراب القلوب خشية الله وهَيْبَته والرجاء لفضله. فقد ذُكِرَت العبادة في الفاتحة قبل ذكر الصلاة وأحكامها، والصيام وأيّامه، وكانت هذه الروح في المسلمين قبل أن

---

(1) سورة المؤمنون – الآية (115).

(2) فتح القدير– للشوكاني – ج 3 – ص 707.

(3) سورة الأعراف – الآية (59).

(4) انظر: مدارج السالكين – لابن قيم الجوزية – ج1 – ص 96 –100.

(5) سورة النحل – الآية (36).

(6) جامع البيان – للطبري – ج8 – ص 138.

(7) انظر: أم القرآن والسبع المثاني – لإبراهيم شلبي – ص 8.

(8) محمد عبده : ولد رحمه الله بإحدى قرى مديرية الغربية بمصر سنة 1323هـ، ودرس في الجامع الأحمدي في طنطا، ثم درس في الأزهر ونال على عالمية الأزهر من الدرجة الثانية، وأصبح المفتي العام لمصر.توفي سنة 1849هـ . انظر : (معجم الأدباء) – كامل الجبوري – ج 5 – ص 429 .

يُكَلَّفوا هذه الأعمال البدنية، وقبل نزول أحكامها التي فُصِّلت في القرآن تفصيلاً ما، وإنما الحركات والأعمال مما يتوسَّل به إلى حقيقة العبادة"(1) .

فسورة الفاتحة إذن هي سورة العبودية لله تعالى، ومحورها يدور حول هذا الموضوع، وسنرى من خلال استعراض آيات السورة وقضاياها مدى ارتباطها بهذا الموضوع الرئيس، والمحور الأساسي. وسيتعرّض الباحث لمفهوم العبادة في المباحث القادمة بشكل مُفصَّل.

(1) تفسير المنار – محمد رشيد رضا –ج1 – ص 37 ، 38.

المطلـــــب الثـــــاني

القضايا الفرعية في السورة وعلاقتها بمحور السورة الرئيس

القضية الأولى

التوحيد وعلاقته بمحور السورة

قال تعالى: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمـــنِ الرَّحِيمِ، مَالِـــكِ يَـــوْمِ الدِّينِ**﴾ (1) .

المعنى الإجمالي للآيات:

من رحمة الله – سبحانه وتعالى– أنْ علَّمنا أن نبدأ كل شيء باسم الله؛ لأن الله هو الاسم الجامع لصفات الكمال – سبحانه وتعالى– فباسمه يكون كل ابتداء، وباسمه تكون كـــل حركـــة، وكـــل اتجاه.. نستعين به جَلَّ وعلا في جميع أمورنا، طالبين منه وحده العون، فإنه الربّ المعبـــود ذو الفضل والجود، واسع الرحمة، كثير التفضّل والإحسان، الذي وسعت رحمته كلَّ شـــيء، وعَـــمَّ فضله جميع الأنام(2).

ثمَّ يرشدنا الله – تعالى – ويُعلِّمنا كيف نحمده ونثني عليه، فكأنه تعالى يقول لنا: قولوا يا عبادي إذا أردتم شكري وثنائي: (الحمد لله رب العالمين) اشكروني علـــى إحـــساني وجميلـــــي إليكـــم، فأنا ربّكم وخالقكم ورازقكم، أنا الله ذو العظمـــة والمجـــد والكمـــال، المتفـــرِّد بـــالخلق والإيجاد، ربُّ الإنس والجنّ والملائكة، ربُّ السموات والأرض، فالثناءُ والشكرُ لله وحـــده، دون ما يُعبد من دونه من الآلهة والأوثان(3).

إذن بهذا (الحمد) تنطلق المخلوقات كلها، فهو سبحانه أوجدها من العدم، وأعطاها خلقها بين المخلوقات، وقام عليها مُدَبِّراً وحافظاً: ﴿**...الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾(4). فحقَّ عليها أن تحمده، وتشكر له(5).

ثم وصف – سبحانه وتعالى – نفسه بأنه (رحمن) مُنْعِمٌ على عباده بجلائل النعم، وبأنـــه (رحيم) منعم عليهم بدقائق النعم، فرحمته تعالى دائمة متجدّدة لهم لا تنقطع، ولا تـــزول عـــنهم..

---

(1) سورة الفاتحة – الآيات (1–4).

(2) انظر: في ظلال القرآن– لسيد قطب – ج1 – ص 21، وتفسير الشعراوي– محمد متولي الشعراوي – ج1 – ص 46 ، وصفوة التفاسير– د . محمد علي الصابوني – ج1 – ص 23.

(3) انظر: قبس من نور القرآن الكريم – د. محمد علي الصابوني – ج1 – ص11.

(4) سورة طه – الآية (50) .

(5) انظر: التفسير القرآني للقرآن – للشيخ عبد الكريم الخطيب – ج1 – ص 18.

وقد أورد الله تعالى هاتين الصّفتين عقب وصف الربوبية، فهو من باب قرن الترغيب بالترهيب الذي هو أسلوب التنزيل الحكيم(1).

ثم وصف – سبحانه – نفسه بأنه (مالك يوم الدين) وهذا هو الوصف الثالث الدَّال على عظمة الله وجلاله، وعظيم سلطانه، فهو – سبحانه – المالك وحده للجزاء والحساب، المتصرِّف في يوم الدين – وهو يوم القيامة – تصرُّف المالك في ملكه والسلطان في رعيّته، لا يملك أحدٌ معه شيئاً من الجزاء والحساب: ﴿**يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**﴾ (2). فملكية الله تعالى ليوم الدين هي التي حَمَتْ الضعيف والمظلوم وأبقتْ الحقّ قائماً بيده. إن الذي منع الدنيا أن تتحوّل إلى غابة يفتك فيها القويّ بالضعيف، والظالم بالمظلوم، هو أن هناك آخرةً وحساباً، وأن الله – سبحانه وتعالى – هو الذي سيحاسب خلقه.. إذن الله – تعالى – يريد أن يُطمئن عباده بأنهم إذا أصابهم ظلم في الدنيا فإن هناك يوماً لا ظلم فيه، وهذا اليوم الأمرُ فيه لله وحده بدون أسباب، فكلّ إنسان لو لم يدركه العدل والقصاص في الدنيا فإن الآخرة تنتظره .

والذي اتّبع منهج الله وقيَّد حركته في الحياة بطاعة الله، يخبره – تعالى – بأن هناك يوماً سيأخذ فيه أجره، وعظمة الآخرة أنها تعطيك الجنة، نعيم لا يفوتك ولا تفوته، ولا ينقطع أبداً(3).

علاقة المقطع بمحور السورة:

واضح من هذه الآيات التي نصَّتْ صراحةً، وبشكل لا يحتمل التأويل أنها تتحدث عن توحيد الله تعالى.

فَبِدْءُ هذه السورة بالبسملة وهي قولنا: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ يدل على توحيد الله تعالى، حيث إن حصرك الابتداء بأيّ شيء مهم باسم الله تعالى، والاقتصار على هذا الاسم العظيم هو بحدّ ذاته إشارة إلى توحيد الله في عبوديته.

وقولنا: ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ هو أيضاً إشارة إلى توحيد الله تعالى، (فالحمد لله) إشارة إلى أنه تعالى مستحِقٌّ وحده للحمد والثناء، و(رب العالمين) إشارة إلى أن كل ما سواه مفتقر إليه تعالى، فوجود الخلق دليل على وجوده تعالى، فهو تعالى خالقهم ومُربِّيهم ومُتولِّي أمورهم... ويستحقُّ منهم أن يخصّوه بالعبادة دون غيره ممن لا يستحق العبودية.

وقولنا: ﴿**الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ إشارة إلى صفات الله تعالى، حيث وصف تعالى نفسه بكونه رحماناً رحيماً، فالمعبود رحيم بعباده.

---

(1) انظر: محاسن التأويل – للقاسمي – ج1 – ص 245، 247.

(2) سورة الانفطار – الآية (19).

(3) انظر: تفسير الشعراوي– محمد متولي الشعراوي – ج1– ص 68– 72، وقبس من نور القرآن الكريم – د . محمد علي الصابوني– ج1 – ص 12.

وقــولنا: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ إشارة إلى اليوم الآخــر.

فكون الإنسان يعرف أن لله تعالى الربوبية والرحمة والحساب فهذا يقتضي منه عبادته دوماً حتى يلقى الجزاء الحسن يوم الدين.

هذا التوحيد (توحيد العبودية لله تعالى) من أجله أرسل الله تعالى الرسل والأنبياء وكــان دعوتهم إلى هــذا التوحيد من لدن آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، **قــال تعالى:** ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾(1) .

فالأنبياء والمرسلون جاءوا لهدف عظيم وهو دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى وتوحيده. فالتوحيد شقيق العبادة، بل يصبُّ في العبودية لله تعالى بشكل مباشر، وهو خطوة عظيمة تــؤدِّي في النهاية إلى إفراده تعالى بالعبودية.

وسيتحــــدث البــاحــث عــن العبــادة فــي المبحــث القــادم بشيء مــن التفصيل.

(1) سورة الأنبياء – الآية (25).

القضية الثانية

الشريعة وعلاقتها بمحور السورة

قال تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ (1) .

مناسبة الآية لما قبلها:

لمَّا حمد المؤمنون الله – تعالى – على نعمائه وآلائه، ووصفوه تعالى بصفات الجلال والكمال أتْبعوا ذلك بقولهم: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ الذي هو واسطة جامع بين تمجيد الله تعالى وبين إظهار العبودية، وهي حظّ العبد بأنه عابد ومستعين، وأنه قَصَرَ ذلك على الله تعالى وحده (2) .

يقول إبراهيم شلبي: "وبعد أَنْ عَرَّف بالمعبود المحمود في ألوهيته وربوبيته، شرع في تقرير ما يبني عليه من علم الفروع وأساسه العبادات التي تحيي التوحيد في القلوب، وتغرسه في النفوس، وتثبّته في الوجدان؛ للدلالة على أن المستحق للعبادة والاستعانة هو الذي وضحت عظمته وتجلَّتْ أوصافه فيما سبق فقال: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾"(3) .

المعنى الإجمالي للآية:

هذه الآية الكريمة جاءت لتنبّه إلى اختصاص الله بالعبادة والإستعانة، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ألاَّ نعبد أحداً سواه؛ لأنه تعالى المنفرد بالعبادة، فلا ينبغي أن يشاركه فيها سواه، ولا أن يعظّم تعظيم المعبود غيره، فقال: (إياك نعبد)– كما أمرنا ألاّ نستعين بمن دونه ولا نطلب المعونة إلا منه تعالى، فقال: (وإياك نستعين)(4) "أي لا نطلب العون إلا منك وحدك، لأنَّ الأمر كله بيدك وحدك، ولا يملك أحد منه معك مثقال ذرة، وإتيانه بقوله : (وإياك نستعين) بعد قوله: (إياك نعبد) فيه إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يُتوكَّل إلاّ على مَنْ يستحقّ العبادة؛ لأنَّ غيره ليس بيده الأمر"(5) .

"وكذلك فيها إيحاء إلى أن الإنسان مهما أوتي من حصافة الرأي وحسن التدبير، وتقليب الأمور على وجوهها، فإنه لا يستغني عن العون الإلهي أبداً"(6).

---

(1) سورة الفاتحة – الآية (5).

(2) انظر: التحرير والتنوير – لابن عاشور – م1 – ج1– ص 187.

(3) أمّ القرآن والسبع المثاني – ص 94.

(4) انظر: تفسير المراغي – لأحمد مصطفى المراغي – ج1 – ص 33 ، 34.

(5) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – للشنقيطي – ج1 – ص 35.

(6) تفسير المراغي – ج1 – ص 34.

علاقة المقطع بمحور السورة:

هذا المقطع يتضمَّن علم الفروع أي الشريعة وأساس هذا العلم هو العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها من سائر العبادات....

ويؤيد ذلك ما قاله الإمام السيوطي حيث يقول: "وقوله: (إياك نعبد) مجمل شامل لجميع أنواع الشريعة الفروعية، وقد فُصِّلت في سورة البقرة أبلغ تفصيل، فذكر فيها: الطهارة والحيض والصلاة .. وطهارة المكان، والجماعة، وصلاة الخوف، وصلاة الجمع ..، والصوم وأنواع الصدقات، والبّر، والحج..، والجهاد، والأطعمة... فهذه أبواب الشريعة كلها مذكورة في هذه السورة"(1) .

فقوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ "قصر العبادة والاستعانة عليه وحده: فلا يقصد بالعبادة إلاّ وجهه الكريم، ولا تنحني الجباه، وتخّر راكعة وساجدة ذلاً وخضوعاً وإذعاناً وتسليماً .. رغبة ورهبة إلاّ له سبحانه وتعالى، فالصلاة والصيام والزكاة والحج وسائر العبادات له وحده.. ولا يستعان على أدائها أو قضاء الحوائج بوثن أو صنم يتقرَّب به إلى الله زُلفى، أو ببشر عاجز عن جلب الخير أو دفع الشر عن نفسه...."(2).

فأداء الشريعة على الوجه الأكمل يؤدي ذلك إلى تحقيق عبادة الله تعالى التي من أجلها خلق الله – تعالى – الكَوْنَ وما فيه من مخلوقات. فالعلاقة بين الشريعة والعبادة علاقة وطيدة متداخلة. فالذي يَدَّعِي العبادة لا بدَّ أن يقيم عليها الدليل والحجة والبرهان ولا يكون ذلك إلاّ من خلال الشريعة والقيام بمهامها، لذلك كانت الشريعة بمثابة إقامة الدليل على الدعوى، إذ بدون الدليل لا تقوم دعوى، بل سرعان ما تسقط في واقع العبد، فلا تتحقق العبودية لله في حياة ذلك الإنسان.

---

(1) تناسق الدرر في تناسب السور – للسيوطي – ص 67.

(2) أم القرآن والسبع المثاني – إبراهيم شلبي – ص 95.

القضية الثالثة

الأخلاق وعلاقتها بمحور السورة

قال تعالى: ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾(1) .

مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن حمد المؤمن ربَّه على نعمائه، وآمن به ربّاً وإلهاً، واستحضر عطاء الألوهية، ونِعَم الربوبية، وفيوضات رحمة الله – تعالى – على خلقه، وأعلن أنه لا إله إلا الله بقوله: (إياك نعبد) أي لا معبود سواك.. وأعلن أنه يستعين بالله وحده بقوله: (وإياك نستعين) فإنه قد أصبح من عباد الله المخلصين. ثم ناسب بعد ذلك أن يعلّمه الله – تعالى – كيف يتضرّع إليه بالدعاء والطلب، وأول ما يطلبه المؤمن بعد ذلك هو الهداية إلى الصراط المستقيم(2). وإن كان مهتدياً فالمراد هو الثبات على الهداية، والمزيد منها.

المعنى الإجمالي للآية:

يعلِّمنا – سبحانه وتعالى – في هذه الآية الكريمة، ويرشدنا إلى أن نتَضرَّع إليه – تعالى – بالدعاء الخالص لطلب الهداية منه إلى الصراط المستقيم الواضح الذي لا اعوجاج فيه. وفي معنى الهداية هنا وجوه: "أحدها: أن معناه: ثبِّتنا يا الله على الدين الحقّ الذي بعثت به أنبياءك ورسلك؛ لأنَّ الله – تعالى – قد هدى الخلق كُلَّهم إلاَّ أن الإنسان قد يَزِلُّ، وترد عليه الخواطر الفاسدة، فيحسن أن يسأل الله – تعالى– أن يثبّته على دينه الحقّ، ويُديمه عليه، ويعطيه زيادات الهدى التي هي إحدى أسباب الثبات على الدّين، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾(3) ... ثانيها: أن المراد: دُلَّنا يا ربّ وأرْشِدْنا إلى دينك الحقّ، وطريقك المستقيم في مستقبل العمر كما دَلَلْتَنَا عليه في الماضي"(4) .

علاقة المقطع بمحور السورة:

هذا المقطع يشير إلى علم الأخلاق والسلوك، فالهداية إلى الصراط المستقيم والدين القويم، والثبات عليه هو خلق عظيم، وسلوك نبيل.

فالأخلاق تُعَدُّ من الدعائم الأساسية لهذا الدين العظيم، حيث إنها تهتمُّ بترسيخ الشعور الديني في نفس الإنسان، وأول مظهر لهذا الشعور هو تقرير العبودية لله تعالى (5) .

---

(1) سورة الفاتحة – الآية (6).

(2) انظر: تفسير الشعراوي– محمد متولي الشعراوي – ج1 – ص 84.

(3) سورة محمد – الآية (17).

(4) مجمع البيان في تفسير القرآن – للطبرسي – ج1 – ص 58 (باختصار) .

(5) انظر: القيم الخلقية في الإسلام – د. أحمد البقري – ص 12، 13.

فالإنسان يُوزَنُ بأخلاقه وسلوكه، ولا يوزن بماله أو جاهه أو منصبه أو جماله.. فالأخلاق ترتبط بعبادة الله تعالى ارتباطاً وثيقاً، ويدلّ على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**إنما بعثت لأتمّم صالح الأخلاق**"(1).

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً: "**أتدرون ما المفلِّس؟ قالوا: المفلّس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلّس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنيتْ حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**" (2).فعبادة الله تعالى إذا جُرِّدت من الأخلاق فإنها لا تنفع صاحبها شيئاً (3).

والأخلاق الحسنة هي محصلة العبادات في الإسلام، وما هي إلا الترجمة العملية، والممارسة التطبيقية لعبادة الله تعالى الراسخة في أعماق نفوس الناس، وبدون هذه الأخلاق الحسنة تبقى العبادات عبارة عن عادات وطقوس لا قيمة لها، ولا فائدة(4)، قال تعالى: ﴿**..إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ..** ﴾ (5). وقال تعالى: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ...** ﴾ (6) .

يقول النسفي: "ثم حثَّ على الخير عقيب النهي عن الشّر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن، ومكان الفسوق البر والتقوى، ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة بقوله تعالى: ﴿**وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ...**﴾"(7).

فإخلاص العبودية لله تعالى حين تتمكّن وترسخ في النفوس، فإنها تجعل الإنسان على اتصال دائم بربّه، يراقبه في كل أحواله، فالله تعالى دائماً يراه، ومن ثَمَّ ينعكس أثر هذه المراقبة لله تعالى في أخلاقه حيث يصبح سلوكه في دنياه مطابقاً لعبادته الخالصة لله، فيمضي على صراط مستقيم هدايةً من الله تعالى.

---

(1) مسند أحمد – ج9 – ص 56 – حديث (8932). قال حمزة الزين في تخريجه للمسند: إسناده صحيح .

(2) صحيح مسلم – كتاب البّر(45) – باب "تحريم الظلم"(15) – ص 1285 – حديث (2581) .

(3) انظر: الأخلاق في الإسلام – د. كايد قرعوس وآخرون – ص 23، 24.

(4) انظر: ماذا يعني انتمائي للإسلام – فتحي يكن – ص 38 ، 39.

(5) سورة العنكبوت – الآية (45).

(6) سورة البقرة – الآية (197).

(7) مدارك التنزيل وحقائق التأويل – ج1 – ص 112.

القضية الرابعة

بيان أحوال الأمم وعلاقته بمحور السورة

قال تعالى: ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾ (1) .

مناسبة الآية لما قبلها:

لما سأل المؤمنون الله تعالى الهداية إلى الصراط المستقيم ناسب أن يعقبه ببيان هذا الصراط المستقيم، وهو طريق مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عليهم من النبيين والصِّديقين والشهداء والصالحين، وليس طريق اليهود الذين غضب الله عليهم بسبب أفعالهم القبيحة، ولا طريق النصارى الذين ضلوا عن الهداية بسبب معتقداتهم الباطلة، وأفعالهم السيئة.

المعنى الإجمالي للآية:

هذه الآية الكريمة جاءت لتوضيح وبيان المراد بالصراط المستقيم، حيث بيَّنت أنه صراط الذين مَنَّ الله عليهم بطاعته وعبادته من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (2) ."فأنت حين تقرأ هذه الآية الكريمة فأنت تطلب من الله تبارك وتعالى أن تكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين... أي أنك تطلب من الله –جل جلاله– أن يجعلك تسلك الطريق نفسه الذي سلكه هؤلاء لتكون معهم في الآخرة، فكأنك تطلب الدرجة العالية في الجنة؛ لأن كل مَنْ ذُكِروا – من الذين أنعم الله عليهم– لهم مقام عالٍ في جنة النعيم. وهكذا فإن الطلب من الله – سبحانه وتعالى– هو أن يجعلك تسلك الطريق الذي لا اعوجاج فيه؛ والذي يوصلك في أسرع وقت إلى الدرجة العالية في الآخرة "(3). وتطلب منه – تعالى– ألا تسلك طريق الذين غضب الله عليهم من اليهود ومن سار على نهجهم؛ وذلك لأنهم عرفوا الحقّ ثم حادُّوا عنه، ولا طريق الذين ضلوا عن الحقّ فلم يهتدوا إليه من النصارى ومن تبعهم...

علاقة المقطع بمحور السورة الرئيس:

إن هذا المقطع يتضمّن بيان أحوال الأمم: مؤمنين وكافرين، سعداء وأشقياء؛ فالمؤمنون والسعداء أُشِير إليهم بقوله: ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ**﴾ والكافرون والأشقياء أُشِير إليهم بقوله: ﴿**غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾ حيث أشير إلى الفريقين في هذه السورة بطريق الإجمال، وكل ما جاء في القرآن الكريم من بيان أحوال المؤمنين والكافرين قد فصَّل هذا الإجمال. والغرض من ذكر هؤلاء،وبيان مصيرهم وأحوالهم هو أخذ العبرة والعظة من قصصهم وأحوالهم، حتى

---

(1) سورة الفاتحة – الآية (7).

(2) انظر: جامع البيان– للطبري – ج1 – ص113.

(3) تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي – ج1 – ص87 .

يسير الناس على منهج أهل الإيمان والصلاح، ويبتعدوا عن منهج وطريق أهل الكفر والضلال، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (1) .

أي لقد كان في قصص الأمم وبيان أحوالهم فكرة وتذكرة وعظة لأصحاب العقول النيِّرة (2) .

وكما قال تعالى أيضاً : ﴿ **وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (3) .

يقول محمد عبده – رحمه الله– :" فإذا امتثلنا الأمر والإرشاد، ونظرنا في أحوال الأمم السالفة، وأسباب علمهم وجهلهم، وقوتهم وضعفهم، وعزّهم وذلّهم، وغير ذلك مما يعرض للأمم، كان لهذا النظر أثر في نفوسنا يحملنا على حسن الأسوة، والاقتداء بأخبار تلك الأمم فيما كان سبب السعادة والتمّكن في الأرض، واجتناب ما كان سبب الشقاوة أو الهلاك والدّمار... "(4) .

إذن بيان أحوال المؤمنين الذين أنعم الله عليهم بنعمائه العظيمة، وبيان حال الكافرين الذين غضب الله عليهم وضلوا عن سواء السبيل... هذا كُلُّه يجعل الإنسان يتَّعِظ ويعتبر من هؤلاء، ويهتدي إلى الصراط المستقيم، ويزداد عبوديةً لله تعالى، وطاعة وقربة منه؛ وهذا مما يحقِّق العبودية لله تعالى كما يريد الله، وقد أراد اللهُ أن نسير على صراط مَن أنعم عليهم، وليس على صراط مَنْ غضب عليهم، ولا صراط مَنْ ضلُّوا وانحرفوا عن دين الله. إنها العبودية الخالصة لله – تعالى – من كلّ غضب أو ضلال.

---

(1) سورة يوسف الآية (111).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج9 – ص 227 .

(3) سورة هود – الآية (120).

(4) تفسير المنار – محمد رشيد رضا – ج1 – ص67 .

المبحث الثالث

أهم الموضوعات التي تناولتها السورة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول : حمد الله تعالى على آلائه.

المطلب الثاني: أدلة التوحيد في السورة.

المطلب الثالث : الإيمان بيوم الدين .

المطلب الرابع : عبادة الله والاستعانة به .

المطلب الخامس : هداية الله للإنسان .

المطلب السادس : الاعتصام والتمسك بالصراط المستقيم .

المطلب الأول

حمد الله تعالى على آلائه.

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول :آية الحمد في السورة .

الفرع الثاني : حقيقة الحمد لله تعالى وفضله .

الفرع الثالث : الفرق بين الحمد والشكر والمدح في المعنى .

الفرع الأول

آية الحمد في السورة

تُعَدُّ سورة الفاتحة – كما ذُكِرَ في المباحث السابقة – أول سورة من السور الخمس التي ابتدأت بحمد الله تعالى ، والثناء عليه.

وفي هذا البدء الكريم، تعليمٌ للخلق كيفية حمد الله تعالى، والثناء عليه، بما يستحقُّه عزّ وجل من الثناء و التمجيد ، فكأنَّ الله تعالى يريد أن يُعَلِّمَ عباده ، ويقول لهم:قولوا يا عبادي إذا أردتم حمدي وثنائي وتمجيدي (الحمد لله ربّ العالمين) احمدوني على إحساني وتفضّلي عليكم بالنعم العظيمة،فأنا ربكم ومالككم وخالقكم وأنا رب الخلق أجمعين(1) .

فهذه الآية الكريمة تتكوّن من قسمين : (الحمد لله) و(ربّ العالمين) فـ(الحمد لله) "هو التحدّث على وجه التمجيد بصفات المحمود الجميلة.

وهو مرادف لكلمة"الثناء" ... و(أل) في كلمة "الحمد" إما للاستغراق فهي تعمّ كل أجناس الحمد و أنواعه وصفاته وأفراده. [وإمّا للكمال أي الحمد الكامل لله تعالى، وإمّا للعهد: أي نحمد الله بالحمد المعهود بيننا .] فالحمد لله يتناول تمجيده تعالى بصفاته الوجودية التي هي من ذاته، وبصفات أفعاله ، فيشمل الثناء على الله عز وجل بكّل صفاته، وأسمائه الحسنى ما علمنا منها وما لم نعلم. ويتناول – أيضاً – تنزُّهُهُ تعالى عن كل الصفات التي لا تليق بجلاله ما علمنا منها وما لم نعلم، فله الحمدُ لبراءته منها، وتنزُّهِهِ عنها ... فمعنى عبارة (الحمد لله) كل الحمد ما نستطيع تصوُّرَه. وما لا نستطيع تصوّره من صفات ذات الله ، وصفات أفعاله، وعلى براءة الله من كّل الصفات التي لا تليق بجلاله هو لله ملكاً أو اختصاصاً.

ويلزم من كون كل الحمد لله تفرّدُه بهذا الحمد، فلا يشاركه في كمال الحمد شيءٌ في الوجود، وهذا يتضمَّن الإعلان عن توحيد الله في ذاته، وفي صفاته و أسمائه الحسنى" (2) .

و(ربّ العالمين) "في هذا الوصف للذات العليّة إشارة إلى سبب الحمد الكامل، الدائم المستمرّ المتجدّد؛ لأنه هو المالك و السيّد، والمربِّي لهم، والرقيب عليهم، الذي ميَّزهم بالنعم المستمرة، والآلاء المتكررة التي لا تنقطع أبداً .

فالربّ هو المالك، وهو السّيد، وهو المصلح والمدبّر، والقائم على كل شيء، الذي يُسيِّر الوجود كلّه بحكمته، وبقدره و إرادته ... فهو ربّ الملائكة والإنس والجنّ جميعاً، وهو ربُّ كل شيء، هو الذي ربَّاهم وأصلحهم، ودبَّر أمورهم"(3).

---

(1) انظر : قبس من نور القرآن الكريم – د . محمد علي الصابوني – ج1 – ص11 .

(2) معارج التفكر و دقائق التدبر – د . عبد الرحمن حبنكة الميداني – ج1 – ص287 ، 288 (باختصار) .

(3) زهرة التفاسير – للشيخ محمد أبو زهرة – ج1 – ص57 ،58 (باختصار) .

ومما يجدر الإشارة به أن هناك آياتٍ كريمةً مبثوثة في القرآن الكريم تضمّنت هذه الآية : ﴿ **الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ .

ففي سورة يونس يقول تعالى : ﴿**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (1).

وكذلك في سورة الزمر يقول تعالى : ﴿**وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (2).

وكذلك في سورة غافر : ﴿**هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (3) .

---

(1) الآية (10) .

(2) الآية (75) .

(3) الآية (65) .

الفرع الثاني

حقيقة الحمد لله تعالى و فضله

أولاً : حقيقة الحمد لله تعالى :

الحمد في اللغة : نقيض الذم، يقال حَمِدَه حَمْداً ومَحْمَداً ومَحْمَدَةً ومَحْمِداً ومَحْمِدَةً (1) . و الحمد : الثناء بالجميل(2). والحمد مصدر سماعي لفعل حَمَدَ يَحْمُد باب نصر، وزنه فَعْل بفتح فسكون(3)؛ فلذلك لا يُثنَّى ولا يجمع، و قيل : جُمِعَ على " أفعل " (4) .

والحمد في الاصطلاح : "هو الثناء على الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها "(5) .

و الحمد ليس ألفاظاً تُردَّد باللسان فقط ، ولكنها تمرّ أولاً على العقل ليعي معنى نعم الله ، ثم بعد ذلك تستقرُّ في القلب فينفعل بها ، ثم تنتقل إلى الجوارح فيقوم الإنسان إلى طاعة الله تعالى شاكرًا له، ويهتزُّ جسده كلّه وتفيض الدمعة من عينه ... وينتقل هذا الانفعال كلّه إلى مَنْ حوله من الناس بل على الكون كلّه : وعندها يتحقّق المعنى الحقيقي للحمد ... فالله تعالى محمود لذاته، ومحمود لصفاته ، ومحمود لنعمه، ومحمود لرحمته، ومحمود لفضله،... فهو تعالى محمود قبل أن يخلق مَنْ يحمده ويشكره.. ومن رحمته تعالى وفضله على خلقه أن جعل حمده في كلمتين اثنتين هما : (الحمد لله) فالخلق جميعهم متساوون في هذه الصيغة لا فرق بين المتعلم وغير المتعلّم، وبين البليغ، وغير البليغ ... فالكلّ يقول :(الحمد لله). لذلك فنحن نحمد الله تعالى على أنه علّمنا كيف نحمده وكيف نشكره، وليظلّ العبد دائماً حامدًا، ويظلّ الله دائمًا محمودًا ..(6) .

"فالحمد كلُّه هو مِلْكُ الله وهو حقّه؛ لأنه وحده تعالى الذي له صفات الكمال، وهو وحده المنزَّه عن كل صفات النقصان، وكلّ ما سوى الله – عز وجل– ليس له من صفاتِ كمالٍ يُثْنَى عليه بها.. فكلُّ المحامد ترجع إليه تعالى"(7) .

ولمزيد معرفة حقيقة الحمد يذكر الباحث بعض أقوال العلماء في الحمد :

1– عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قد عَلِمْنَا سبحانَ اللهِ ولا إله إلا الله ، فما الحمد لله ؟ فقال عليّ رضي الله عنه : كلمة رَضِيَها اللهُ– تعالى– لنفسه.

---

(1) انظر : لسان العرب – لابن منظور – ج3 – ص155 .

(2) انظر: المعجم الوسيط – لإبراهيم مصطفى و آخرين – ص218 .

(3) انظر:الجدول في إعراب القرآن و صرفه و بيانه مع فوائد نحوية هامة – محمود صافي – ج1 – ص23 .

(4) انظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – للسمين الحلبي – ج1 – ص64 .

(5) التعريفات – للجرجاني – ص93 .

(6) انظر : تفسير الشعراوي– محمد متولي الشعراوي – ج1 – ص55 –61 .

(7) معارج التفكر و دقائق التدبر – د . عبد الرحمن حبنكة الميداني – ج1 – ص289 .

2- قال ابن عباس – رضي الله عنهما : " الحمد لله كلمة الشكر ، وإذا قال العبد: الحمد لله ،قال : شكرني عبدي . ذكرهما الشوكاني في تفسيره (1) .

3-" قال الحسن البصري : ما من نعمة إلاّ و الحمد لله أفضل منها .

4- يُذْكَرُ عن جعفر الصادق(2) في قوله: (الحمد لله) من حمده بصفاته كما وصف نفسه فقد حمد ؛ لأن الحمد حاء وميم ودال ، فالحاء من الوحدانية، و الميم من الملك ، و الدال من الديمومية ، فَمَنْ عرفه بالوحدانية و الديمومية والملك فقد عرفه ، وهذا هو حقيقة الحمد لله .

5- قال شقيق بن إبراهيم (3) : (الحمد لله) هو على ثلاث أوجه : أولها : إذا أعطاك الله شيئاً تعْرِفُ مَنْ أعطاك .والثاني : أن ترضى بما أعطاك ،و الثالث : ما دَامت قوّته في جسدك ألا تعصيه فهذه شرائط الحمد (4).

6-" قال الشيخ داود القيصري (5) : الحمد قوليٌّ ، وفعليٌّ ، وحاليٌّ ، أمّا القوليُّ فحمد اللسان وثناؤه عليه بما أثنى به الحقّ على نفسه، وعلى لسان أنبيائه عليهم السلام، وأمَّا الفعليُّ فهو الإتيان بالأعمال البدنية من العبادات و الخيرات ابتغاء لوجه الله تعالى ،وتوجّهاً إلى جنابه الكريم؛ لأن الحمد كما يجب على الإنسان باللسان ، كذلك يجب عليه بحسب كل عضو وعند كلّ حال من الأحوال كما قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " **الحمد لله على كلّ حال**"(6).

وذلك لا يمكن إلا باستعمال كلّ عضو فيما خلق لأجله ،على الوجه المشروع عبادةً للحقِّ تعالى وانقياداً لأمره ،لا طلباً لحظوظ النفس و مرضاتها ،و أمَّا الحاليُّ فهو الذي يكون

---

(1) فتح القدير – للشوكاني – ج1 – ص20 .

(2) جعفر الصادق : أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي [زين العابدين] بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان مشغولاً بالعبادة عن حب الرياسة . كان يُلقَّب بالصادق، توفى بالمدنية سنة 148هـ . انظر : (صفوة الصفوة) لابن الجوزي – ج1 – ص391 .

(3) شقيق بن إبراهيم البلخي : يكنى أبا علي هو شقيق بن إبراهيم الأزدي ، البلخي، كان إماماً زاهداً ورعاً، شيخ خرا سان ، صحب إبراهيم بن أدهم، قتل في غزوة كولان سنة 194هـ . انظر : (سير أعلام النبلاء) – ج8 – ص200 .

(4) انظر:الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج1 – ص131 – 134، وتفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج1 – ص22 .

(5) داود القيصر ي : داود بن محمود بن محمد شرف الدين القيصري ، أديب ، من علماء الروم من أهل قيصرية، له تصانيف كثيرة ، منها " شرح الخمرية لابن الفارض " توفي سنة 751هـ . (معجم الأدباء) – كامل الجبوري – ج2 – ص349 .

(6) سنن الترمذي – كتاب الأدب (40) – باب ما يقال العاطس إذا عطس (2) – ج4 – ص500-حديث (2738) – و قال : هذا حديث غريب.

بحسب الروح والقلب، كالاتصاف بالكمالات العلمية و العملية، و التخلّق بالأخلاق الإلهيــة؛ لأن الناس مأمورون بالتخلّق بأخلاق الله تعالى "(1) .

والحمد الحقيقي لا يتحقّق إلا بعدّة أمور، منها:

1- توحيد الله في أزليّته، وفي ذاته وصفاته، وأسمائه الحسنى، وهذا هو الأساس العظــيم لكــلّ أركان الإيمان .

2- الاعتراف الكامل باللسان والقلب والجوارح بكلّ نعم الله العظيمة على الإنسان علــى وجــه المحبّة والخضوع .

3- التحدّث بنعم الله تعالى وإظهارها، والإخبار بها ونشرها، وعدم كتمها وإنكارها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**وأمّا بنعمة ربّك فحدّث**﴾ (2) . ولقوله صلى الله عليه وسلم : " **إن الله يحبّ أن يرى أثر نعمته على عبده** " (3) .

4- دوام القلب وثبوته على محبة المنعِم والثناء عليه ، واستمرار الجوارح على طاعته ،والكفّ عن معصيته ، وجريان اللسان بذكره(4) .

لذا كان من الواجب على كُــلِّ إنــسان مــسلم أن يحمــد ربّــه تعــالى دائمــاً علــى نعمائه و آلائه العظيمة في كل صغيرة وكبيرة ، و في الــسّراء و الــضراء، وفــي المنــشط والمكره... وأن يــزداد قربــة ومحبةً لله تعالى، وعليه أن يبتعد عن كــلّ مــا يغــضب الله تعالى، ولا يجحد نعمته عليه ولا ينكرها .. فنسأل الله تعالى أن يديمنا على حمده وشــكره، وأن يجنّبنا جحود نعمته وآلائه .

ثانيا : فضل الحمد لله تعالى :

وردت الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة تُبيّن فضل الحمد .

فمن الآيات : قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ...**﴾ (5). حيث جعــل اللهُ الحمدَ مفتاح كلام أهل الجنة(6).

---

(1) تنوير الأذهان – للبروسوي – ج1 – ص13 .

(2) سورة الضحى – الآية (11) .

(3) سنن الترمذي – كتاب الأدب (40) – باب ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (54)– ج4 – ص535 – حديث(2819) – وقال عنه: هذا حديث حسن.

(4) انظر : مدارج السالكين – لابن قيم الجوزية – ج2 – ص234–239 .

(5) سورة الزمر – الآية (74) .

(6) انظر : إحياء علوم الدين – للغزالي – ج4 – ص77 .

وقوله تعالى أيضاً : ﴿**...وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ**﴾ (1) والحمـد لله تجلب لنا المزيدَ من نعم الله وآلائه مصداقاً لقوله تعالى : ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيـدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ (2) . ولقد وعد الله الشاكرين و الحامدين له بالجزاء العظيم حيث يقول تعالى: ﴿**...وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**﴾ (3).

ومن الأحاديث الشريفة :

1- بَيَّن الرسولُ صلى الله عليه وسلم أن خير الخلق وأنفعهم إلى الله تعالى يوم القيامة أكثـرهم حمداً لله تعالى، حيث يقول:"**إن خير عباد الله يوم القيامة الحمّادون**"(4) .

2- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :- قال رسول الله صلى الله عليـة وسـلم : "**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليه** " (5).

3- وعـن أبـي مـالك الأشعـري رضـي الله عنه قال : قال رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم :" **الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك . كل الناس يغدو فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها** " (6).

4- وعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم، فيقـول: فمـاذا قـال عبدي؟ فيقولون: حَمِدَكَ واسترجع، فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمُّوه بيت الحمد** " (7) .

لذا كان افتتاح الكلام بحمد الله تعالى سنة القرآن الكريم، لكلّ فصيح مُجيد، ولكلّ خطيب بليغ، " فلم يزل المسلمون منذ ذلك الوقت يلقِّبون كل كلام نفيس لم يشتمل كلام في صدارته على الحمد لله تعالى بالأبتر أخذاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليـه

---

(1) سورة يونس – الآية (10) .

(2) سورة إبراهيم – الآية (7) .

(3) سورة آل عمران – الآية (145) .

(4) مسند أحمد – ج15 – ص69 – حديث(19781) – قال حمزة الزين في تخريجه للمسند : إسناد صحيح .

(5) صحيح مسلم – كتاب الذكر والدعـاء والتوبة والاستغفار (48) – باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب (24) –ص1352–حديث (2734) .

(6) صحيح مسلم – كتاب الطهارة (2) – باب فضل الوضوء (1) – ص129 – حديث (223) .

(7) سنن الترمذي – كتاب الجنائز (7) – باب فضل المصيبة إذا احتسب (36) – ج3 – ص222 – حـديث (1021) – و قال : هذا حديث حسن غريب .

وسلم : " **كُلُّ كلام لا يُبْدأ فيه الحمد لله فهو أجذم** "(1).

وقد لُقِّبتْ خطبة زياد بن أبي سفيان (2) التي خطبها بالبصرة بالبتراء؛ لأنه لـم يفتتحهـا بالحمد"(3).

والله نسـأل أن يجعلنـا مـن عبـاده الحـمّادين لنعمـه و آلائـه .

(1) سنن أبي داود – كتاب الأدب – باب الهدى في الكلام – م2 – ج4 – ص262– حـديث (4840)، قـال الألباني : حديث ضعيف . حيث ذكره في ضعيف الجامع – ص617 – حديث (4245) .

(2) زياد بن أبي سفيان : هو زياد بن أبي سفيان، و يقال له : زياد بن أبيه، وزياد بن سمية (وهي أمه)، كـان أميراً على العراق في خلافة معاوية . توفي سنة 53 هـ . انظر : (البداية والنهاية) – لابن كثير – ج 8 – ص 57 .

(3) التحرير و التنوير – لابن عاشور – م1 – ج1 – ص154 .

الفرع الثالث

الفرق بين الحمد والشكر والمدح في المعنى

تعددت آراء المفسرين والعلماء في بيان الفرق بين هذه المصطلحات الثلاثة، وسيعرض الباحث بعض هذه الآراء.

1- **فقد ذهب الإمام الطبري إلى :** أن الحمد والشكر بمعنى واحد؛ لأنه يصحّ أن يقال : الحمد لله شكراً. وأن الحمد قد يُوضَع في موضع الشكر، وأن الشكر قد يوضع موضع الحمد (1) .

2- **وذهب الإمام الزمخشري إلى:** أن الحمد والمدح أخوان، وهو الثناءُ والنداء على الجميل من نعمةٍ وغيرها، تقول : حَمَدْتُ الرجلَ على إنعامه وحمدته على حَسَبِه و شجاعته، وأما الشكر فعلى النعمة خاصة، وهو يكون بالقلب واللسان والجوارح .. والحمد يكون باللسان وحده؛ فهو إحدى شُعَبِ الشكر ... والحمد نقيضه الذم، والشكر نقيضه الكفران(2) . والمدح نقيضه الهجاء . وإلى مثل هذا الرأي ذهب الإمام شهاب الدين المعروف (بالسمين الحلبي) في تفسيره (3)، وكذلك الإمام النسفي والشوكاني في تفسيرهما(4).

3- **وذهب الإمام القرطبي إلى :**أن الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان، والشكر ثناء على المشكور بما أولى من الإحسان . وعلى هذا الحدّ ، فالحمد أعمّ من الشكر؛ لأن الحمد يقع على الثناء وعلى التحميد وعلى الشكر؛ و لأن الحمد يوضع موضع الشكر، ولا يوضع الشكر موضع الحمد (5) .

4- **ذهب الإمام الرازي إلى :** أن هناك فرقاً بين المدح والحمد والشكر ، حيث إن المدح أعمّ من الحمد، والحمد أعمّ من الشكر . أما بيان أن المدح أعمّ من الحمد ؛ فلأن المدح يحصل للعاقل ولغير العاقل ، ألا ترى أنه كما يحسن مدح الرجل العاقل على أنواع فضائله ، فكذلك قد يمدح اللؤلؤ لحسن شكله، و لطافة خلقته .. ويستحيل أن يحمدها . أما الحمد فإنه لا يحصل إلاّ للفاعل المختار على ما يصدر منه من الإنعام والإحسان، وأن المدح قد يكون قبل الإحسان، وقد يكون بعده، أما الحمد فإنه لا يكون إلا بعد الإحسان، وأن المدح قد يكون منهياً عنه، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " **إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب**"(6).

---

(1) انظر : جامع البيان – ج1 – ص91 .

(2) انظر : الكشاف – ج1 – ص15 ،16 .

(3) انظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – ج1 –ص63 .

(4) انظر : مدارك التنزيل و حقائق التأويل– ج1 – ص8 ، وفتح القدير– ج1 –ص19.

(5) انظر : الجامع لأحكام القرآن – ج1 – ص133، 134 .

(6) صحيح مسلم – كتاب الزهد (53) – باب النهي عن الإفراط في المدح إذا خيف منه فتنة الممدوح (15) – ص1477 – حديث (3002) .

أمّا الحمد فـــإنه مأمور به مطلقاً ..." (1) .

وأضاف الإمام الألوسي بعض الأمور الأخرى في بيان الفرق بين المدح والحمد، حيـــث ذهب إلى " أن الحمد يشترط صدوره عن علم لا ظنّ، وأن تكون الـــصفات المحمـــودة صـــفات كمال، أما المدح قد يكون عن ظنّ، وبصفة مستحسنة وإن كان فيها نقص ما، وأن في الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح، وهو أخصّ بالعقلاء والعظماء وأكثـــر إطـــــلاقاً علـــى الله تعالى، و أن الحمد إخبار عن محاسن الغير مع المحبة والإجلال، والمدح إخبار عن المحاســـن . ولذا كان الحمد إخبارًا يتضمّن إنشاءً، والمدح خبرًا محضًا "(2) .

أما بيان أن الحمد أعمّ من الشكر،" فلأن الحمد عبارة عن تعظيم الفاعل لأجل ما صدر عنه مـــن الإنعام سواء كان ذلك الإنعام واصلاً إليك أو إلى غيرك، و أمّا الشكر فهو عبارة عـــن تعظيمـــه لأجل إنعام وصل إليك وحصل عندك " (3) .

5- **ذهب ابن كثير إلـــى :** أن بين الحمد والشكر عمومًا وخصوصاً، فالحمد أعمّ من الشكر مـــن حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدّيـــة، تقـــول : حمدتـــه لفروســـيته وحمدته لكرمه، وهو أخصّ لأنه لا يكون إلاّ بالقول، والشكر أعمّ لأنه يكـــون بـــالقول والفعـــل والنيّة، وهو أخصّ لأنه لا يكون إلاّ على الصفات المتعدّية، لا يقال: شكرته لفروسيته : وتقول : شكرته على كرمه و إحسانه إليّ " (4) .

6- **ذهب ابن قيم الجوزية** في بيان الفرق بين الحمد والشكر : أن (الشكر) أعـــمّ مـــن جهـــة أنواعه و أسبابه، وأخصّ من جهة متعلقاته .

و(الحمد) أعمّ من جهة المتعلقات، وأخصّ من جهة الأسباب، ومعنى هذا : أن الـــشكر يُكَوِّن في القلب خضوعاً واستكانة، وباللسان ثناءً واعترافاً، وبالجوارح طاعةً وانقيادًا، ومتعلّقه : النّعم، دون الأوصاف الذاتية؛ فلا يقال : شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمـــه، وهـــو المحمود عليها، كما هو محمود على إحسانه و عدله، والشكر يكون على الإحسان والنّعـــم .

فكلّ ما يتعلّق به الشكر يتعلّق به الحمد من غير عكس، وكلّ ما يقع به الحمد يقـــع بـــه الشكر من غير عكس، فإن الشكر يقع بالجوارح، والحمد يقع بالقلب و اللسان" (5).

7- **ذهب الشيخ محمد أبو زهرة إلى :** أن هناك فرقاً بين الحمـــد والمـــدح، وذلـــك بـــاختلاف الموضوع والباعث، حيث إن الباعث في الحمد أعمال الإنعام والخير، والباعـــث علـــى المـــدح

---

(1) التفسير الكبير – م6 – ج12 – ص118 .

(2) روح المعاني – ج1 – ص70 .

(3) التفسير الكبير – م1 – ج1 – ص178 ، 179 .

(4) تفسير القرآن العظيم – ج1 – ص22 .

(5) مدارج السالكين – ج2 – ص237 .

الشخص والذات، فيقال : مدحت الصفات الطيّبة في فلان ، ولا يقال : حمدتها ، وإنما يقال : حمدت الله– تعالى – ومدحت خصال فلان .. أما الشكر و الحمد ، فالحقّ أنهما يتلاقيان ويختلفان فيتلاقيان في معنى الإحساس بالنعمة والقيام بحقّها ، وما يجب بالنسبة للمنعم، ولكنهما يختلفان في القيام بحقّ المنعم.

فالقيام بحقّ المنعم في الشكر الطاعة والعمل وجعل الجوارح كلّها في طاعة الله تعالى، والخضوع المطلق لله تعالى في كل شأن من شئونه، وحال من أحواله.

والقيام بحقّ المنعم في الحمد الثناء على الله تعالى ثناء مطلقاً كاملاً مع تذكّر نعمائه، وتذكّر ما يحيطه من الوجود كلّه... والحمد ذاته عبادة، والشكر يكون على النعمة وبالمثابرة على الطاعة والعبادة... ومهما يكن فالألفاظ الثلاثة متقاربة في مؤدَّاها، وإن تخالفت في مدلولاتها "(1) .

من هذه الآراء للعلماء نستنتج أن هناك تبايناً بينهم، فمنهم من رأى أن الحمد والشكر شيء واحد كالطبري ومن معه، ومنهم من رأى أن الشكر أعم من الحمد كالزمخشري ومن معه، ومنهم من رأى أن الحمد أعمّ من الشكر كالرازي والقرطبي .

ومنهم من فصّل في ذلك كابن كثير وابن القيم، ومحمد أبو زهرة، وهكذا... ويميل الباحث إلى ما ذهب إليه الإمام الزمخشري ومن وافقه أن الشكر أعمّ من الحمد . فالشكر يكون باللسان أو القلب أو الجوارح بخلاف الحمد فإنه يكون باللسان فقط .

وكذلك الشكر عام سواء كان لله تعالى أو لغيره، قال تعالى : ﴿ **...وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾(2) . وقال الرسول صلى الله عليه و سلم: " **من لا يشكر الناس لا يشكر الله** " (3) .

و أما الحمد فهو خاصٌ بالله تعالى وحده .

أما بالنسبة للمدح فإن الباحث يميل إلى رأي الإمام الرازي بأن المدح أعمّ من الحمد وأعمّ من الشكر، وذلك للأسباب التي ذكرها الإمام الرازي والألوسي . هذا والله أعلم .

---

(1) زهرة التفاسير – للشيخ محمد أبو زهرة – ج1 – ص55 ، 56 .

(2) سورة سبأ – الآية (13) .

(3) سبق تخريجه – ص أ .

المطلب الثاني

أدلة التوحيد في السورة

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: تعريف التوحيد لغةً واصطلاحاً.

الفرع الثاني: أنواع التوحيد كما تعرضه السورة.

الفرع الثالث: بعض صور الانحراف عن التوحيد.

الفرع الرابع: أهمية أنواع التوحيد الثلاثة.

الفرع الأول

تعريف التوحيد لغةَ واصطلاحاً

أولاً: التوحيد في اللغة: مصدر الفعل وَحَّدَ يُوَحِّد توحيداً، على وزن (تفعيل).

ووَحِدَ يوْحَدُ وَحَادَةً وَوَحْدَةً وَوَحْداً.

والواحِدُ: أول عدد الحساب. والواحد: منفرد بالذات في عدم المثل والنظير.

والواحد من أسماء الله تعالى، هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر.

والواحد من صفات الله تعالى، معناه أنه لاثاني له.

والله الواحِدُ الأحَدُ: ذو الوحدانية والتوحُّد.

والأحد: بمعنى الواحد وهو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر. والهمزة بدل من الواو، والأصل وَحَدٌ لأنه من الوَحْدة (1) .

والوَحْدَة: الإنفراد (2) .

ووحّد اللهَ سبحانه: أقَرَّ وآمن بأنه واحد، ووحَّد الشيء جعله واحداً.

والوحيد: المنفرد بنفسه.

والتوحيد: العلم بأن الشيء واحد (3) .

ثانياً: التوحيد في الاصطلاح:

"هو اعتقادُ تفرُّد الله تعالى بالربوبية، وإخلاصُ العبادة له، وترك عبادة ما سواه، وإثبات ما لـه من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وتنزيهه عن النقص والعيب " (4) .

فهذا التعريف يشتمل على أنواع التوحيد الثلاثة: (توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات) إلاّ أنه تعريف مُطَوَّل، ويقترح الباحثُ التعريفَ التالي:

"الاعتقاد الجازم بتفرّد الله تعالي بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات ".

وقد دلّت سورة الفاتحة علي هذه الأنواع الثلاثة للتوحيد، فقال تعالى في بيان توحيد الربوبية: ﴿ **الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ .

وقال تعالى في بيان توحيد الألوهية: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ .

وقال تعالى في بيان توحيد الأسماء والصفات: ﴿**الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ .

---

(1) لسان العرب – لابن منظور – ج3 –ص446 –451 (بتصرف) .

(2) مختار الصحاح – لأبي بكر الرازي – ص380 .

(3) تحفة المريد على جوهرة التوحيد – للشيخ إبراهيم البيجوري – ص19 .

(4) عقيدة التوحيد – د . صالح الفوزان – ص15،16 .

الفرع الثاني

أنواع التوحيد كما تعرضه السورة

الآيات التي تدل على أنواع التوحيد الثلاثة (توحيد الربوبية، توحيد الألوهيـــة، توحيـــد الأسماء والصفات) كثيرة، جاءت مبثوثة في كثير من سور القرآن الكريم، فهناك آيات تتـــضمّن توحيد الربوبية، وآيات أخرى تتضمّن توحيد الألوهيـــة، وأخـــرى تتـــضمّن توحيـــد الأســـماء والصفات، وهكذا...

ومن خلال دراستي واستقرائي لآيات سورة الفاتحة، وجدت أنها اشتملت علـــى أنـــواع التوحيد الثلاثة، وبيان ذلك فيما يلي :

أولاً : توحيد الربوبية :

المقصود بتوحيد الربوبية : هو الإقرار بأن الله تعالى خالق كل شيء و أنه ليس للعـــالم خـــالق سوى الله تعالى (1) .

وبعبارة أخرى فإن هذا التوحيد معناه الإقرار بأن الله عز وجل هو الفاعل المطلق فـــي الكون : بالخلق،والتدبير، والتغيير، والتسيير، والزيادة، والنقص، والإحياء والإماتة، وغير ذلـــك من الأفعال، لا يشاركه أحد في فعله سبحانه .

" وقد أفصح القرآن عن هذا النوع من التوحيد جدّ الإفصاح، ولا تكاد تخلو سورة مـــن سوره من ذكره أو الإشارة إليه، فهو الأساس لأنواع التوحيد الأخرى ؛ لأن الخالق المالك المدبّر هو الجدير وحده بالتّوجه إليه بالعبادة والخشوع والخضوع، وهو المستحق وحده للحمد والشكر، والذكر، والدعاء، والرجاء، والخوف، وغير ذلك...ولهذا فإنا نجد أن القرآن الكريم قد ذكر هـــذا النوع من التوحيد في مقام الحمد لله، وعبادته، والانقياد له والاستسلام. وهو مـــن لـــه الأســـماء الحسنى، و الصفات العلا. ففي مقام الحمد يتلو المسلم في كل ركعة يصلّيها: ﴿ **الْحَمْدُ للّـــهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ...** ﴾ " (2) . ويقول تعالى: ﴿**فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(3). أي فلله الحمد خاصة لا يستحق الحمد أحدٌ سواه تعالى؛ لأنه الخالق و المدبِّر و المالـــك لجميـــع المخلوقات والكائنات" (4) . ولم يذهب إلى نقيض هذا النوع من التوحيد عدد يذكر من الناس، بل قلوب الناس مفطورة على الاعتراف به، كما قالت الرسل فيما قاله الله عنهم: ﴿**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...** ﴾ (5). ولـــذا لـــم يعرف عن أحد من أصحاب الاعتقادات

---

(1) انظر : شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العزّ الحنفي – ص25 .

(2) الإيمان – د. محمد نعيم ياسين – ص 7 – 9 (باختصار).

(3) سورة الجاثية – الآية (36).

(4) صفوة التفاسير – د . محمد علي الصابوني – ج3 – ص 189.

(5) سورة إبراهيم الآية (10).

الأخرى أنه قال : إن للكون خالقين متشابهين في الصفات والأفعال... بل إن كفار قريش كانوا لا ينكرون ربوبية الله، يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ...** ﴾ (1).

فعدم الإقرار بتوحيد الربوبية يكاد يكون مفقوداً في الأرض. إلا أن هناك فئة من الناس وهم الملحدون و الدهريون من ينكر وجود الله تعالى. ونجد أن أشهر من أنكر وجود خالق للكون هو فرعون، على الرغم من أنه كان مُقِرًّا به في قريرة نفسه . كما أخبر الله تعالى عنه وعن قومه حين قال تعالى: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً...**﴾ (2). لذا لماَّ قال فرعون: وما ربّ العالمين ؟ في قوله تعالى : ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ (3) . لم يكن يسأل عن حقيقة الربّ، وإنما كان سؤاله عبارة عن سؤال نكران وجحود (4) .

قال ابن كثير: "ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط، فإن فرعون لم يكن مقراً بالصانع، بل كان جاحداً له بالكلية "(5) .

أمّا عن الآيات الدالة على توحيد الربوبية في سورة الفاتحة: فهي قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ فعند التدبّر في هذه الآية الكريمة، نجد أنها تتضمنَّ توحيد الربوبية، حيث ذُكِر هذا النوع من التوحيد في مقام "الحمد لله "فالحمد هنا يقتضي أن يكون لربوبية الله تعالى على إيجادنا من عدم؛ لأن المتفضّل بالنعم قد يكون محمودًا عند كلّ الناس، فنعمة الله تعالى على خلقه أنّه ربّ العالمين. فالحياة الدنيا فيها المطيع والعاصي، والمؤمن والكافر... فتوحيد الألوهية خاص بالمؤمنين، أمَّا توحيد الربوبية فهو يشمل الجميع، ونحن المسلمين نحمد الله تعالى على عطاء ألوهيته، ونحمده تعالى كذلك على عطاء ربوبيته؛ لأنه تعالى هو وحده الذي خلق الكون بما فيه، ولأنه ربّ العالمين... لذا على الناس جميعهم أن يطمئنوا في الدنيا أنّ النعم مستمرة لهم بعطاء ربوبيته تعالى. فلا يستطيع أحدٌ في هذا الكون أن يمنع عن الإنسان أي شيء؛ لأن الله تعالى سخّر له كل شيء؛ ولأنه تعالى ربّ العالمين (6) .

فكلمة (رب العالمين) تشتمل على إثبات كل صفات ربوبيته تعالى لخلقه.فهذا يستوجب من الإنسان أن يحمد الله تعالى على كل شيء (7) .

---

(1) سورة لقمان – الآية (25) .

(2) سورة النمل – الآية (14) .

(3) سورة الشعراء – الآية (23) .

(4) انظر : التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية – د. مروان القيسي – ص17 ، 18 .

(5) تفسير القرآن العظيم – ج3– ص332.

(6) انظر: تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي – ج1– ص63.

(7) انظر: معارج التفكر ودقائق التدبر – د . عبد الرحمن حبنكة الميداني – ج1–ص315.

ثانياً: توحيد الألوهية:

"المقصود بتوحيد الألوهية: هو الاعتقاد الجازم بأن الله– سبحانه – هو الإلـــه الحـــقّ، ولا إلـــه غيره، وإفراده – سبحانه – بالعبادة؛ فتوحيد الألوهية مبنيٌّ على إخلاص العبادة لله وحده، فـــي باطنها وظاهرها، بحيث لا يكون شيء منها لغيره سبحانه:

فالمؤمن بالله يعبد الله وحده، ولا يعبد غيره، فيخلص لله المحبة والخـــوف والرجـــاء والـــدعاء والتوكّل والطاعة والتذلّل والخضوع، وجميع أنواع العبادة وأشكالها "(1) .

فهذا التوحيد له شأن عظيم، ويدلّ على ذلك أن جميع الرسل الذين بعثهم الله تعالى إلـــى الأمم والشعوب كانوا يبدءون دعوتهم لقومهم كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿.. **يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّـــهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرُهُ ..** ﴾ (2). وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّـــهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ...**﴾ (3) . والمعنى" أن الله بَيَّن للأمم على ألسنة الرسل عليهم الـــسلام أنـــه يأمرهم بعبادته، واجتناب عبادة الأصنام "(4). وقال الرسول صلى الله عليه وســـلم: " **أمـــرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني. دماءهم وأموالهم إلاّ بحقِّها، وحسابهم على الله** "(5) . فتوحيد الألوهية هو مضمون كلمة لا إلـــه إلا الله أي لا معبود بحقٍّ سوى الله تعالى (6) . وتوحيد الألوهية يتضمّن توحيد الربوبيه، وليس العكس، بمعنى أن كلّ من يعتقد بتوحيد الألوهية يعتقد بتوحيد الربوبية . ولو نظرنا إلى مشركي العـــرب لوجدنا أنهم لم يجحدوا توحيد الربوبية، بل اعتقدوا أن خالق الـــسموات و الأرض واحـــد، ولـــم يعتقدوا بأيّ حال أن الأصنام مشاركة لله تعالى في خلق العالم .

غير أن ذلك لم يمنعهم من عبادة الأصنام باعتبارها واسطة بينهم وبين الله؛ لقوله تعـــالى على لسانهم : ﴿**... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ...**﴾ (7) . والقرآن الكريم أخبـــرنـــــا بذلك : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ...**﴾ (8).

---

(1) الإيمان – د. محمد نعيم ياسين – ص 11 ،12.

(2) سورة الأعراف – الآية (59) .

(3) سورة النحل – الآية (36) .

(4) التحرير و التنوير – لابن عاشور – ج6 – ص149 .

(5) صحيح مسلم – كتاب الإيمان (1) – باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (8) – ص 38 – حديث (35).

(6) انظر : عقيدة المؤمن – للشيخ أبي بكر الجزائري – ص63.

(7) سورة الزمر – الآية (3) .

(8) سورة لقمان – الآية (25) .

" يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء المشركين به أنهم يعرفون أن الله خالق السموات وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خلق له وملك له "(1) .

وقوله تعالى : ﴿ **قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾(2). ومثل هذا كثير في القرآن . وعلى الرغم من توحيد الربوبيه الذي اعتقدوه لم يوحِّدوا الله في العبادة، أي لم يعتقدوا توحيد الألوهية، بل عبدوا الأصنام والتماثيل التي نحتوها، وهي تماثيل للأنبياء والصالحين، حيث اتخذوهم شفعاء، و توسّلوا بهم إلى الله تعالى . وهذا ما حدث مع قوم نوحٍ عليه السلام .. حيث قال الله عنهم : ﴿ **وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً**﴾ (3) .

قال القرطبي :" قال ابن عباس وغيره : هي أصنام وصُوَر، كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب"(4).

إذن التوحيد المطلوب منّا هو توحيد الألوهية، أي نقرّ بالعبودية لله وحده (5) .

والآيات الدالة على هذا التوحيد في سورة الفاتحة هي : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ومن خلال تدبُّرِ هذه الآية الكريمة نجد أن قوله : (إياك نعبد) يدل على أنه لا معبود إلا الله تعالى؛ فالله – سبحانه – قَصَرَ العبادة هنا على ذاته العليّة . ويدل – أيضاً – على نفي العبودية لغير الله، أي : لا نعبد غير الله (6) . وقد قرن الله العبادة له وحده بالاستعانة به وحده فقال : (وإياك نستعين) بعد قوله: (إياك نعبد) أي لا نعبد سواك ولا نستعين إلا بك .وكل مخلوق في هذا الكون محتاج وفقيرٌ إلى الله تعالى وحده ؛لهذا كان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، كما قال تعالى : ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ...**﴾ (7)؛ ولهذا كانت (لا إله إلا الله) أفضل الذكر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله** " (8).

---

(1) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج3 – ص451.

(2) سورة المؤمنون – الآية (84 ، 85) .

(3) سورة نوح – الآية (23).

(4) الجامع لأحكام القرآن – ج18 – ص 307.

(5) انظر : التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية – د . مروان القيسي– ص 20 –22.

(6) انظر: تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي – ج1 –ص78.

(7) سورة النساء –الآية (48).

(8) سنن الترمذي – كتاب الدعوات (45)– باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة (10) – ج5 –291 – حديث (3383)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

ولهذا كان التوحيد بقول : لا إله إلا الله رأس الأمر (1) .

يقول الإمام القرطبي : " قوله تعالى (إياك نعبد) نُطْقُ المكلَّف به إقرارٌ بالربوبية، وتحقيق لعبادة الله تعالى ؛ إذ سائر الناس يعبدون سواه من أصنام و غير ذلك "(2) .

ويقول ابن تيمية :" إن الله سبحانه هو المستحق أن يعبد لذاته؛ لأنه المألوه المعبود، الذي تألهه القلوب، وترغب إليه، وتفزع إليه عند الشدائد، و ما سواه فهو مفتقر مقهور بالعبودية ... وقوله : (إياك نعبد) إشارة إلى عبادته بما اقتضته إلهيته : من المحبّة، والخوف، والرجاء، والأمر، والنهي . وقوله: (إياك نستعين) إشارة إلى ما اقتضته ربوبيته : من التوكل والتفويض والتسليم... ولهذا قيل : إن هذه الآية جمعت أسرار القرآن؛ لأن أولها اقتضى عبادته بالأمر والنهي، والمحبة والخوف، والرجاء، وآخرها اقتضى عبادته بالتفويض والتسليم والتوكل"(3) .

ثالثاً : توحيد الأسماء والصفات :

المقصود بتوحيد الأسماء والصفات :" هو إفراد الله – سبحانه وتعالى – بما سمَّى به نفسه، ووصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك بإثبات ما أثبته الله – سبحانه وتعالى – لنفسه من غير تحريف و لا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فلا بُدَّ من الإيمان بما سمَّى به نفسه، ووصف به نفسه، على وجه الحقيقة لا المجاز" (4) .

هذه الأسماء الجليلة هي التي ذكرها الله – سبحانه – في قوله : ﴿ **قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى...**﴾ (5) .

والمعنى : "أَمَرَ اللهُ جَلَّ وعلا عباده في هذه الآية الكريمة: أن يدعوه بما شاءوا من أسمائه، إن شاءوا قالوا: يا الله، و إن شاءوا قالوا : يا رحمن، إلى غير ذلك من أسمائه جل وعلا"(6). وهي التي أمرنا أن ندعوه بها : ﴿ **وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ (7).

قال الزمخشري : "ولله الأسماء الحسنى، التي هي أحسن الأسماء؛ لأنها تدلُّ على معانٍ حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك . فسمّوه بتلك الأسماء، واتركوا تسمية الذين يميلون عن

---

(1) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية – لابن تيمية – ج1 – ص23.

(2) الجامع لأحكام القرآن – ج1 – ص 145.

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية – ج1 – ص88–90 (باختصار) .

(4) فقه العبادات – للشيخ محمد بن العثيمين – ص17 .

(5) سورة الإسراء – الآية (110) .

(6) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – للشنقيطي – ج3 – ص576 .

(7) سورة الأعراف – الآية (180) .

الحق ِّ والصواب فيها، فيسمّونه بغير الأسماء الحسنى، وذلك أن يُسَمُّوه بما لا يجوز عليه"(1) . وقد جاء في بعض الأحاديث أن عدد هذه الأسماء تسعة وتسعون اسماً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **إن لله تسعة وتسعين اسماً مَن حفظها دخل الجنة، وإن الله وتر يحبُّ الوتر**"(2) .

وهذا التوحيد يقوم على ثلاثة أسس، مَن حَادَّ عنها لم يكن مُوَحِّداً ربَّه في أسمائه وصفاته :

الأول : تنزيه الله – جلَّ وعلا – عن مشابهة الخلق، وتنزيهه عن أيّ نقص، قال تعالى: ﴿... **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ...﴾ (3).

والمعنى : " ليس هناك من شيء يماثله – سبحانه وتعالى – والفطرة تؤمن بهذا بداهة، فخالق الأشياء لا تماثله هذه الأشياء التي هي من خلقه " (4) .

الثاني : الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة دون تجاوزها بالنقص منها أو الزيادة عليها أو تحريفها أو تعطيلها ..

الثالث : قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات والأسماء، وعدم البحث عن كنهها، كما روي عن الإمام مالك عندما سئل عن الاستواء فقال : " الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"(5) .

والآيات الدالة على هذا التوحيد في سورة الفاتحة هي : ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ .

فعند التدبّر في هذه الآيات الكريمة نجد أنها تضمّنت بعض أسماء الله تعالى : الرحمن، و الرحيم، و مالك أو ملك (6) يوم الدين.

فالرحمن إشارة إلى رحمته تعالى لخلقه في الدنيا والآخرة.

---

(1) الكشاف – ج 2 – ص 222 .

(2) صحيح البخاري – كتاب الدعوات (80)– باب لله مائة اسم غير واحدة (68) – ص 1305 – حديث (6410) ، وصحيح مسلم – كتاب الذكر والدعاء و التوبة ..(48) – باب في أسماء الله تعالى، وفضل من أحصاها (2) – ص 1329– حديث (2677).

(3) سورة الشورى – الآية (11) .

(4) في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج5 – ص3146 .

(5) انظر : الإيمان – د . محمد نعيم ياسين – ص15 – 18 (باختصار) .

(6) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف العاشر : (مالك) بإثبات الألف اسم فاعل، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحمزة و ابن عامر و أبو جعفر : بغير ألف (مَلِك) . انظر: (البدور الزاهرة) – عبد الفتاح القاضي – ص 17 .

والـــــرحيـــــم إشـــــارة إلـــــى رحمتـــــــه تعالـــــى لخلقه في الآخرة.

ومالك أو ملك يوم الدين يدل على كمال حكمته ورحمته بسبب خلق الدار الآخرة ؛ لأنـــه لابد مـــن التمييز بين المطيع والعاصي، وبين المحسن والمسيء وبين الـــصالح والطـــالح... ، وذلك لا يظهر إلاّ في يوم الجزاء (1) .

يقول الشنقيطي :" (الرحمن الرحيم) هما وصفان لله تعـــالى، واســـمان مـــن أســـمائه الحسنى، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، والرحمن أشدّ مبالغة من الرحيم، لأن الـــرحمن هو ذو الرحمـــــة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، و للمؤمنين في الآخرة، والرحيم ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة "(2) .

فالله – سبحانه وتعالى– يستحقّ الحمد العظيم لرحمته الواسعة على خلقـــه فـــي الـــدنيا والآخرة، ولعدله الكريم يوم القيامة.

فإذا استقرّت معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العلية في قلب المؤمن، فإنه يزداد إيمانـــاً بالله تعالى، فإذا عرف المسلم أن الله تعالى رحمن رحيم فإنه يقبـــل عليـــه بالتوبـــة الـــصادقـــة النصوح، وإذا عرف أنه مالك يوم الدين فإنه يزداد خوفـــاً مـــن الله تعالـــــى فيبتعـــــد عـــــن معصيته، وكذلك يزداد ثقةً بعدل الله تعالى فهو لا يظلم أحداً.

" وَوَصَفَ تعالى نفسه بـــ (الرحمن الرحيم) بعد (ربّ العالمين)؛ لأنه لمّا كـــان فـــي اتصافه بـــ (ربّ العالمين) ترهيبٌ قَرَنَهُ بـــ (الرحمن الرحيم) لما تضمّن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه، والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته وأمنع"(3).

---

(1) انظر : التفسير الكبير – للرازي – م1 – ج1 – ص192 ، ص216 .

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – ج1 – ص33 .

(3) الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج1 – ص 139 .

الفرع الثالث

بعض صور الانحراف عن التوحيد الصحيح

إن قضية التوحيد هي القضية الأولى في حياة الإنسان في جميع العصور حتى قيام الساعة، وهي الحقيقة الكبرى التي يقوم عليها الكون كلّه(1) . لذا فان الانحراف عن هذه القضية العظيمة توقع الإنسان في المهلكة والمضيعة والضلال والفسوق والظلم...

ومن خلال تدبّر آيات الله تعالي نستطيع أن نقتبس بعض صور الانحراف عن التوحيد الصحيح.

فمن هذه الصور :

1- الهوى :

فمن الناس من يسيطر عليه هواه، ويغلب عليه، ويزداد هذا الهوى نموًّا يوماً بعد يوم، حتى يتخذه الإنسان إلهاً يعبده من دون الله، فبهذا ينحرف الإنسان عن التوحيد الخالص لله تعالى، ويستحقّ بذلك عقاب الله . قال تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ (2) .

قال الشوكاني : " (أ فرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال الحسن وقتادة (3) : ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئاً إلاّ ركبه، وقال عكرمة (4) : يعبد ما يهواه أو يستحسنه، فإذا استحسن شيئاً وهواه اتخذه إلهاً "(5) .

2-أندادٌ من دون الله :

فقد يتخذ بعض الناس إلهاً من البشر يعبده من دون الله، فقد يتخذ زعيماً أو رئيساً أو ملكاً... فيتبعونهم في كلّ شيء . ويُظهرون لهم المودة والمحبة.. قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ ...** ﴾ (6).

---

(1) انظر : الحقيقة الكبرى في الكون والحياة – د . عدنان النحوي – ص48 وما بعدها .

(2) سورة الجاثية – الآية (23) .

(3) قتادة:هو أبو الحطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري، كان عالماً حافظاً ، عاملاً واعظاً، ويعتبر من مدرسة ابن مسعود في التفسير . روي الحديث عن أنس بن مالك وابن سيرين و أبي الطفيل و غيرهم ... توفي سنة 117هـ . انظر : (حلية الأولياء) – لأبي نعيم الأصفهاني – ج2- ص333.

(4) عكرمة: هو أبو عبد الله عكرمة المدني مولى ابن عباس ، أصله من البربر ، ثقة عالم بالتفسير، و يعتبر من مدرسة ابن عباس في التفسير، أسند عن ابن عباس وأبي هريرة ، وعائشة وغيرهم ... توفي في سنة 104هـ . انظر : (صفوة الصفوة) – لابن الجوزي – ج1- ص 359.

(5) فتح القدير – ج5 – ص12 .

(6) سورة البقرة – الآية (165) .

يقول ابن كثير : " يذكر الله تعالى حال المشركين به في الدنيا، ومالهم في الدار الآخـــرة حـــيث جعلوا له أنداداً أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه، ويحبونهم كحبّه، وهو الله لا إله إلا هـــو ولاضدّ له و لا ندّ له ولا شريك معه"(1) . والله – سبحانه – بيَّن في كتابه أن هـــؤلاء الأنـــداد سيتبرَّءون من أتباعهم يوم القيامة، و لا يستطيعون دفع العذاب عنهم، قال تعالى: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَـــرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَـــارِجِينَ مِـــنَ النَّارِ**﴾ (2).

3-أصنام وأوثان من الحجارة وغيرها :

يشتد الانحراف عن التوحيد الصحيح حينما يهبط الإنسان إلى حضيض الشرك، ويعبـــد أصـــناماً وأوثاناً من الحجارة أو الخشب أو غيرها... وهو يعلم أن هذه الأصنام لا تعقل ولا تـــسمع ولا تبصر، ولا تنفع ولا تضرّ. قال تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ قَالَ لِأَبِيـــهِ وَقَوْمِـــهِ مَـــا تَعْبُدُونَ ، قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ، قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ، أَوْ يَنفَعُـــونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ، قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾ (3) .

يقول القرطبي :" .. وكانت أصنامهم من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب.. فهل هذه الأصنام يسمعون منكم ؟ أو هل يسمعون دعاءكم، وهل تنفعكم وترزقكم، أو تملك لكم خيـــراً أو ضرّاً إن عصيتم ؟! وهذا استفهام لتقرير الحجة؛ فإذا لم ينفعوكم ولم يضروا فما معنى عبـــادتكم لهـــا "(4) .

4-عبادة رجل ذي ملك وسلطان:

قد يشتد الكبر والغرور في نفوس بعض الناس، حتى يَدَّعُوا الربوبية أو الألوهية لأنفـــسهم، ثـــم يطلبوا من أقوامهم أن يُعظِّموهم ويعبدوهم ويطيعوهم بعد أن استخفُّوا عقولَهم، وهذا ما حدث مع فرعون وقومه، فمرة ادَّعى فرعونُ الربوبية حيث قال- تعالى-على لسانه: ﴿ **فَقَالَ أَنَـــا رَبُّكُـــمُ الْأَعْلَى ، فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى** ﴾ (5) . وتارة أخرى يَدَّعي الألوهية، قال تعالى: ﴿**قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ**﴾ (6) . وقال تعالى: ﴿ **وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا**

---

(1) تفسير القرآن العظيم – ج1 – ص202 .

(2) سورة البقرة – الآيتان (166 ، 167) .

(3) سورة الشعراء – الآيات (69 – 74) .

(4) الجامع لأحكام القرآن – ج13 – ص109 (باختصار) .

(5) سورة النازعات – الآيتان (24 ، 25) .

(6) سورة الشعراء – الآية (29) .

الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ، فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ، فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ (1) .

يقول سيد قطب:" واستخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابه فيه، فهم يعزلون الجماهير أولاً عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، ولا يعودوا يبحثون عنها. ويلقون في روعهم ما يشاءون من المؤثرات حتى تتطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة. ومن ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك، ويلين قيادهم، فيذهبون بهم ذات اليمين، وذات الشمال مطمئنين. ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلاّ وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق، ولا يمسكون بحبل الله، ولا يَزِنُون بميزان الإيمان. فأما المؤمنون فيصعب خداعهم واستخفافهم واللعب بهم كالريشة في مهبّ الريح "(2) .

5- **عبادة الشيطان:**

من حكمة الله – تعالى- أنه خلق الشيطان لابتلاء وتحميص عباده، قال تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ، قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ، إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾ (3).

فالشيطان يغوي من اتبعه من الناس بمحض إرادتهم، وليس له سلطان عليهم. وقد يزداد الانحراف عن التوحيد الصحيح حينما يعبد الإنسانُ الشيطانَ. وهذا ما حدث مع إبراهيم- عليه السلام- حينما نَهىَ أباه آزر عن عبادة الشيطان. قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً ، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً ، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً**﴾ (4) . والمعنى: "يقول تعالى لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم. واذكر في الكتاب إبراهيم واتل على قومك هؤلاء الذين يعبدون الأصنام، واذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن مع أبيه كيف نهاه عن عبادة الأصنام ...فقال: (يا أبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه في عبادتك هذه الأصنام فإنه هو الداعي إلى ذلك والراضي به، إنه كان مخالفاً مستكبراً عن طاعة ربّه فطرده وأبعده فلا تتبعه تَصِرْ مثله "(5).

---

(1) سورة الزخرف – الآيات (51 – 54) .

(2) في ظلال القرآن – ج5 – ص3194 .

(3) سورة الحجر – الآيات (39 – 42) .

(4) سورة مريم – الآيات (41 – 45) .

(5) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج3 – ص123 (باختصار).

ثم حَذّر الله- تعالى- تحذيراً شديداً، ونهى نهياً قاطعاً عن عبادة الشيطان حيث قال: ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ (1).

" الاستفهام في الآية للتوبيخ والتقريع، وهو توبيخ للكفرة والمجرمين أي ألم أوصكم وآمركم يابني أدم ألاَّ تطيعوا الشيطان فيما دعاكم إليه من معصيتي ؟ لأنه عدوٌّ لكم ظاهر العداوة ، فكيف يطيع الإنسان عدوَّه ؟ وأمرتكم بأن تعبدوني وحدي، بتوحيدي وطاعتي وامتثال أمري فهذا هو الدين الصحيح، والطريق الحقُّ المستقيم "(2).

ويمضي هذا الانحراف عن التوحيد الصحيح في حياة الناس، ليدفع فريقاً منهم إلى النار جزاءً عادلاً من الله، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (3) .

6- **التقليد الأعمى، والتعصّب لقولٍ أو رأي، أو مذهب، أو التعصّب لما عليه الآباء والأجداد**(4):

فمن الناس من يتعصّب لأفكار آبائه و أجداده الباطلة، ويتمسَّك بها . و القرآن ذَمَّ هذا الفريق لأنهم عطَّلوا عقولهم عن اتباع الهدى والإيمان. قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾ (5) .

" وفي هذه الآية زيادة تفظيع لحال أهل الشرك، فبعد أن أثبت لهم اتّباعهم خطوات الشيطان فيما حَرَّموا على أنفسهم من الطيّبات، أعقب ذلك بذكر إعراضهم عمّن يدعوهم إلى اتباع ما أنزل الله، وتشبَّثوا بعدم مخالفتهم ما ألفوا عليه آباءهم،وأعرضوا عن الدعوة إلى غير ذلك دون تأمّل ولا تدبّر"(6).

هذه بعض صور الانحراف عن التوحيد الصحيح، فعلى الإنسان المسلم أن يحذر من الوقوع في الانحراف حتى تكون عقيدته سليمة خالصة لله تعالى من الوقوع في الانحراف، و إلاّ انطبق عليه قول الله تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾ (7).

وما أكثر الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا عن التوحيد الخالص لله رغم أنهم يحسبون أنفسهم على خير، وأن صنيعهم مقبول عند الله تعالى .

---

(1) سورة يس – الآية (60) .

(2) صفوة التفاسير – د. محمد علي الصابوني – ج3 – ص21 .

(3) انظر : التوحيد وواقعنا المعاصر – د . عدنان النحوي – ص38 – 47 (باختصار) .

(4) انظر : منهج القرآن الكريم في عرض قضايا العقيدة – د . وليد العامودي – ص218 .

(5) سورة البقرة – الآية (170) .

(6) التحرير والتنوير – لابن عاشور – م1 – ج2 – ص106 .

(7) سورة الكهف – الآيتان (103 ، 104).

الفرع الرابع

أهمية أنواع التوحيد الثلاثة

إن التوحيد الصحيح الخالص لله تعالى هو الأساس المتين الذي يقوم عليه الدين،وهو القاعدة الصلبة التي تنطلق منه الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿**...فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ، أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ...**﴾ (1).

وسيعرض الباحث بعض الأمور التي تبيّن أهمية هذا التوحيد بأنواعه الثلاثة:

1-**التوحيد بأنواعه الثلاثة هو القضية الأولى في حياة الإنسان،** في مختلف العصور والأزمان، ولا يوجد في حياة الإنسان حقيقة أخطر منها، ولا قضية أعظم منها... فالتوحيد هو الذي يرسم حياته كلها، ويرسم سلوكه ومواقفه، ويحدّد مصيره...

والقرآن الكريم بيّن ذلك في آياته الكريمة، فلا نكاد نتعرّف على تاريخ أمة من الأمم السابقة إلا وجدنا بعض الآثار التي تشير إلى قضية التوحيد في حياتهم. قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ، ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ (2).

يقول الصابوني: " (أولم يسيروا في الأرض) أي أولم يسافروا فينظروا مصارع الأمم قبلهم كيف أُهلكوا بتكذيبهم رسلهم فيعتبروا... ثم كان عاقبة المجرمين العقوبة التي هي أسوأ العقوبات وهي نار جهنم لأجل أنهم كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله واستهزءوا بها "(3).

2- **إن التوحيد هو الذي بعث الله من أجله الرسل والأنبياء** منذ نوح عليه السلام، كلُّهم يدعون بدعوة واحدة: ﴿**... اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ...** ﴾ حتى ختموا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن أجل هذا التوحيد أنزل اللهُ كتبه السماوية...

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾(4) .

يقول الطبري: " يقول تعالى ذكره: ولقد بعثنا أيها الناس في كل أمة سلفت قبلكم رسولاً كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة، وأبعدوا عن الشيطان، واحذروا أن يغويكم ويصدّكم عن سبيل الله فتضلوا "(5).

---

(1) سورة الزمر – الآيتان (2 ، 3) .

(2) سورة الروم – الآيتان (9 ، 10) .

(3) صفوة التفاسير- ج2- ص472 ،473 (باختصار) .

(4) سورة النحل- الآية (36).

(5) جامع البيان – ج8- ص138.

هذا الامتداد الطويل لرسل الله تعالى على طول التاريخ وهم يدعون إلى هـذا التوحيـد الخالص، يؤكّد خطورة وأهمية هذه القضية.

3- **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ؛ ذلك لأن قضية التوحيد هي أخطر قـضية فـي ميـزان الله سبحانه، وعليها يقوم الكون كله، وتقوم الحياة، وعليها تقوم الدار الآخرة كلها. لذلك سبقت كلمـة الله أن لا يغفر لمن مات مشركاً أو كافراً أبداً، ويغفر مادون ذلك من الذنوب والمعاصـي لمـن يشاء من عباده. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً**﴾ (1).

"ولا خلاف بين المسلين أن المشرك إذا مات على شركه لم يكن من أهل المغفرة التـي تفضّل الله بها على غير أهل الشرك حسبما تقتضيه مشيئته، وأما غير أهل الشرك مـن عـصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء " (2) .

4- **التوحيد هو أساس صلاح حياة الإنسان في الحياة الـدنيا**، وهي سبيل نجاتـه فـي الـدنيا والآخرة... فإذا انعزلت أعمال الناس عن التوحيد الخالص لله تعالى، برزت الحياة المادية بكـلّ فسادها وفتنتها فكراً وعملاً، وتصوراً وموقفاً...

قال تعالى: ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُـوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ (3) .

والمعنى " كثرة المضار والمعاصي على وجه الأرض وعلى ظهر السفن في لجج البحر بما كسبت أيدي الناس من الآثام والموبقات ففشا الفساد وانتشرت عَدْوَاه، وتَوارَثَهُ جيلٌ عن جيل أينما حلّوا وحيثما ساروا.. ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا، قبل أن يعاقبهم بجميعهـا فـي الآخرة، لعلّهم يرجعون عمّاهم عليه"(4) .

5- **قضية التوحيد هي القضيّة التي هزَّت المشركين الظـالمين المجـرمين المفـسدين فـي الأرض..** هي القضية التي كَبُرْت عليهم وأفقدتهم صوابهم وحشدوا كل الوسائل لمحاربـة هـذه القضية منذ نوح عليه السلام إلى يومنا هذا، وإلى غد..؛ لاعتقادهم ويقينهم أنـه لا يوجـد فـي الأرض أيَّة عقيدة تستطيع أن تصدَّهم عن غيّهم وأطماعهم وفسادهم وإجرامهم إلا عقيدة التوحيد الخالصة لله كما جاء بها المرسلون،(5) . قال تعالى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحـاً**

---

(1) سورة النساء الآية (48).

(2) فتح القدير –للشوكاني –ج1 –ص 712 .

(3) سورة الروم –الآية (41).

(4) محاسن التأويل– للقاسمي–ج7–ص602 .

(5) انظر: الحقيقة الكبرى في الكون والحياة – د.عدنان النحوي – ص 49 – 67 (باختصار).

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (1).

يقول سيد قطب: "كبر عليهم أن يتنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من بينهم... وكبر عليهم أن ينتهي سلطانهم الديني بانتهاء عهد الوثنية والأصنام والأساطير التي يقوم عليها هذا السلطان؛ وتعتمد عليها مصالحهم الاقتصادية والشخصية، فتشبّثوا بالشرك وكبر عليهم التوحيد الخالص الواضح الذي دعاهم إليه الرسول الكريم." (2) .

(1) سورة الشورى – الآية (13).

(2) في ظلال القرآن – ج5 – ص 3148.

المطلب الثالث

الإيمان بيوم الدين

وفيه أربعة فروع :

الفرع الأول: حقيقة يوم الدين.

الفرع الثاني: أهمية وفضل الإيمان بيوم الدين.

الفرع الثالث: أسماء يوم الدين.

الفرع الرابع : بعض القضايا التي تتعلق بـــ (يوم الدين) .

الفرع الأول

حقيقة يوم الدين

اليوم في اللغة: القطعة من الزمان، أيّ زمن كان من ليل أو نهار قال تعالى: ﴿ **وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ**﴾ (1). وذلك كناية عن احتضار الموتى وهو لا يختصّ بليل ولا نهار(2).وجمعه أيّام أصله أَيْوَام، فأدغمت الياء في الواو، وجُعِلتْ الياء هي الغالبة (3) .

واليوم في الاصطلاح: اسم للوقت يبدأ من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس (4) . والمراد هنا مطلق الوقت؛ لأنه لا يوجد عند الله صباحٌ ولا مساء (5) .

والدين في اللغة: الجزاء والمُكافأة ودِنْتُهُ بفعله دَيْناً: جَزَيْتُه... ويوم الدين: يوم الجزاء, وفي المثل: كَما تَدِينُ تُدان. أي كما تُجازي تُجَازَى بفعلك وبحسب ما عملت، وقيل: كما تفْعَل يُفْعَلُ بك . والدين: الحساب (6) . والدين له معانٍ كثيرة، والمراد هنا بالدين الجزاء على الأعمال والحساب بها.

و الدين في الإصطلاح : " هو يوم قيام الأموات عند بعثهم إلى الحياة الأخرى للحساب. وفَصْلِ القضاء، وتنفيذ الجزاء بالعدل أو بالفضل"(7) .

"ولمَّا كان كلُّ شيء يومَ الدين خاضعاً لسلطان الله عز وجل وحده، وخاضعاً لأمره ونهيه. إذ لا يجعل اللهُ يوم القيامة لأحدٍ سلطاناً ولا حُكْماً ولا أمْراً ولا نهياً، حتى الشفاعة لا تكون يومئذٍ إلا بإذنه.كان تعالى وحده هو المَلك عَلى وجه الحقيقة التامة "(8) .

فيوم الدين هو يوم الجزاء على الأعمال، ذلك اليوم الذي يُجَازَى فيه المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وهو الذي تجد فيه كلّ نفس ما عملت محضراً من خير أو شرّ(9) .

قال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ...**﴾ (10) .

يقول ابن كثير: " يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه أنه لا يظلم مثقال ذرة من

---

(1) سورة القيامة – الآيتان (29 ،30) .

(2)انظر:الدر المصون في علم الكتاب المكنون – للسمين الحلبي –ج1 – ص71 .

(3) انظر:لسان العرب– لابن منظور– ج 12– ص 650 .

(4) انظر: البحر المحيط– لأبي حيان – ج 1 – ص136.

(5) انظر: المقتطف من عيون التفاسير –لمصطفى المنصوري – ج1– ص 16.

(6) انظر: لسان العرب – ج 13–ص 169 (باختصار) .

(7) معارج التفكر ودقائق التدبّر– د.عبد الرحمن حبنكة الميداني – ج1 –ص 296 .

(8) المرجع السابق نفسه –ج1 – ص 296 (باختصار) .

(9) انظر : زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – ج1 – ص60 .

(10) سورة غافر – الآية (17) .

خير ولامن شرّ. بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها، وبالسيئة واحدة، ولهذا قال تعالى: ﴿... **لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ...**﴾ " (1) . فملكية الله تعالى ليوم الدين هي التي حمت للضعفاء وللمظلومين حقوقهم من الضياع، وهي التي تطمئنهم اطمئناناً كبيراً بأن هذا اليوم لا ظلم فيه, وأن الأمر فيه لله وحده ﴿ ... **وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**﴾ (2) . فمهما أجرم المجرمون، ومهما أفسد المفسدون فإن الله تعالى سينتقم منهم ولو بعد حين.

يقول الشيخ الشعراوي: " ومن عدل الله سبحانه وتعالى أن هناك يوماً للحساب؛ لأن بعض الناس الذين ظلموا وبغوا في الأرض ربما يفلتون من عقاب الدنيا. هل هؤلاء الذين أفلتوا في الدنيا من العقاب هل يفلتون من عدل الله ؟ أبداً لن يفلتوا، بل إنهم انتقلوا من عقاب محدود إلى عقاب خالد. وأفلتوا من العقاب في الدنيا إلى عقاب بقدرة الله تعالى في الآخرة. ولذلك لا بد من وجود يوم يعيد الميزان، فيعاقب فيه كلّ من أفسد في الأرض، وأفلتَ من العقاب، بل إن الله سبحانه يجعل إنساناً يفلت من عقاب الدنيا، فلا تعتقد أن هذا خير له بل إنه شرّ له؛ لأنه أفلت من عقاب محدود إلى عقاب أبدي "(3) .

إذن لا بد وأن نعمل لهذا اليوم العظيم، الذي سنلقى فيه الله تعالى خاضعين متذلِّلين، وسنقف أمامه تعالى جميعاً سواسية، ليحاسبنا الله تعالى على أعمالنا . فمن عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فلا يلومنّ إلا نفسه .

واللهَ نسألُ أن يجعلنا من المطيعين له، و أن يُثبِّتنا على الدين .

---

(1) تفسير القرآن العظيم – ج 4 – ص 74 .

(2) سورة الانفطار – الآية (19).

(3) تفسير الشعراوي – ج1 – ص74 .

الفرع الثاني

أهمية وفضل الإيمان بيوم الدين

إن يوم الدين اسم من أسماء اليوم الآخر . والإيمان به هو عبارة عن الاعتقاد الجازم بحدوث شيء عظيم في الكون، وهو انتهاء هذه الحياة الدنيا بأكملها، وابتداء حياة أخرى وهي الدار الآخرة بما يحدث فيها من بعث و حساب وصراط وعرض وجزاء وثواب وعقاب...

والإيمان باليوم الآخر (يوم الدين) ليس واجباً فحسب، بل يُعَدُّ أحد أركان الإيمان العظيمة(1) . قال تعالى : ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** ﴾ (2).

والمعنى " ليس الصلاح والطاعة والفعل المرضيّ في [أن يُولِّي الإنسان وجهه في الصلاة جهة المشرق أو المغرب] ولكن البر – الذي يجب الاهتمام به – هو هذه الخصال التي عدَّها جلّ شأنه ... و لكن البر إيمان من آمن بالله .. فأثبت له صفات الكمال، ونزّهه عن سمات النقصان (واليوم الآخر) الذي كذب به المشركون، فاختلّ نظامهم يبغي بعضهم على بعض "(3).

ولأهمية يوم الدين في حياة المؤمنين كانت عناية القرآن به لا تقل عن العناية بالإيمان بالله سبحانه و تعالى، فقد ذكره الله تعالى كثيراً في سور القرآن الكريم وآياته (4) .ومن مظاهر الاهتمام بهذا اليوم العظيم أن الله تعالى قرنه كثيراً بالإيمان به، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**...ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...**﴾ (5). وقوله : ﴿ **... إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...**﴾ (6). وقوله : ﴿**... وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ...** ﴾(7).

و بمفهوم المخالفة، إذا ذهب الإيمان بالله من قلب الإنسان، فلا شك أنه يفقد الإيمان باليوم الأخر، وهذا دليل على الصلة الوثيقة بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر.

وأمّا أهمية و فضل الإيمان بهذا اليوم العظيم، فمنها :

1- **إن الإيمان بيوم الدين له أثر عظيم في حياة الإنسان** ، ذلك أن الإيمان به وبما فيه من جزاء وحساب، وثواب وعقاب، وجنة ونار.. له أشد الأثر في توجيه الإنسان وانضباطه

---

(1) انظر : رحلة إلى الدار الآخرة – لمحمود المصري – ص6

(2) سورة البقرة – الآية (177) .

(3) محاسن التأويل– للقاسمي – ج2 – ص36 (باختصار) .

(4) انظر : عقيدة المؤمن – لأبي بكر الجزائري – ص206 .

(5) سورة البقرة – الآية (232) .

(6) سورة النور – الآية (2) .

(7) سورة النساء – الآية (38) .

والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجل، وبعده عن معصيته (1) . قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ، أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (2).

يقول ابن كثير: " جعل الله سبحانه هذا القرآن هدىً وشفاء ورحمة للمحسنين وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة فأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها... وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقّيها وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة ... أولئك على بصيرة وبينة ومنهج واضح، وأولئك هم المفلحون في الدنيا والآخرة "(3) .

2- **إن الإيمان بيوم الدين " هو العنصر الهام الذي يلي الإيمان بالله مباشرة؛** لأن الإيمان بالله تعالى يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذي صدر عنه الكون، والإيمان باليوم الآخر (يوم الدين) يحقق المعرفة بالمصدر الذي ينتهي إليه هذا الوجود. وعلى ضوء المعرفة بالمصدر يمكن للإنسان أن يحدّد هدفه. ويرسم غايته... ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة فإن حياته سوف تبقى حياة لا هدف لها، ولا غاية منها، وحينئذٍ يفقد الإنسان سموّه الروحي، وفضائله العليا"(4) .

3- **إن الإيمان بيوم الدين يُظهر كمال عدل الله تعالى فيما بين الخلق حين يحاسبهم،** وإنه تعالى لا يظلم أحداً منهم، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً** ﴾ (5). " فالله لا يظلم مثقال ذرة، ولا خوف من الظلم في جزاء المؤمن، بل هناك الفضل والزيادة، بمضاعفة الحسنات. والزيادة من فضل الله بلا حساب "(6).

4- **إن الإيمان بيوم الدين، و بما فيه من نعيم و عذاب يُخفِّف من غلوّ الإنسان في حبّ الدنيا،** فيعلم الناس أن الدنيا بشهواتها كلها لا تستحقّ منهم الجهد و التنافس فيها، وأن الذي يستحقّ ذلك منهم إنما هو ما أعدّه الله لهم في يوم القيامة (7) .و يدل على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾ (8) .

---

(1) انظر : الإيمان – د . محمد نعيم ياسين – ص71 .

(2) سورة لقمان – الآيتان (4 ، 5) .

(3) تفسير القرآن العظيم – ج3 – ص441 (باختصار) .

(4) العقائد الإسلامية – للسيد سابق – ص259 .

(5) سورة النساء – الآية (40) .

(6) في ظلال القرآن- لسيد قطب – ج2 – ص661 .

(7) انظر : الإيمان – د . محمد نعيم ياسين – ص 72 .

(8) سورة التوبة – الآية (38) .

يقول الطبري : " يقول جلّ ثناؤه، أرضيتم بحظّ الدنيا و الدّعة فيها عوضاً من نعيم الآخرة و ما عند الله للمتقين في جنانه ؟ فما الذي يستمتع به المتمتّعون في الدنيا من عيشها ولذّاتها في نعيم الآخرة و الكرامة التي أعدّها الله لأوليائه وأهل طاعته إلا يسير.. فاطلبوا أيها المؤمنون نعيم الآخرة، وترف الكرامة التي عند الله لأوليائه بطاعته، والمسارعة إلى الإجابة إلى أمره في النفيرلجهاد عدوّه "(1) . فيوم الدين دار خلود، خلود في النعيم الذي أعدّه الله للمتقين، و خلود في العذاب الذي توعّده الله للكافرين . و مع هذه الحقيقة المبينة نجد كثيراً من الناس يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، كما قال تعالى : ﴿ **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ (2) . وقال – أيضاً : ﴿ **كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ، وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ**﴾ (3) ." إن المؤمن الصادق يقوم بموازنة أمينة فيما يبذل من جهد...على أن يكون أساس الموازنة إيثار الدار الآخرة على الدنيا، الآجلة على العاجلة... إن مدرسة الدعوة و التربية و البناء .. يجب أن تحرص على بناء هذه الموازنة الأمينة في قلب المسلم، ليحمل التصوّر الحق عن الدنيا ومنزلتها عند الله، و عن الدار الآخرة، دار الحقّ والخلود، ثم ليعرف أهدافه ودربه ومهمّته . فلا يعيش ليأكل و يشرب، و ينام و يستيقظ كالأنعام "(4) .

---

(1) جامع البيان – ج6 – ص173 .

(2) سورة الأعلى – الآيتان (16 ، 17) .

(3) سورة القيامة – الآيتان (20 ، 21) .

(4) حتى نغيّر ما بأنفسنا – د . عدنان النحوي – ص 115 ، 116 .

الفرع الثالث

أسماء يوم الدين

إن القرآن الكريم يكثر من ذكر يوم الدين، فلا تكاد سورة تخلو من الحديث عنه، وما يحدث فيه . وإن المتتبع لآيات القرآن يجد أنه وُضِع لهذا اليوم أسماء كثيرة، و كل اسم فيها يدل على معنى مما سيحدث من أهوال في هذا اليوم العظيم .

وسيعرض الباحث لبعض هذه الأسماء الكثيرة، و ذلك فيما يلي:

1- يوم القيامة :

قال تعالى : ﴿ **لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ (1).

واختلف في تسميتها على أقوال : منها : لقيام الخلق من قبورهم إليها .

قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً ...**﴾ (2) .و المعنى " يوم يقومون من القبور إذا دعاهم الله- سبحانه وتعالى- لموقف الحساب "(3) .

ومنها : لقيام الناس لربّ العالمين . قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (4). والمعنى " يوم يقومون من قبورهم . وقيل : يقومون في الآخرة بحقوق عباد الله في الدنيا . وقيل : يقومون بين يدي الله للقضاء"(5). ومنها : لقيام الروح و الملائكة صفاً . قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً...**﴾ (6).

2- الساعة :

قال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ**﴾ (7).

" سميت بذلك؛ لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا؛ أو لأنها تقع بغتة [و فجأة]، كما تقول : في ساعة لمن تستعجلُه "(8).

3- يوم التلاق :

قال تعالى : ﴿**... لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ**﴾ (9). سُمّي بهذا الاسم؛ لأن الناس كلّهم يلتقون فيها؛ أو

---

(1) سورة القيامة – الآية (1) .

(2) سورة المعارج – الآية (43) .

(3) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج4 – ص423 .

(4) سورة المطففين – الآية (6) .

(5)الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج19 – ص256 .

(6) سورة النبأ – الآية (38) .

(7) سورة الروم – الآية (12).

(8) الكشاف – للزمخشري – ج3 – ص517 .

(9) سورة غافر – الآية (15) .

لأنهم يلقون ربَّهم أي يقفون أمام حضرته تعالى للحساب (1) .

4- يوم الجمع :

قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ...** ﴾ (2) . سُمِّي بهذا الاسم؛ لأن الخلائق تُجْمَعُ فيه؛ وقيل : يُجْمَعُ بين الأرواح والأجساد؛ وقيل: يُجْمَعُ بين كل عاملٍ وعمله(3).

5- المصير:

قال تعالى : ﴿**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**﴾ (4) والمصير هو المرجع والمآب يوم القيامة (5) .

6- الحاقة:

قال تعالى : ﴿**الْحَاقَّةُ ، مَا الْحَاقَّةُ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ**﴾ (6) .

سُمِّيت بالحاقة؛ " لأنها تُبدي حقائق الأشياء؛ وقيل : لأن الأمر يُحَقُّ فيها؛ و قيل : مِنْ حَقَّ الشيءُ إذا ثَبَتَ فيه فهي ثابتة كائنة ؛ وقيل: لأنها تحقّ كلّ محاقّ في دين الله . أي تغلبه مِنْ حَاقَقْتُهُ أي غَلَبْتُهُ "(7) .

7- الحساب:

أي أن الله تعالى سيحاسب فيه الخلقَ كلّهم على أعمالهم السيئة والحسنة. قال تعالى: ﴿ **... وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ (8) . الحساب أي الجزاء، وسُمِّي بهذا الاسم؛ لأنَّ الجزاء يقع في ذلك اليوم؛ ولانتفاء الظلم عن ذلك الجزاء، فالله سيحاسبهم حساباً سريعاً (9) .

8- الطامّة:

قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى**﴾ (10) .

الطامّة: الداهية العظمى، وسمّيت بذلك؛ لأنها تطمُّ على كلّ أمر هائل فظيع، فتغمر وتعمّ ما سواها بعظيم هولها (11) .

---

(1) انظر : التحرير و التنوير – لابن عاشور – ج 9 – ص109.

(2) سورة التغابن – الآية (9) .

(3) انظر : الكشاف – للزمخشري –ج4 – ص 125.

(4) سورة النور – الآية (42) .

(5) انظر : فتح القدير – للشوكاني – ج1 – ص 461 .

(6) سورة الحاقة – الآيات (1 – 3) .

(7) الدر المصون – للسمين الحلبي – ج6 – ص361 .

(8) سورة البقرة – الآية (202) .

(9) انظر : التحرير و التنوير– ج9 – ص112 .

(10) سورة النازعات – الآية (34) .

(11) انظر : محاسن التأويل – للقاسمي – ج9 – ص323 .

9- يوم الحسرة:

قال تعالى: ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ...**﴾ (1).

" ويوم الحسرة أي يوم القيامة من حيث يكثر التحسّر من أهل النار؛ وقيل: يتحسَّر أيضاً في الجنة إذا لم يكن من السابقين الواصلين إلى الدرجات العالية، والأول هو الصحيح؛ لأن الحسرة غمٌّ وذلك لا يليق بأهل الثواب"(2). والأول أولى؛ لأن الله سبحانه يرضي أهل الجنة بأماكنهم ودرجاتهم حيث يرى كلٌّ منهم أنه في أفضل مكان كان يأمله، أضف إلى ذلك أن الله ينزع ما في صدورهم من غلٍّ وحسد وغيرة .

10- الغاشية :

قال تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**﴾ (3).

سُمِّيت بذلك؛ لأنها تغشى الخلائق بأهوالها وشدائدها وأفزاعها؛ وقيل : لأنها تغشى وجوه الكفار، لقوله تعالى : ﴿**... وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ**﴾ (4). وقيل : لأن أهل النار يَغْشَوْن النار، ويقتحمون فيها (5) .

11- يوم الآزفة:

قال تعالى: ﴿**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ...**﴾ (6).

" أصل الآزفة اسم فاعل مؤنث مشتق من فعل أزف الأمر إذا قرب، فالآزفة صفة لموصوف محذوف تقديره: الساعة الآزفة، أو القيامة الآزفة "(7).

قال ابن كثير: " يوم الآزفة اسم من أسماء يوم القيامة، وسُمِّيت بذلك لاقترابها" (8). فكل آتٍ قريب وإن بعد زمانه.

12- الواقعة :

قال تعالى : ﴿ **إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ**﴾ (9).

---

(1) سورة مريم- الآية (39) .

(2) التفسير الكبير – للرازي- م10 –ج21 –ص189 .

(3) سورة الغاشية – الآية (1) .

(4) سورة إبراهيم – الآية (50) .

(5) انظر : الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج20 –ص25 ،26.

(6) سورة غافر – الآية (18) .

(7) التحرير و التنوير – لابن عاشور – ج9 –ص113 .

(8) تفسير القرآن العظيم – ج4 –ص75 .

(9) سورة الواقعة – الآية (1).

" يقال لكل آتٍ كان يُتَوقَّع قد وقع، تقول : قد وقع الأمر، كقولك : قد جاء الأمر "(1).

قال الزمخشري : " الواقعة القيامة . وُصِفَتْ بالوقوع؛ لأنها تقـــــعُ لا محـــالـــةَ "(2).

13- القارعة :

قال تعالى : ﴿ **الْقَارِعَةُ ، مَا الْقَارِعَةُ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ**﴾ (3).

سُمِّيت بذلك؛ " لأنها تقرع الخلق بأهوالها و أفزاعها "(4).

قال الطبري : " القارعة : الساعة التي يقرع قلوبَ الناس هَوْلُها، و عظيم ما ينزل بهم من البلاء عندها، و ذلك صبيحة لا ليل بعدها "(5) .

14- الصّاخة :

قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ**﴾ (6).

" الصاخة أي صيحة يوم القيامة، وسُمِّيت صاخة لشدة صوتها؛ لأنها تـــصخّ الآذان: أي تصمّها بشدة فلا تسمع، وقيل سميت صاخة؛ لأنها يصيخ لها الأسماع، من قولك: أصاخ إلى كذا أي أستمع إليه"(7).

هذه هي بعض أسماء يوم الدين(8)، واللهَ نسألُ أن يجعلنا من أهل يوم الدين، لا من أهل الدنيا، وأن يجعل الآخرة أكبر هَمِّنا وغاية سعينا امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً**﴾ (9) .

---

(1) معاني القرآن الكريم و إعرابه – للزجاج – ج5 – ص85.

(2) الكشاف – ج4 – ص327 .

(3) سورة القارعة – الآيات (1 – 3) .

(4) الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج19 – ص164 .

(5) جامع البيان – ج15 – ص358.

(6) سورة عبس – الآية (33).

(7) فتح القدير – للشوكاني – ج5 – ص549.

(8) انظر : التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة – للقرطبي – ص204 و ما بعدها.

(9) سورة الإسراء – الآية (19).

الفرع الرابع

بعض القضايا التي تتعلق بـــ (يوم الدين)

سيتنـــاول البـــاحـــث بعض القضـــايا الهـــامـــة التـــي تتعلق بـــ (يوم الدين) .

القضية الأولى: لِمَ خَصّص (يوم الدين) لملكيته، والله مالك يوم الدين وغيره؟ الجـــواب: لأن المخلوقين في الدنيا كانوا يتنازعون في الملك، مثل: النمرود وفرعون وغيرهما، وفي يوم الدين لا أحدٌ ينازع اللهَ في ملكه، وكلُّ الخلق خاضعون له تعالى، كما قال الله – عز وجل: ﴿ **... لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ (1) . فلذلك قال: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ أي في ذلك اليوم العظيم لا يكون مالكٌ ولا قاضٍ ولا مجازٍ إلا الله رب العالمين. وقيل: لتعظيمه وتهويله؛ أو لبيـــان تفـــرّده تعالى بإجراء الأمر فيه، كما قال تعالى: ﴿... **وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**﴾ (2) . وانقطاع العلائـــق بـــين المالكين وأملاكهم حينئذٍ بالكلية (3) . يقول الماوردي في تفسيره : " في اختصاصه بملـــك يـــوم الدين تأويلان: أحدهما : أنه يومٌ ليس فيه مَلِكٌ سواه، فكان أعظم مِنْ مُلْكِ الـــدنيا التـــي تملكهـــا الملوك . والثاني : أنه قـــــال : (ربّ العالمين) يريد به ملك الدنيا، قال بعده : (ملـــك يـــوم الدين) يريد به ملك الآخرة ليجمع بين ملك الدنيا و الآخرة "(4).

القضية الثانية : كيف قال : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ويوم الدين لم يُوجَد بعد، فكيف وصف نفـــسه بملك ما لم يُوجِدْهُ ؟ والجواب على هذا السؤال : " أنَ (مالكاً) اسم فاعل من ملك يملك، واســـم الفاعل في كلام العرب قد يضاف إلى ما بعده وهو بمعنى الفعل المستقبل، ويكون ذلـــك عنـــدهم كلاماً سديداً، معقولاً صحيحاً، كقولك : هذا ضارب زيد غداً، أي سيضرب زيداً، وكـــذلك هـــذا حاج بيت الله في العام المقبل، تأويله سيحجُّ في العام المقبل، أفلا ترى أن الفعل قد ينـــسب إليـــه وهـــو لـــم يفعله بعد، و إنما أريد به الاستقبال، فكذلك قوله عز وجل : ﴿ **مَالِكِ يَـــوْمِ الـــدِّينِ**﴾ على تأويل الاستقبال أي سيملك يوم الدين أو في يوم الدين إذا حـــضر" (5) . و للـــرازي رأيٌ آخر، حيث يرى : " أن قيام القيامة لما كان أمراً حقاً .. جعل وجود القيامة كالأمر القـــائم فـــي الحال الحاصل في الحال، و أيضاً من مات فقد قامت قيامته فكانت القيامة حاصلة في الحال"(6).

القضية الثالثة : رُبَّ سائل يسأل : أليس كلّ الأيام أيام جزاء و كل ما يلاقيه الناس في هـــذه الحياة من البؤس هو جزاء على تفريطهم في أداء الحقوق و القيام بالواجبات التي عليهـــم ؟

---

(1) سورة غافر – الآية (16) .

(2) سورة الانفطار – الآية (19) .

(3) انظر : تنوير الأذهان – للبر وسوي – ج1 – ص15.

(4) النكت والعيون – ج1 – ص57.

(5) الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج1 – ص142.

(6) التفسير الكبير – م1 – ج1 – ص195 ، 196 .

والجواب : بلى إن أيامنا التي نحن فيها قد يقع فيها الجزاء على أعمالنا، ولكن ربما لا يظهر الجزاء لأصحابه إلا على بعضها دون جميعها، و الجزاء على التفريط في الواجبات إنما يظهر في الدنيا ظهوراً تامّاً بالنسبة إلى جميع الأمّة لا إلى كل فرد من الأفراد، فما من أمّة انحرفت عن الصراط المستقيم، و لم تتبع الرسل إلاّ وأحلّ بها العدل الإلهي ما تستحقّ من الجزاء : كالفقر والذلّ وفقد العزة والملك و السلطة ... وأمّا الأفراد فإننا نرى كثيراً من المسرفين الظالمين يقضون أعمارهم منغمسين في الشهوات و اللّذات، فضمائرهم أحياناً توبّخهم على ذلك ولا يَسْلَمُون من المَنغِّصات، وقد يصيبهم النقص في أموالهم، وعافية أبدانهم وقوة عقولهم، ولكن هذا كله لا يقابل بعض أعمالهم القبيحة لا سيما الملوك و الأمراء الذين تشقى بأعمالهم السيئة أممٌ وشعوب .. كذلك نرى من المحسنين للناس من يُبْتَلى بهضم حقوقه، ولا ينال الجزاء الذي يستحقّه على عمله. وفي يوم الدين يُوَفَّى كُلُّ فرد من الخلق جزاءه كاملاً لا يُظْلَمُ منه شيئاً، كما قال تعالى : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾ (1) "(2) .

القضية الرابعة : هل يجوز لأحد أن يتسمَّى بملك الملوك ؟ الجواب : لا يجوز لأحد أن يتسمَّى بهذا الاسم، ولا يُدْعَى به إلا الله تعالى. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **يقبض اللهُ الأرضَ يوم القيامة و يطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟** "(3). وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **إن أَخْنَعَ اسم عند الله رجلٌ تسمَّى ملك الأملاك** "(4) . زاد مسلم " **لا مالك إلا الله عز وجل** " (5).

وعنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **أغيظ رجل على الله يوم القيامة و أخبثه رجل كان يُسمَّى مَلِكَ الأملاك لا مَالِكَ إلاّ الله سبحانه** " (6) (7) .

---

(1) سورة الزلزلة – الآيتان (7 ، 8).

(2) أم القرآن وخير ثلاث سور أنزلت – محمد الصواف – ص40 ،41 .

(3) صحيح البخاري – كتاب الرقاق (81) – باب يقبض الله الأرض يوم القيامة(44) – ص1322 – حديث (6519) ، وصحيح مسلم – كتاب صفة القيامة والجنة و النار (50) – ص (1384) – حديث (2787) .

(4) صحيح البخاري – كتاب الأدب (78) باب أبغض الأسماء إلى الله (114) – ص 1270 –حديث (6205) ، وصحيح مسلم – كتاب الآداب (38) – باب تحريم التسمِّي بملك الأملاك أو بملك الملوك (4) – ص1087 – حديث (2143) .

(5) صحيح مسلم – كتاب الآداب(38) – باب تحريم التسمِّي بملك الأملاك أو بملك الملوك(4) –ص 1087 – حديث (2143) .

(6) صحيح مسلم – كتاب الآداب (38) – باب تحريم التسمِّي بملك الأملاك و بملك الملوك (4) – ص 1087–حديث(2143) .

(7) انظر : زاد المعاد – لابن قيم الجوزية – ج2 – ص334 .

المطلب الرابع
عبادة الله والاستعانة به

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: حقيقة العبادة والاستعانة.
الفرع الثاني: منزلة العبادة والاستعانة.
الفرع الثالث: مجالات العبادة في الإسلام.
الفرع الرابع: بعض القضايا التي تتعلق بالعبادة والاستعانة.

الفرع الأول

حقيقة العبادة والاستعانة

أولاً: حقيقة العبادة:

العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع،ومنه طريقٌ مُعَبَّدٌ إذا كان مذلّلاً بكثرة الوطء، يقال : عَبَد اللهَ يَعْبُدُهُ عِبادةً ومَعْبَداً ومَعْبَدَةً: تألَّهَ له . ورجل عابد من قوم عَبَدةٍ وعُبّدٍ وعُبَّاد.

والعبد: الإنسان ، حرّاً كان أو رقيقاً. والتَعَبُّد : التَّنَسُّكَ (1).

والعبادة في الاصطلاح: "فِعلُ المكلَّف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربّه" (2). وقيل :" تعظيم الله وامتثال أوامره" (3). و يرى الباحث أن التعريف الإصطلاحي للعبادة هو:" الطاعة والخضوع والإتباع والاستسلام إلى أوامر الله".

ولمزيد معرفة حقيقة العبادة يذكر الباحث بعض أقوال وآراء العلماء في العبادة:

1- قال الزمخشري :" العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلّل .. ؛ ولذلك لم تستعمل إلاّ في الخضوع لله تعالى ؛ لأنه مُولي أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع" (4).

2- ينقل د. يوسف القرضاوي عن الإمام ابن تيمية رأيه حيث ينظر إلى العبادة نظرة عميقة وواسعة ،حيث يحلل معناها إلى عناصر عدة ،فهو يضيف إلى معناها الأصلي في اللغة- وهو غاية الطاعة والخضوع – عنصراً جديداً، وهو عنصر الحبّ، فبغير هذا العنصر الوجداني لا يمكن أن تتحقق العبادة الصحيحة التي خلق اللهُ الخلق من أجلها (5). وذهب إلى مثل ذلك ابن قيم الجوزية حيث رأى أن أصل العبادة في إفراده تعالى بالمحبّة، وأن يكون هذا الحبّ كلّه لله تعالى، فلا يحب معه سواه،وإنما يحبّ لأجله تعالى وفيه، كما يحبّ أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه، وهذه المحبة تتحقق بإتباع أوامر الله، واجتناب نواهيه (6).

3- ويقول أبو حيان: " وفُسِّرت العبادة في (إيّاك نعبد) بأنها التذلّل والخضوع وهو أصل موضوع اللغة، أو الطاعة كقوله تعالى: ﴿... **لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ**... ﴾(7). أو التقرّب بالطاعة، أو

---

(1) انظر: لسان العرب – لابن منظور- ج3 – ص270 – 273.

(2) التعريفات – للجرجاني – ج1 – ص146.

(3) التوقيف على مهمّات التعاريف – لمحمد عبد الرؤوف المناوي – ص498.

(4) الكشاف – ج1 – ص19.

(5) انظر: العبادة في الإسلام – د. يوسف القرضاوي – ص31.

(6) انظر : مدارج السالكين – ج1 – ص 97 ، 98.

(7) سورة مريم – الآية (44).

الدعـــــــاء، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي...** ﴾ (1). أي دعائي، أو التوحيد، ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾(2) .أي ليُوحِّدون. وكلها متقاربة المعنى "(3).

4- ويرى الشيخ محمد أبو زهرة أن العبادة أكمل أنواع الخضوع، والتذلّل لله تعالى، ولا تكـون لغير الله؛ فهو وحده المعبود بحقّ، فلا يعبد سواه، وإن دوام العبادة والاستمرار عليها مع القيـام بحقّها من خشوع وخضوع لله وتذكُّر مقامِ الله العليّ الأعلى، وحضور لذاته العليّة كأنه يـرى اللهَ تعالى، مع الإحساس بأن الله تعالى يراه. وإن دوام العبادة على هذا النحو يولّد في نفسه صـدق العبودية، فيحس في كل أحواله بأنه لله، ويحبّ الشيء لا يحبه إلا لله، ويكون ربانيّـاً مـستجيباً لأمر الله، كما قال تعالى : ﴿ **...كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ...** ﴾ (4)" (5).

5- ويرى الشيخ كشك : أن العبادة هي خضوع ينشأ عن استشعار القلـب بعظمـة المعبـود... والعبادة ليست أمراً مقصوراً على الصلاة فقط، وإنما العبادة لها صور وأشكال، فمنهـا العبـادة القولية كذكر الله تعالى والاستغفار والدعاء، قال تعالى-على لسان نوح عليه السلام- : ﴿ **فَقُلْـتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا** ﴾(6) ، ومنها العبادة القلبية، فهي تتمثل في النيّة الصادقة والتوبـة والخوف والرجاء والصبر والشكر والرضا واليقين والتوكل... ومنها العبادة العملية: كالـصلاة والصيام والحج... ومنها العبادة المالية: كالزكاة والكفّارات والنذور.. ومنهـا العبـادة البدنيـة: كالجهاد في سبيل الله تعالى (7).

6- ويرى د. يوسف القرضاوي :" أن العبادة المشروعة والصحيحة لابد لها من أمرين: الأول: الالتزام بما شرّعه الله ودعا إليه رسله، أمراً ونهياً وتحليلاً وتحريماً، وهـذا هـو الـذي يُمثّـل عنصري الطاعة والخضوع لله تعالى. والثاني: أن يصدر هذا الالتزام مـن قلـبٍ يحـبّ الله تعالى، وأن أساس هذا الحبّ هو الشعور بفضله ونعمته وإحسانه ورحمته، والإحـساس بجمالـه وكمالـه. قال تعالى: ﴿**... وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا للَّهِ...**﴾ (8) "(9).

---

(1) سورة غافر – الآية (60) .

(2) سورة الذاريات – الآية (56).

(3) البحر المحيط – ج1 – ص142.

(4) سورة آل عمران – الآية (79).

(5) زهرة التفاسير – ج1 – ص 64.

(6) سورة نوح – الآية (10).

(7)انظر: في رحاب التفسير – م1 – ج1 – ص 68، 69 (باختصار).

(8) سورة البقرة – الآية (165) .

(9) العبادة في الإسلام – ص 33، 34 (باختصار).

ثانيا: حقيقة الاستعانة:

الاستعانة في اللغة: طلب العون ، والسين تدل على الطلب (1).

والعَوْنُ: الظهير على الأمر (2). يُقال : أَعَنْتُه إعانةً واستَعَنْتُهُ واسْتَعَنْتُ به فأعانني وعوّنني، والاسم العَوْنُ والمَعَانَةُ والمَعُونَةُ والمَعُونُ (3).

والاستعانة في الاصطلاح:

" هي طلب المعونة من الله تعالى على ما لا قِبَلَ للبشرِ بالإعانة عليه ولا قِبَلَ للمستعين بأن يتحصّلَهُ بمفرده " (4). وحقيقة الاستعانة هي نوع من استصغار حال الإنسان بجوار عظمة الخالق تعالى، وافتقاره إليه تعالى،وأنه محتاج إليه دائماً كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ (5). وإن من أعلى أبواب الاستعانة، هو الاستعانة بالله تعالى على أداء واجب العبادة ليصل إلى درجة العبودية، ويكون ربّانيّاً (6).

والاستعانة بالله تُحَرّر الإنسان المؤمن من ذلّ الآخرين، فالإنسان حينما يستعين بغير الله تعالى، كما لو استعان بإنسان آخر مثله، فمهما بلغ هذا الإنسان من نفوذ وقوة وعتاد.. فكل هذه الأشياء تكون في حدود بشريته، فقد يصبح هذا الإنسان في لحظة ما ضعيفاً هزيلاً، وقد يموت هذا الإنسان ، فلا يستطيع أن يعينه. إذن فالله تعالى عندما قال: ﴿ **إيّاك نعبد وإيّاك نستعين** ﴾. فهو يطلب منا أن نستعين به دائماً في كل شيء، فهو الحي الذي لا يموت، وهو القويّ الذي لا يضعف، وهو القاهر الذي لا يُغْلَب.. فالمؤمن إذا فَقَدَ الأسباب أمام الباطل وأمام الأعداء فعليه أن يتذكّر دائماً أن هناك ربَّ الأسباب، فهو وحده الذي يُسْتَعَانُ به، وهو وحده المعين، فهو القائل: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ...** ﴾ (7) (8).

والاستعانة بالله لابد لها من أمرين: الثقة بالله، والاعتماد عليه. فالإنسان قد يثق بغيره من الناس، لكنه لا يعتمد عليه في شئونه و أموره لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه بدون الثقة به لاحتياجه إليه (9).

---

(1) انظر: الدر المصون – للسمين الحلبي – ج1 – ص76.

(2) لسان العرب – ج13 – ص 298 .

(3) القاموس المحيط – للفيروزآبادي – م2 – ج4 – ص252.

(4) التحرير والتنوير– لابن عاشور – م1 – ج1 – ص184.

(5) سورة فاطر – الآية (15) .

(6) زهرة التفاسير– للشيخ محمد أبو زهرة – ج1 – ص65 .

(7) سورة البقرة – الآية (186) .

(8) انظر: تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي– ج1 – ص 83.

(9) مدارج السالكين– لابن قيّم الجوزية – ج1 – ص76 (بتصرف).

الفرع الثاني

منزلة العبادة والاستعانة بالله

أولاً: منزلة العبادة:

العبادة هي الأساس الأول الذي بعث الله تعالى رسله وأنبياءه لدعوة الناس إليه، وتذكيرهم بهذه القضية العظيمة، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوت...**﴾ (1)، وكانت العبادة هي الصيحة الأولى في كل رسالة، قال تعالى: ﴿... **اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...**﴾(2)(3). والعبادة أعظم طريق موصلة إلى الله تعالى (4).

فجميع الرسل والأنبياء دعوا إلى عبادة الله تعالى وحده من لدن نوحٍ عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ (5)(6) .

"فكل نبي بعثه الله تعالى يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والفطرة شاهدة بذلك أيضاً، والمشركون لا برهان لهم وحجتهم داحضة عند ربهم"(7) . لذا فإن العبادة مقامٌ شريف عظيم، يدل عليه آيات كريمة: منها: قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾(8) .

والاستدلال بهذه الآيات من وجهين : أحدهما: أنه قال: ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ . فأمر سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام بالمواظبة على العبادة إلى أن يأتيه الموت،ومعناه أنه لا يجوز الإخلال بالعبادة في شيء من الأوقات،وذلك يدلّ على غاية جلالة أمر العبادة. وثانيهما: أنه قال: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ**﴾.

ثم إنه تعالى أمَر سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بأربعة أشياء: التسبيح والتحميد والسجود والعبادة؛ وهذا يدل على أن العبادة تزيل ضيق القلب، وتفيد انشراح الصدر.ومنها قوله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى...**﴾ (9).

---

(1) سورة النحل – الآية (36).

(2) سورة الأعراف – الآية (59).

(3) انظر: العبادة في الإسلام – د.يوسف القرضاوي – ص6.

(4) انظر: إلى الذين أسرفوا على أنفسهم – د . عائض القرني – ص8.

(5) سورة الأنبياء – الآية (25).

(6) انظر: مدارج السالكين – لابن قيم الجوزية – ج1 – ص100.

(7) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج3 – ص176.

(8) سورة الحجر – الآيات (97-99).

(9) سورة الإسراء – الآية (1).

وهذه الآية جاءت في بيان شرف العبودية، ولولا أن العبودية أشرف المقامات، وإلا لما وصفه الله بهذه الصفة في أعلى المقامات. ومنها قوله تعالى:﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي**﴾ (1). " في هذه الآية أمَر الله تعالى موسى عليه السلام بعد التوحيد بالعبودية؛ لأن التوحيد شجرة، والعبودية ثمرة، ولا غنى لأحدهما عن الآخر . وروي عن عليّ – رضي الله عنه – أنه كان يقول : كفى بي فخراً أن أكون لك عبداً، وكفى بي شرفاً أن تكون لي ربّاً، اللهمّ إني وجدتك إلهاً كما أردت فاجعلني عبداً كما أردت" (2).

ولِعظَمِ العبادة ومكانتها في الإسلام فقد خلق الله الخلق من أجلها حيث قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (3).

والمعنى " وما خلقت الثقلين الإنس والجن إلا لعبادتي وتوحيدي لا لطلب الدنيا والانهماك بها "(4). وقد أمرهم تعالى بهذه العبادة التي خلقهم لها حيث قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (5). أي اعرفوا ربكم ووحّدوه وأدّوا له حقوق الربوبية بعبادتكم إياه فهو أوجدكم من عدم وأوجد من قبلكم كذلك، لذا فهو تعالى يستحقّ العبادة، فمن عرفه حقَّ المعرفة، ووحَّده حقّ التوحيد، وعَبَده حقّ العبادة كان من المتقين (6). ولقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل والأنبياء جميعاً، وأنزل الكتب؛ لبيان هذه العبادة وتفصيلها ودعوة الخلق إليها، وإخلاصها له وحده، حيث قال تعالى: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...**﴾ (7)، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ (8).

فهذه الآيات تدلُّ على فضل العبادة ومنزلتها في الإسلام، وتدل على وجوب إخلاص العبادة لله وحده. إذن الواجب على كل فرد مكلّف العناية والاهتمام بها(9).

ثانياً: منزلة الاستعانة بالله:

الاستعانة بالله تعالى من أجلّ المنازل وأعظمها، وقد وردت بعض الآيات الكريمة، والأحاديث

---

(1) سورة طه – الآية (14).

(2) التفسير الكبير – للرازي – م 1– ج1 – ص202 ، 203 (باختصار).

(3) سورة الذاريات – الآية (56).

(4) صفوة التفاسير – د . محمد علي الصابوني – ج3 – ص 259.

(5) سورة البقرة – الآية (21).

(6) انظر : الأساس في التفسير – لسعيد حوَّى – ج1 – ص94 ، 95.

(7) سورة الإسراء – الآية (23).

(8) سورة البيّنة – الآية (5).

(9) انظر: العقيدة الصحيحة وما يضادها ورسالة المعية – للشيخ ابن باز – ص 29–31.

الشريفة، والآثار العظيمة في بيان فضل ومنزلة الاستعانة بالله تعالى.

فمن الآيات الكريمة : جاءت الاستعانة مقرونة بالصبر، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام قائلاً لقومه: ﴿ **قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ...** ﴾ (1) .

قال الرازي:"[أمر اللهُ موسى وقومه] بشيئين: الأول : الاستعانة بالله تعالى ، والثاني: الصبر على بلاء الله . وإنما أمرهم أولاً بالاستعانة بالله ؛وذلك لأن من عرف أنه لا مُدَبِّرَ في العالم إلاّ الله تعالى انشرح صدره بنور معرفة الله تعالى، وحينئذٍ يسهل عليه أنواع البلاء؛ ولأنه يرى عند نزول البلاء أنه إنما حصل بقضاء الله تعالى وتقديره"(2).

وبَيَّن اللهُ تعالى أن الإنسان لا يتحصَّل على الصبر إلاّ بالاستعانة بالله تعالى، وجاء ذلك على لسان يعقوب عليه السلام : ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ (3) .

يقول القاسمي عند تفسير قوله : ﴿ **وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ**﴾ :" اعتراف بأنَّ تلبُّسَهُ بالصبر لا يكون إلا بمعونته تعالى "(4).

ولقد استعان الرسولُ صلى الله عليه وسلم بالله تعالى على الصبر على كفار قريش عندما اتهمته بالسحر والكهانة والجنون وغير ذلك .. وكذبت بالقرآن . فقال تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾ (5) والمعنى :" وقل يا محمد : ربنا الذي يرحم عباده ويَعُمُّهم بنعمته ، الذي أستعينه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لي فيما أتيتكم به من عند الله .. وفي كذبكم على الله "(6) .

والاستعانة بالله تعالى وحده تؤدّي إلى النصر والغلبة على الأعداء، ويؤيِّد ذلك : ماحدث في غزة بدر، حيث كان المسلمون قلة في عددهم وعدتهم ،وضعفاء في استعدادهم، فما استعانوا بالفرس وبالروم على عدوّهم وإنما استعانوا بالله وحده، واستغاثوا به، لذلك شملهم الله بنصره وتأييده، وأنزل عليهم ألفاً من الملائكة مردِفين، فانهزم أعداؤهم مدحورين مذعورين بفضل الاستعانة بالله تعالى. قال سبحانه: ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ، وَمَاجَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾(7) .

---

(1) سورة الأعراف – الآية (128).

(2) التفسير الكبير – م7 – ج14 – ص173.

(3) سورة يوسف – الآية (18).

(4) محاسن التأويل – ج6 – ص166 .

(5) سورة الأنبياء – الآية (112).

(6) جامع البيان– للطبري – ج10 – ص 144 .

(7) سورة الأنفال – الآيتان (9 ، 10).

أما الأحاديث، فمنها:

عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: كنت خلف النبي – صلى الله عليه وسلم– يوماً، فقال لي: " **يا غلام إني أُعَلِّمُك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفَّت الصحف** "(1). (وإذا استعنت فاستعن بالله) أي إذا طلبت الإعانة على أمر من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله تعالى؛ لأنه القادر على كل شيء، وغيره عاجز عن كل شيء، حتى جلْب مصالح نفسه، ودفع مضارها " (2).

وكان من دعائه – صلى الله عليه وسلم– :" **ربِّ أَعنّي ولا تُعِنْ عليَّ، وانصرني ولا تنْصُر عليّ وامْكُر لي ولا تمكُرْ عليّ...**" (3).

وأما الآثار والأقوال، فمنها: روي عن محمد بن حامد (4) قال: " قلت لأبي بكر الورّاق(5) : عَلِّمني شيئاً يقرِّبني من الناس فقال: أمّا الذي يقرّبك إلى الله تعالى فمسألته، وأما الذي يقربك من الناس فترك مسألتهم " (6) وقال عليٌّ بن أبي طالب – رضي الله عنه– : مَنْ اعتمد على ماله قلَّ، ومن اعتمد على عقله ضلَّ، ومن اعتمد على جاهه ذلَّ، ومن اعتمد على الله لا قلَّ ولا ضلَّ ولا ذلَّ . والاعتماد على الله أصلٌ من أصول الاستعانة بالله (7).وروي أنه كان من دعاء سيدنا موسى– عليه السلام– :" اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستعان، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك" (8).

---

(1) سنن الترمذي – كتاب الدعوات (45) – باب ما يقول إذا خرج من بيته (35)– حديث (3426)، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(2) من وصايا الرسول – طه عبد الله العفيفي – ج1 – ص 687.

(3) سنن الترمذي – كتاب الدعوات (45) – باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (102) – ج5 – ص 375، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح.

(4) محمد بن حامد : لم أعثر عليه في كتب التراجم، لكنني وجدت أنه يروي عن الزُّهاد أمثال : أحمد بن الخضر البلخي، و أبي بكر الوراق البلخي . انظر : (صفوة الصفوة) – لابن الجوزي – ج 2 – ص 341– 343.

(5) أبو بكر الورّاق: أبو بكر محمد بن عمر الورّاق البلخي، يقال له: الحكيم، له الكتب في المعاملات، أسند الحديث عن موسى بن حزام الترمذي . انظر: (حلية الأولياء) – لأبي نعيم الأصفهاني – ج10 – ص 235.

(6) شعب الإيمان– للبيهقي– فضل الرجاء من الله (12)– باب الذي يقربك إلى الله – ج 2– ص 35– أثر (1098) .

(7) انظر: مدارج السالكين– لابن قيّم الجوزية – ج1 – ص 75.

(8) مجموع فتاوى – لابن تيمية – ج1 – ص122.

الفرع الثالث

مجالات العبادة في الإسلام

إن العبادة تشمل جميع أمور الدين، وتشمل أيضاً حياة الإنسان كلها.

أولاً: شمول العبادة لجميع أمور الدين:

إن العبادة تشمل كلّ ما أمر الله به من قولٍ وعملٍ كالصلاة والزكاة والصيام والحجّ والأمانة وطاعة الوالدين، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والعطف على المساكين والفقراء، والذكر والدعاء، وقراءة القرآن، والزهد في الدنيا، والإخلاص، والصدق، والشكر والصبر، والرحمة والاستعانة بالله، والتوكل على الله، والخشية والخوف... فكلٌ ذلك يُعَدُّ من العبادة.

والعبادة تشمل أيضاً الابتعاد عن كل ما نهى الله عنه من قول وعمل، كالابتعاد عن الحسد والزنا وشرب الخمر، والسرقة والقتل بغير حقّ، وقول الزور والكذب والنفاق والغشّ والاحتكار..

فالابتعاد عن كلّ ذلك يُعَدُّ من العبادة.

قال الله– تعالى– آمراً الناس جميعاً بعبادته : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾(1) .

" فالمخاطب بالأمر بالعبادة المشركون من العرب والدهريون منهم، وأهل الكتاب والمؤمنون، كلٌّ بما عليه من واجب العبادة من إثبات الخالق ومن توحيده، ومن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والامتثال لما شرَّعه إلى ما وراء ذلك كلّه"(2).

ثانياً: شمول العبادة لحياة الإنسان كلها:

إن عبادة الله تعالى تشمل حياة الإنسان كلّها: الحياة الاجتماعية كالنكاح، وأدب الأكل والشرب والنوم، وقضاء الحاجة، وأدب الحديث والجلوس على الطرقات...

والحياة السياسية، كسياسة الحكم والمال، وبناء الدولة، وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب...

والحياة الروحية والأخلاقية،كالعادات والتقاليد، والمعاملات الأخلاقية، والسلوك...

والحياة الدينية، كالوصية والقصاص، والقتال... والآيات الكريمة تناولت جوانب شتّى من حياة الإنسان، فمثلاً: في سورة البقرة جاءت بعض الآيات تحمل جملة من التكاليف كلها جاءت بصيغة واحدة (كتب عليكم) . قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي**

---

(1) سورة البقرة – الآية (21).

(2) التحرير والتنوير – لابن عاشور – م1 –ج 1 – ص 326 .

الْقَتْلَى...﴾ (1) . وقال تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ...** ﴾ (2) .

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (3) .

حتى إنَّ عادات الإنسان إذا قصد بها التقوِّي على عبادة الله وطاعته، كالنوم والأكل والشرب والبيع والزواج، فإن هذه العادات والمباحات تنقلب إلى عبادات إذا كانت بنيّة خالصة لله تعالى (4). فمثلاً: مَنْ قَصَدَ من الزواج تحصين دينه ودين زوجته، وقصد إعفاف نفسه وزوجته عن الحرام، ورغب في أن يُرْزَقَ بولدٍ صالحٍ كان كلُّ ذلك بالنيّة الخالصة لله عبادةً يُثاب عليها.

دليل ذلك قول الرسول –صلى الله عليه وسلم– : " **وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته و يكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**" (5).

---

(1) سورة البقرة –الآية (178).

(2) سورة البقرة – الآية (180).

(3) سورة البقرة – الآية (183).

(4) انظر: العبادة في الإسلام – د. يوسف القرضاوي – ص 49–52، وعقيدة التوحيد – د. صالح الفوزان – ص53.

(5) صحيح مسلم – كتاب الزكاة (12) – باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (16)– ص 460 – حديث (1006) .

الفرع الرابع

بعض القضايا التي تتعلق بالعبادة والاستعانة

أولاً: بعض القضايا التي تتعلق بالعبادة:

القضية الأولى: المهمة التي خُلِقَ الإنسان للوفاء بها في الحياة الدنيا:

إن الله تعالى – خلق الإنسان في هذه الحياة الدنيا ليؤدي مهمة عظيمة، وهي عبادة الله تعالى. والله تعالى لم يخلقنا عبثاً ولن يتركنا سدًى ،قال تعالى: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** ﴾ (1). وقال أيضاً: ﴿ **أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى، أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ،أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى** ﴾(2).

فعند تأمّل وتدبُّر هذه الآيات الكريمة يدرك الإنسان أن الله تعالى لم يخلقه في هذه الدنيا عبثاً،وإنما خلقه ليؤدِّي مهمة عظيمة،تؤدي به إلى الجنة، وكذلك يدرك أن الله تعالى لم يتركه سدىً، فالله تعالى تولّى رعاية الإنسان في جميع مراحل حياته، حتى قبل أن يكون شيئاً وهو في عالم الغيب.

وهذه المهمة العظيمة التي خلقنا الله من أجلها بيّنها كتاب الله في مصطلحات أربعة،ثم هذه المصطلحات الأربعة تجتمع كلها لتعرض هذه المهمة العظيمة من جميع جوانبها، وإليك بيان ذلك فيما يلي:

1- **العبادة** ، قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (3) . وقد تمّ الإشارة إلى هذه الآية في المباحث السابقة.

2- **الأمانة** : قال تعالى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾(4).

والمعنى :" إنا عرضنا الفرائض والتكاليف الشرعية على السموات والأرض والجبال الراسيات فَأَعْرَضْنَ عن حملها وخِفْنَ من ثِقَلِها وشدّتها، والغرض تصوير عظم الأمانة وثقل حملها .... وتحمّلها الإنسانُ إنه كان شديد الظلم لنفسه، مبالغاً في الجهل بعواقب الأمور"(5) .

3- **الخلافة:** قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ...** ﴾(6).

---

(1) سورة المؤمنون – الآية (115).

(2) سورة القيامة – الآيات (36 –40).

(3) سورة الذاريات –الآية (56).

(4) سورة الأحزاب – الآية (72).

(5) صفوة التفاسير – د. محمد علي الصابوني – ج2 – ص540 (باختصار).

(6) سورة البقرة – الآية (30).

والمعنى:" إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي، وذلك الخليفة هو آدم عليه السلام ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه"(1).

4- **العمارة:** قال تعالى: ﴿ **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ...** ﴾(2) .

" ذكَّرهم صالح عليه السلام بنشأته من الأرض، نشأة جنسهم، ونشأة أفرادهم من غذاء الأرض أو من عناصرها، فقد استخلفهم الله فيها ليعمروها [بالإيمان وبعبادة الله وطاعته وبنشر دينه] استخلفهم بجنسهم واستخلفهم بأشخاصهم بعد الذاهبين من قبلهم" (3) .

ومن رحمته – تعالى- بعباده وامتنانه عليهم أن جعل أداء هذه المهمة العظيمة في هذه الحياة الدنيا عهداً مع الله عز وجل، وميثاقاً يوفون به ،ونقض هذا العهد نتيجته الخسران المبين في الدنيا والآخرة.(4) قال تعالى: ﴿ **وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾(5) .

وقال أيضاً : ﴿ **الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ (6) .

القضية الثانية: غاية العبادة في الإسلام:

إن الله – تعالى- لا تنفعه عبادة المؤمنين ،ولا يضرّه إعراض الكافرين، ولا يزيد في ملكه حمد الشاكرين ،ولا ينقص من ملكه جحود المنكرين، فهو الغنيّ، ونحن الفقراء إليه ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾(7).

والمعنى :" ذكَرَ سبحانه افتقار خلقه إليه،ومزيد حاجتهم إلى فضله، فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ**﴾ أي المحتاجون إليه في جميع أمور الدين والدنيا، فهم الفقراء إليه على الإطلاق، وهو تعالى الغني على الإطلاق المستحق للحمد من عباده بإحسانه إليهم "(8) .

وجاء في الحديث القدسي:" **يا عبادي إنكم لم تبلغوا ضرّي فتضروني ،ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحد ما**

---

(1) جامع البيان – للطبري – ج1 – 289.

(2) سورة هود – الآية (61).

(3) في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج4 – ص1907.

(4) حتى نغيّر ما بأنفسنا – د. عدنان النحوي – ص65 وما بعدها.

(5) سورة البقرة – الآية(40).

(6) سورة البقرة – الآية (27).

(7) سورة فاطر – الآية (15).

(8) فتح القدير – للشوكاني – ج4 – ص484.

زاد ذلك في ملكي شيئاً،يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً " (1).

و هناك غايات عظيمة للعبادة في الإسلام ، منها :

1- **العبادة غذاء للروح:**

قلب المسلم يشعر دائماً بالافتقار إلى الله- تعالى- وهذا الشعور ينتج من خلال ما تقوم به العبادة إذا أُدِّيَتْ على وجهها الصحيح، فمثلاً:الإنسان المسلم من خلال وقوفه في الصلاة وهو خاشع مخبت بين يدي الله تعالى ،فهو يعرج بفكره وروحه وقلبه إلى السماء، حيث الصفاء والطّهر والنقاء واللذة في العبادة، والحلاوة في مناجاة الله، والنشوة في التقرّب إلى الله، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم حين قال : ﴿ **وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾(2).

قال أبو السعود: " وإنما لم تثقل عليهم لأنهم يتوقّعون ما أُعِدَّ لهم بمقابلتها فتهون عليهم،.ولأنهم يستغرقون في مناجاة ربّهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب" (3) . لذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أصابه شيء أو حزبه أمر كان يقول :" **يا بلال أرحنا بالصلاة** "(4). أي أذِّن للصلاة لتستريح نفوسنا وتطمئن قلوبنا من هموم الدنيا وأحزانها. وكان إبراهيم بن أدهم(5). إذا أخذته لذّة الطاعة ونشوة العبادة يقول:" لو تعلم الملوك ما نحن عليه من لذّة لجالدونا عليها بالسيوف." ومن هذا نفهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم :" **وجُعِل قرّة عيني في الصلاة**" (6)(7).

---

(1) صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب (45)- باب تحريم الظلم (15) – ص1284- حديث (2577).

(2) سورة البقرة – الآية (45).

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – ج1 – ص120.

(4) مسند أحمد – ج 16 – ص 519- حديث (22982)، قال حمزة الزين في تخريجه للمسند : إسناده صحيح.

(5) إبراهيم بن أدهم : هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم البلخي، كان عابداً زاهداً ورعاً صدوقاً . روى الحديث عن جماعة من التابعين منهم الأعمش و قتادة ... توفي سنة 62 هـ . انظر : (صفوة الصفوة) – لابن الجوزي – ج 2 – ص 334.

(6) مسند احمد – ج 10 – ص 412 – حديث (12233) ، قال حمزة الزين في تخريجه للمسند : إسناده صحيح.

(7) انظر :قصة الهداية – د.عبد الله علوان – ج2 – ص 612 ، 613.

2- **العبادة سبيل الحرية:**

إن العبادة الخالصة لله تعالى هي- في الحقيقة -عين الحرية التي تحرّر القلب من محبّة غير الله تعالى، وتحرّره من الخضوع والتذلل لكلّ ما سوى الله تعالى. فالإنسان السعيد هو الذي يتوجّه إلى الله وحده يخصّه بالطاعة والحبّ والخضوع، وفي المقابل فإن الإنسان الشقيّ التعيس هو الذي يتخذ مع الله آلهة أخرى فيعيش في تخبّط وضلال، والقرآن الكريم ضرب المثل في ذلك عندما قال تعالى: ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا**﴾ (1)."هذا مَثَلٌ من جملة الأمثال التي ضرب الله للناس لعلهم يتذكّرون ،وهو مثل للمشرك الذي يعبد عدة آلهة، والموحِّد الذي لا يعبد إلا الله، فالمشرك مثله رجل يملكه عدد من ذوي الأخلاق الشرسة والطباع الجافة. فهم يتنازعونه هذا يقول له تعال ،والآخر يقول له اجلس ،والثالث يقول له قم فهو في حيرة من أمره لا راحة بدن ولا راحة ضمير ونفس. والموحَّد مثله رجل سلم أي خالص وسالم لرجل آمره وناهيه واحد هل يستويان أي الرجلان ؟ والجواب :لا إذ بينهما كما بين الحرية والعبودية وأعظم" (2).إذن كلما توكّل الإنسان على الله واستعان به ،وتذلّل إليه ،وأخلص له العبادة والطاعة ،فإنه يكون مُقَرّباً من الله تعالى ومستغنياً عن خلقه.

3- العبادة حقّ الله على عباده: إن عبادة الله- تعالى وحده -هي حقٌّ واجبٌ على خلقه، فقد روي عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – أنه قال :" **كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار، فقال لي : يا معاذ. أتدري ما حق الله على العباد؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**" (3).فالواجب أن يكون لله علينا حق عبادته وطاعته وحده، ولِمَ لا؟ وهو – تعالى- خلقنا من عدم وأحسن صُوَرَنا وأكرمنا بنعمة الهداية والإيمان وأنزل علينا القرآن والإسلام وأرسل إلينا الرسل والأنبياء وأمدَّنا بالعقل والحواس ،وسخَّر لنا كلّ شيء لخدمتنا .. فقال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾ (4) .

إذن فلا عجب أن يكون لهذا الخالق المنعم حقّ العبادة والاستعانة به واللجوء إليه، والخضوع والتذلل والانقياد له (5) .

---

(1) سورة الزمر – الآية (29).

(2)أيسر التفاسير – لأبي بكر الجزائري – ج4 – ص379 ،380.

(3) صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير (56) – باب اسم الفرس والحمار (46) – ص 601 حديث (2856) ، وصحيح مسلم – كتاب الإيمان (1) – باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (10) – ص41 – حديث (30) .

(4) سورة لقمان – الآية (20).

(5) انظر: العبادة في الإسلام – د.يوسف القرضاوي – ص95 وما بعدها.

القضية الثالثة: شروط قبول العبادة

هناك شرطان لقبول العبادة :

1- إخلاص النية لله تعالى . أي أن تكون جميع أقوال الإنسان وأعماله الظاهرة والباطنة ابتغاء وجه الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ...**﴾(1) وقال تعالى : ﴿ **وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ،إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى**﴾ (2). وأن يبذل الجهد في أن يوافق ويطابق فِعْلُهُ قَوْلَهُ ، قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ (3) .

قال القاسمي عند قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ : "من لوازم الإيمان الحقيقي الصدق وثبات العزيمة .. وقوله : ﴿ **لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ يحتمل الكذب وخلف الوعد،فمن ادَّعى الإيمان وجب عليه الاجتناب عنهما بحكم الإيمان ،وإلاّ فلا حقيقة لإيمانه" (4).

2- موافقة شَرْعِ الله الذي أمر الله تعالى بإتباعه وعدم إتباع غيره (5). قال تعالى : ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ...**﴾ (6). وقال أيضاً : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(7). " بَيَّن الله – تعالى– في هذه الآية أن الدين ليس إلا الإسلام، وأن كل دين سوى الإسلام فإنه غير مقبول عند الله ؛لأن القبول للعمل هو أن يرضى الله ذلك العمل، ويرضى عن فاعله ويثيب عليه، ثم بيّن تعالى أن كل من له دين سوى الإسلام فكما أنه لا يكون مقبولاً عند الله ،فكذلك يكون من الخاسرين"(8) .

ثانياً: بعض القضايا التي تتعلّق بالاستعانة :

القضية الأولى: حكم الاستعانة بغير الله:

الاستعانة هي طلب العون والمعونة على قضاء حاجة،أو خروج من محنة ،وهي نوع من الدعاء والاستغاثة ،فلا تُطْلَب الاستعانة من عاجز لا يقدر على الإعانة، ولا من ميّت لا يسمع المستعين به، ولا يرى مكانه، ولا يعرف عن حاجته وحاله، ولا من غائب بعيد لا يسمع الدعاء، ولا

---

(1) سورة البيّنة – الآية (5).

(2) سورة الليل – الآيتان (19، 20).

(3) سورة الّصف – الآيتان (2، 3).

(4) محاسن التأويل – ج9 – ص111.

(5) انظر : كتاب 200 سؤال وجواب في العقيد الإسلامية – للشيخ حافظ حكمي – ص4 ، 5.

(6) سورة آل عمران – الآية (19).

(7) سورة آل عمران – الآية (85).

(8) التفسير الكبير – للرازي – م4 – ج8 – ص110.

يرى الداعي.. وقد حثّ الله تعالى عباده المؤمنين على الاستعانة به دون غيره في قوله تعالى : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ (1). وقد أوصى الرسولُ صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن عباس رضي الله عنهما – أن يستعين بالله وحده حيث قال له:" **...إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله...**"(2).

ومعنى الحديث : إذا طلبت الإعانة على أمر من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله وحده، لا سيما في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى ، كشفاء المرضى وطلب الرزق والهداية ،وتفريج الكربات، ودفع الضراء وغير ذلك.. فهذه كلها خاصة بالله – تعالى– وحده كما قال تعالى : ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ...**﴾(3). والمعنى : إن ينزل بك يا محمد صلى الله عليه وسلم أنت وأمتك شدة من مرض أو فقر أو ضرّ أو غيره .. فلا صارف له إلاّ الله تعالى وحده ،ولا يملك كشفه إلا هو وحده(4). ويجوز الاستعانة بالبشر الأحياء فيما يقدرون عليه من خير، كبناء مسجد، ودفع ظالم، ومساندة في حرب الأعداء وغير ذلك .. لقوله تعالى: ﴿**... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ...**﴾ (5). وقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام :﴿ **فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عدوّه ...**﴾ (6)(7). وقد تكون الاستعانة بالبشر واجبة عند الاضطرار كما لو وقع في تهلكة، وتعيَّنت الاستعانة طريقاً للنجاة لقوله تعالى : ﴿**... وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...**﴾(8)(9).

ولا يجوز الاستعانة بالمشرك كما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم **خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحَرّة** (10) ، فقال له: **إني أردت أن أتبعك وأصيب**

---

(1)انظر عقيدة المؤمن – لأبي بكر الجزائري – ص 92.

(2) سبق تخريجه – ص 106.

(3) سورة الأنعام – الآية (17).

(4) انظر: صفوة التفاسير – د . محمد علي الصابوني – ج1 – ص382.

(5) سورة المائدة – الآية (2) .

(6) سورة القصص – الآية (15).

(7) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد – لعبد الرحمن بن حسن الحنبلي – ص165 وما بعدها، وعقيدة التوحيد – د. صالح الفوزان – ص145.

(8) سورة البقرة – الآية (195).

(9) الموسوعة الفقهية – ج4 – ص18.

(10) الحَرّة:أرض صلبة ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار. انظر: (لسان العرب) – لابن منظور – ج4 – ص179 وهي موضع على نحو من أربعة أميال من المدينة .انظر:(صحيح مسلم بشرح النووي) – للنووي – ج 12– ص 198.

معك، قال : تؤمــن بالله ورسوله؟ قال : لا، قال ارجع فلن أستعين بمشرك" (1) .

ويقول الشيخ عبد القادر الجيلاني (2) – رحمه الله– :" سَـلُوا اللهَ ولا تـسألوا غيـره، استعينوا بالله ولا تستعينوا بغيره ، ويحك بأي وجه تلقاه غداً، وأنت تنازعه في الدنيا، مُعْـرِضٌ عنه ، مُقْبِلٌ على خلقه،مُشْرِكٌ به، تُنزل حوائجك بهم، وتتّكل بالمهمّات عليهم. ارفعـوا الوسـائط بينكم وبين الله، فإن وقوفكم معها هَوَس، لا ملك ولا سلطان ، ولا غنى، ولا عزّ إلاَ للحقّ عـز وجـــل" (3) .

ولا يجوز الاستعانة بالجنّ وقد تكون شركاً وكفراً، لقوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّـنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**﴾ (4)(5).

القضية الثانية: لماذا جاء قوله تعالى : ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ بصيغة الحـصر والقـصر وجـاء الحديث :" إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله" (6) **بدون الحصر؟ وكيـف وفّـق العلماء بينهما؟**

الحصر في قوله: ﴿ **وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾معناه: لا نستعين على كبائر الأمور وعظيمها – التـي لا يستعان فيها بالناس إلاّ بالله وحده. وهذا الحصر يفيد –أيضاً –التعريف بكلّ من يستعين بغير الله –تعالى– في الأمور العظيمة التي لا يقدر عليها إلاّ الله– تعالى . بخلاف الحـديث: " إذا سـألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله" فلم يأتِ بصيغة الحصر .

وقد وفَّق الإمام ابن عاشور بين الآية والحديث، حيث رأى أن مقام الحديث غير مقام الآية، فمقام الحديث مقام تعليم خاص لمن نشأ وترعرع وشبَّ في الإسلام ،فالرسول صلى الله عليه وسلم هنا يعلّم ابن عباس– وكان صغيراً– يا غلام إني أعلّمك كلمات ... الحديث.

فتقرُّر قَصْرِ الحُكْم لديه قريبٌ سهلُ التناول؛ولذلك استغنى عنه في الحديث، أما مقـام قـوله : ﴿ **وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ فمقام افتتاح الوحي والتشريع، واستهلال الوعظ والتقريع، فناسـب تأكيـد الحكم بالقصر مع التعريض بكلّ من يستعين بغير الله تعالى في الأمور العظيمة التـي لا يقـدر

---

(1) صحيح مسلم – كتاب الجهاد والسير (32) –باب كراهة الإستعانة في الغزو بكافر(51) – ص 928 – حديث (1817).

(2) عبد القادر الجيلاني :هو أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي أو الجيلاني . كان واعظاً مؤثراً زاهداً متصوفاً ، صالحاً ورعاً ، له عدة مصنفات ، منها : (الغنيمة – فتوح الغيب) . ولد سنة 470هـ ، و توفي سنة 561هـ . انظر: (البداية و النهاية) – لابن كثير – ج 12 – ص 252 .

(3) منهاج الفرقة الناجية – لمحمد زينو – ص24، 25.

(4) سورة الجن – الآية (6).

(5) الموسوعة الفقهية – ج4 – ص18.

(6) سبق تخريجه– ص 106 .

عليها إلا الله تعالى (1). ويرى الباحث أن الآية جاءت بأسلوب القصر لبيان وجوب الاستعانة بالله وحده في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله،وعدم جواز الاستعانة بغيره، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ .أما الحديث ففيه بيان جواز الاستعانة بغير الله تعالى في الأمور العادية كبناء مسجد ومحاربة الأعداء وغيرها من الاستعانة المادية الصغرى مع بقاء الاستعانة العقدية الكبرى حتى في هذه الأمور المادية العملية حقّ لله تعالى، فهو الموفّق في بناء المسجد، ومحاربة الأعداء، والدعوة لدين الله .. فبدون معونة الله وتوفيقه لا يتمّ شيء لا صغير ولا كبير ،لا مادي ولا عقدي، والله المستعان.

القضية الثالثة: الفرق بين الاستعانة والاستغاثة:

هذان المصطلحان وردا في القرآن الكريم في بعض الآيات ،ولمعرفة الفرق بينهما لا بد وأن نتطرق إلى معناهما ومدلولهما.

الاستعانة: مصدر استعان ، وهي طلب العون ، يقال استعنت واستعنت به فأعانني(2).

والاستغاثة: مصدر استغاث وهي طلب الغَوْث، والغوث: الإعانة والنصرة (3).

وقد ذهب العلماء: أن الفرق بين الاستعانة والاستغاثة ،أن الاستغاثة لا تكون إلا في الشدة تنزل بالمرء فيسأل العَوْنَ على كشفها.(4).

ويرى الباحث أنه من خلال معرفة السياق القرآني للآيات التي ورد فيها المصطلحات يمكن التعرُّف على الفرق بينهما.فعلى سبيل المثال : قوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ...**﴾(5) وقوله تعالى: ﴿ **قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ...**﴾(6).

وقوله تعالى: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾(7) .

فالاستعانة في هذه الآيات جاءت مقترنة بالصبر، والاستعانة هنا عامة، والآيات التي وردت فيها الاستغاثة مثل قوله تعالى : ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾(8). وقوله تعالى : ﴿ **فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ...** ﴾(9) .

---

(1) انظر: التحرير والتنوير – لابن عاشور – م1 – ج1 – ص185، 186.

(2) انظر: لسان العرب– لابن منظور – ج13 – ص298.

(3) انظر: المعجم الوسيط– إبراهيم مصطفى و آخرون – ص697، 698.

(4) انظر: الموسوعة الفقهية – ج4 – ص22.

(5) سورة البقرة – الآية (45).

(6) سورة الأعراف – الآية (128).

(7) سورة يوسف – الآية (18).

(8) سورة الأنفال – الآية (9).

(9) سورة القصص – الآية (15).

وقـــــوله تعـــالى: ﴿**وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ...** ﴾ (1).

فهذه الآيات تبيّن أن الاستغاثة هنا لإزالة الشدة والكـــرب. إذن الفـــرق بـــين الاســـتغاثة والاستعانة :أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب والاستعانة تكـــــون مـــن المكـــــــروب وغيره، فالاستعانة أعمّ من الاستغاثة. والله تعالى أعلم.

(1) سورة الكهف – الآية (29).

المطلب الخامس

هداية الله للإنسان.

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: حقيقة الهداية ومعناها في سورة الفاتحة.

الفرع الثاني: بعض القضايا التي تتعلق بالهداية.

الفرع الثالث: أسباب الهداية التي وهبها الله للإنسان.

الفرع الأول

حقيقة الهداية ومعناها في سورة الفاتحة

الهداية في اللغة: الدلالة والإرشاد ، يقال :هَدَى يَهْدِي هُدًى وهَدْياً وهِدايةً وهِدْيَةً بكسر الهاء، أرشده (1) . والهدى مقابل للضلال (2) .

والهداية في اللغة تأتي بمعنيين : الأول : تأتي بمعنى الدلالة والإرشاد، كقوله تعالى : ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ (3). معنى هديناهم : أي دللناهم على طريقي الضلالة والرشاد (4).

والثاني : تأتي بمعنى تمكين وتثبيت الإيمان في القلب ،كقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** ﴾ (5). أي " والذين قصدوا الهداية وفّقهم الله تعالى لها فهداهم إليها وثبّتهم عليها وزادهم فيها" (6).

والفعل (هَدَى) قد يتعدّى إلى مفعوله أو مفعوليه بدون واسطة، كقوله تعالى : ﴿ **... لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّه...**﴾ (7). تعدّت هنا إلى مفعول واحد. وكقوله : ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** ﴾ تعدّت هنا إلى مفعولين. وقد يتعدّى إلى المفعول الأول باللام . كقوله تعالى:﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...**﴾(8). أو يتعدّى بإلى، كقوله تعالى :﴿ **... وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم** ﴾ (9) .

وقد يتعدّى إلى المفعول الثاني باللام ،كقوله تعالى : ﴿**... وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا...**﴾ (10)،. أو يتعدّى بإلى، كقوله تعالى: ﴿ **... فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ** ﴾ (11)(12).

---

(1) انظر : القاموس المحيط – للفيروز آبادي – م2–ج4– ص4 ، 5.

(2) الكليات – لأبي البقاء – ص211.

(3) سورة فصلت – الآية (17).

(4) انظر :الكشاف – للزمخشري – ج1– ص109.

(5) سورة محمد – الآية (17) .

(6) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج4 – ص177.

(7) سورة الأعراف – الآية (43).

(8) سورة الإسراء – الآية (9) .

(9) سورة الشورى – الآية (52).

(10) سورة الأعراف – الآية (43).

(11) سورة الصافات– الآية (23) .

(12) انظر :إعراب القرآن الكريم وبيانه – لمحيي الدين الدرويش – ج1 – ص15.

والهداية في الاصطلاح :

"هي الإرشاد والتوفيق والتبيين أو الإلهام أو الدلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية "(1). **والهداية في اصطلاح الشرع حين تسند إلى الله تعالى :**" هي الدلالة على ما يُرْضي اللهَ من فعل الخير، ويقابلها الضلالة"(2). والهداية هي الإرشاد إلى الخيرات والطاعات قولاً وفعلاً، وهي من الله تعالى تأتي على منازل ومراتب، بعضها يترتّب على بعض، لا يصحّ حصول الثاني إلا بعد أن يتحقق الأول، ولا الثالث إلا بعد حصول الثاني، وهكذا ...

فأول المنازل: وَهْبُ الإنسانِ القُوَى التي بها يهتدي إلى مصالحه، إمّا تسخيراً، وإمّا طوعاً، كالحواس الخمسة، والعقل ، قال تعالى : ﴿ **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** ﴾ (3) . وقوله : ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ (4).

وثانيهما: الهداية بالدعاء، وبعثة الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ...** ﴾ (5)، وقوله تعالى : ﴿ **... وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾ (6). وقوله : ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...** ﴾ (7). وهذه الهداية تنسب تارة إلى الله، وتارة أخرى إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، وتارة إلى القرآن.

وثالثها: هداية يهبها اللهُ لعباده الصالحين بما اكتسبوه من الطاعات والخيرات. قال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...** ﴾ (8) . وقوله : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ...** ﴾ (9).

والمنزلة الرابعة: التمكين من مجاورة الله–عز وجل– في دار الخلد، قال تعالى: ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ ...** ﴾ (10).

---

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن – لأبي الطيب القنوجي – ج1 – ص 50 .

(2) التحرير والتنوير– لابن عاشور – م1 – ج1 – ص188.

(3) سورة طه– الآية (50).

(4) سورة البلد– الآية (10) .

(5) سورة السجدة– الآية (24).

(6) سورة الرعد– الآية (7).

(7) سورة الإسراء– الآية (9) .

(8) سورة العنكبوت– الآية (69) .

(9) سورة يونس– الآية (9) .

(10) سورة الأعراف– الآية (43) .

فقوله: ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** ﴾ فُسِّر معناها على وجوه: الأول: أنه عُنِيَ الهداية العامة، وأمرنا أن ندعو بذلك. الثاني: قيل: وفقنا لطريقة الشرع والإسلام. الثالث: احرسنا واحفظنا من الشهوات والغوايات، واحْمِنَا من الشبهات. الرابع: زدنا هداية تحقيقاً لقولك: ﴿ **... وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ...** ﴾ (1) .الخامس: قيل: هو سؤال الجنة، لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ...**﴾ (2) .

فهذه الأقوال تصحّ أن تكون مراداً بالآية في سورة الفاتحة (3). ويرى ابن قيّم الجوزية أن الهداية أربعة أنواع: أحدهما: الهداية العامة المشتركة بين الخلق، وهذا ما أشار إليه القرآن في قوله: ﴿ **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** ﴾ (4).أي أعطى كل موجود خلقه المختص به من الصورة والهيئة والشكل وغيرها... ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال.

الثاني: هداية البيان والإرشاد والدلالة والتعريف بطريقي: الخير والشر، والنجاة والهلاك، قال تعالى : ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ (5). أي بيّنا له طريق الخير و طريق الشر.

الثالث: هداية التوفيق والإلهام والتثبيت على الإيمان، قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** ﴾ (6).

الرابع: الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ** ﴾ (7). وقال تعالى : ﴿ **فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ** ﴾ (8) .

ومعنى الهداية في سورة الفاتحة تتناول النوع الثاني والثالث، أي طلب التعريف والبيان والإرشاد والتوفيق والتثبيت على الإيمان (9). و يؤيد الباحث ما ذهب إليه ابن كثير في تفسيره(10)، وأكثر العلماء.

والله تعالى نسأل أن يرشدنا إلى الصراط المستقيم وأن يُوَفِّقنا إليه، ويُثبتنا عليه.

---

(1) سورة التغابن– الآية (11).

(2) سورة يونس– الآية (9).

(3) انظر: محاسن التأويل – للقاسمي –ج1 – ص252–254.

(4) سورة طه– الآية(50).

(5) سورة البلد– الآية(10).

(6) سورة محمد– الآية(17).

(7) سورة يونس– الآية (9).

(8) سورة الصافات– الآية (23).

(9) انظر: بدائع الفوائد – لابن قيّم الجوزية –ج1 – ص35 –37.

(10) انظر : تفسير القرآن العظيم – ج 1 – ص 27 .

الفرع الثاني

بعض القضايا التي تتعلق بالهداية

القضية الأولى: كيفية التوفيق بين هذه الآية: ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ... يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء ... ﴾ (1) : سبق في الفرع الأول من هذا المطلب أن الهداية في قوله : ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ تَرِدُ بمعنيين: ترد بمعنى الدلالة والرشاد، وترد بمعنى : التوفيق والتثبيت على الإيمان والحمل على الخير. فالهداية التي بمعنى الدلالة والرشاد، كلّ الناس مشتركون فيها سواء أكانوا مؤمنين أم كانوا كافرين؛ لأن الله تعالى هداهم إلى الطريق الصحيح عن طريق الرسل والأنبياء، وعن طريق كتبه وغير ذلك... ولكن الناس باختيارهم : منهم من استحبّ العمى على الهدى ، واختاروا الشّر على الخير، وقد قال تعالى عنهم: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ...** ﴾ أي دللناهم وأرشدناهم ﴿**... فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ...**﴾ أي اختاروا الكفر على الإيمان، والشّر على الخير.ومنهم من اختار طريق الخير والصلاح، فهذا الفريق أعانه الله على الهداية، ووفقه إلى الإيمان وثَبّته عليه، فهذه الهداية التي بمعنى التوفيق خاصة بهذا الفريق الذي قال الله عنهم : ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** ﴾ أي أعانهم الله على الخير ووفّقهم إليه وثبّتهم عليه (2).إذن على ضوء ذلك أصبح معنى قوله : ﴿**... يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء...**﴾ أي يعين على الضلالة من يشاء ويحملهم عليها، ويعين على الهداية من يشاء، ويحملهم عليها(3)، فمشيئة الله- تعالى- في هذه الآية مطلقة لا يُسأل عمّا يفعل، ولكن الله -سبحانه- عَدْلٌ فحاشاه أن يضلّ من يستحقّ الهداية، وحاشاه أن يهدي من يستحقّ الضلالة؛ لأنه القائل :﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ...**﴾ (4). والقائل : ﴿**...وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ (5).

إذن من هم الذين يشاء الله إضلالهم ؟ ومن هم الذين يشاء الله هدايتهم بمحض عدله – سبحانه- ؟ الذين يشاء الله إضلالهم هم الذين سَدُّوا في قلوبهم منافذ الهداية والإيمان، فليس عندهم استعدادٌ بأن يتبعوا الحقّ، ويفتحوا قلوبهم للهداية..﴿**... صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ** ﴾ (6). فإن كانوا جاحدين بالله وكافرين بما أنزله فكيف يهديهم الله؟!

---

(1) سورة فاطر- الآية (8).

(2) انظر: فتح القدير- للشوكاني- ج5 – ص50.

(3) جامع البيان – للطبري – ج12 – ص141 ، 142(بتصرف).

(4) سورة النساء- الآية (40).

(5) سورة فصلت- الآية (46) .

(6) سورة البقرة – الآية (171).

وهـــو القـــــائل : ﴿ ...**وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ (1) .

وإن كانوا فاسقين في حياتهم، خارجين عن طاعة الله فكيف يهديهم الله؟! وهـو القائـل : ﴿ ... **وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ (2). وهو القائل أيضاً: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُـمْ وَأَضَـلَّ أَعْمَالَهُمْ ،ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ (3).

وأما الذين يشاء الله هدايتهم فهم الذين فتحوا قلوبهم للحقّ، وآمنوا بـــالله، وأقبلـــوا علـــى منهجه صادقين مخلصين وآمنوا بكل ما جاء به الرسل والأنبياء فهؤلاء يعينهم الله على الهدايـــة ويوفقهم إليها، ويثبّتهم عليها، ويزيدهم إيماناً، قال تعالى : ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِـــرَبِّهِمْ وَزِدْنَـــاهُمْ هُدًى**﴾ (4) . ويقول أيضاً : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...** ﴾ (5).

إذن إذا وردت آيـــة فـــي القـــرآن الكريم كهذه الآية :﴿ **يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْـــدِي مَـــن يَشَاء...** ﴾ فإنها تُحْمَل على أن الله – سبحانه– له المشيئة المطلقة لا يُسْأل عمّا يفعـــل وهـــــم يسألون، وهذا من كمال الألوهية؛ ولكن مشيئة الله هذه مقرونة بعدله –سبحانه– فحاشاه تعالى – وهو القادر– أن يضلّ من يستحقّ الهداية، وحاشاه أيضاً –وهو القادر– أن يهدي مـــن يـــستحقّ الضلالة، فالله – سبحانه– يثيب بعدله من اهتدى باختياره جنات عدن تجري من تحتها الأنهار.. ويجازي بعدله من ضلَّ باختياره جهنم وساءت مصيراً(6). قال تعالى : ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُـــمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا .... إِنَّ الَّـــذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ، أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ...** ﴾ (7).

القضية الثانية: ما جواب من قال : أليس ممكناً في قدرة الله أن يجعـــل كـــل عبـــاده مؤمنين مهتدين طائعين مع محبّته ذلك منهم شرعاً؟ بلى هو تعالى قادر على ذلك كمـــا قـــال تعـــالـــى : ﴿ **وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ...** ﴾ (8). وقال أيضاً : ﴿ **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ...** ﴾ (9). أي "لو أراد الله – تعالى– لآمن الناس جميعاً، ولكن لـــم يشأ ذلك لكونه مخالفاً للحكمة، فإنه تعالى يريد من عباده إيمـــان الاختيـــار، لا إيمـــان الإكـــراه

---

(1) سورة البقرة –الآية (264).

(2) سورة المائدة – الآية (108) .

(3) سورة محمد– الآيتان (8 ، 9).

(4) سورة الكهف – الآية (13).

(5) سورة العنكبوت – الآية(69) .

(6) انظر: قصة الهداية– د. عبد الله علوان – ج2 – ص536–539.

(7) سورة الكهف – الآيات (29 ، 31).

(8) سورة النحل –الآية (93).

(9) سورة يونس –الآية (99).

والاضطرار"(1) . لكن الله تعالى فعل ذلك بهم لمقتضى حكمته، وموجب ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، فمن حكمته تعالى أنه جعل من عباده الطائع والعاصي، المؤمن والكافر... (2).

وقوله تعالى : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ...** ﴾ (3) .فالمعنى: " أنه خلق الموت والحياة ليكون منكم أحياء يعملون الصالحات والسيئات، ثم أمواتاً يخلصون إلى يوم الجزاء فيجزون على أعمالهم بما يناسبها" (4).

ومن أسمائه تعالى الضار النافع، والمعطي المانع، والمنعم والمنتقم وغيرها.. وموجب هذه الأسماء أن يكون هناك أناس صالحون، وأناس فاسدون، فئة مؤمنة، وفئة كافرة.. ليجزيهم الله على أعمالهم.

القضية الثالثة: إن قيل : كيف يسأل المؤمنُ الهدايةَ في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك. فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا؟

الجواب:" لا، ولولا احتياج المؤمن ليلاً ونهاراً إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك، فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله –تعالى– في تثبيته على الهداية، ورسوخه فيها، وتبصره وازدياده منها واستمراره عليها. فإن العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله، فأرشده الله تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمدّه بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقّه الله – تعالى– لسؤاله. فإنه – تعالى– قد تكفّل بإجابة الداعي إذا دعاه، ولاسيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار،وقد قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا** ﴾ (5).

فقد أمر الله الذين آمنوا بالإيمان وليس من باب تحصيل الحاصل؛ لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المُعِينَة على ذلك" (6) .

ويقول ابن تيمية :" والعبد مضطرٌ دائماً إلى أن يهديه اللهُ الصراطَ المستقيم، فهو مضطرٌ إلى مقصود هذا الدعاء؛ فإنه لا نجاة من العذاب ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه

---

(1) صفوة التفاسير – د . محمد علي الصابوني – ج1 – ص 598 .

(2) انظر: 200 سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية – للشيخ حافظ حكمي– ص 49.

(3) سورة الملك – الآية (2).

(4) التحرير والتنوير – لابن عاشور – م12 – ج1 – ص13.

(5) سورة النساء – الآية (136).

(6) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج1 – ص28، وانظر: بدائع الفوائد – لابن قيّم الجوزية – ج1 – ص38 .

الهداية، فمن فاتته فهو إمّا من المغضوب عليهم، وإمّا من الضالين، وهذا الهدى لا يحصل إلا بهدى الله"(1). واللهَ نسأل أن يهدينا الصراط المستقيم، وأن يُثَبِّتَ قلوبنا على دينه.

القضية الرابعة: ما هي موانع الهداية؟

هناك أمور عدة تمنع الإنسان من الهداية إلى الصراط المستقيم منها:

1- **الإعراض عن الهداية، وعدم الاهتمام بها:** حيث يكون القلب غير قابل للهداية، و يكون معرضاً عنها، وغير مريد ومحبٍّ لها. فهناك بعض الناس لا يهمّه أن يهتدي أو يضلّ، وفي هؤلاء يقول الله : ﴿ **وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ** ﴾ (2). والمعنى:" أي ولو فُرِضَ أن الله أسمعهم – وقد علم أن لا خير فيهم- لتولّوا وهم معرضون عنه جحوداً وعناداً، وفي هذا تسلية للنبي- صلى الله عليه وسلم- على عدم إيمان الكافرين" (3).

2- **أصحاب السوء والضلال:** حيث إن قرناء السوء والشر يُعينون الإنسان على الضلال وفعل المنكرات، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ **الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾ (4).

" أي كل صداقة وصحبه لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلّا ما كان لله عز وجل فإنه دائم بدوامه" (5). وروي عن علي – رضي الله عنه- أنه قال: " ... وإذا مات أحد الكافرين وبُشِّرَ بالنار ذكر خليله فيقول : اللهم إنّ خليلي فلاناً كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويأمرني بالشّر، وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، اللهمَّ فلا تهده بعدي حتى تريه مثل ما أريتني، وتسخط عليه كما سخطت عليّ، قال عليٌّ: فيموت الكافر الآخر فيجمع بين أرواحهما، فيقال : لِيُثْنِ كلٌّ واحدٍ منكما على صاحبه، فيقول كلٌّ واحدٍ منهما لصاحبه : بئس الأخ وبئس الصاحب وبئس الخليل" (6).

3-مرض الشك والشبهة ومرض الشهوات: فمرض الشك والشبهة قد دخل على أبناء الأمة الإسلامية عن طريق الثقافات الغربية والشرقية المنحرفة، وعن طريق الغزو الفكري وقد تحدّثَ القرآن عن مرض الشك والشبهة فقال سبحانه: ﴿ **بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ**

---

(1) التفسير الكامل- لابن تيمية – ج1 – ص34 .

(2) سورة الأنفال – الآية (23).

(3) صفوة التفاسير – د . محمد علي الصابوني- ج1 – ص498.

(4) سورة الزخرف – الآية (67).

(5) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 4 – ص 133.

(6) المرجع السابق نفسه – ج4 – ص133، 134.

مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ (1). " هذه الإضرابات الثلاث ما هي إلا تنزيلٌ لأحوالهم؛ وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت البعث ثم بأنّهم لا يعلمون أن القيامة كائنةٌ، ثم بأنّهم يتخبطون في شكٍّ ومرية فلا يزيلونه، والإزالة مستطاعة... ثم بما هو أسوأ حالاً وهو العمى، وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همّه على بطنه وفرجه لا يُخطِرُ بباله حقاً ولا باطلاً، ولا يُفَكِّر في عاقبة " (2).

ومرض الشهوات يقع فيه كثير من المسلمين إلا من حفظه الله تعالى من الوقوع في الفواحش والمعاصي التي تُغضِب الله تعالى (3).

هذه بعض موانع الهداية، نسأل اللهَ تعالى أن يُخَلِّصنا منها ويبعدنا عنها، ونسألهُ تعالى الهداية والسداد.

---

(1) سورة النمل – الآية (66).

(2) الكشاف– للزمخشري – ج3 – ص 422.

(3) انظر: إلى الذين أسرفوا على أنفسهم – د. عائض القرني – ص 106– 110.

الفرع الثالث

أسباب الهداية التي وهبها الله للإنسان

إن الله تعالى يَسَّر للإنسان أسباباً لهدايته إلى الصراط المستقيم حتى لا تكون لديه حجةٌ على الله يوم القيامة. ومن هذه الأسباب ما يلي:

1-**خَلَقَ اللهُ الإنسان على فطرة التوحيد**، حيث قال تعالى: ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ...** ﴾ (1) .

يقول ابن كثير :" إنّ الله تعالى فَطَرَ خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره " (2). ويقول الرسول – صلى الله عليه وسلم- :" **ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصّرانه أو يمجسانه كما تُنْتَجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاءَ هل تُحِسُّون فيها من جدعاء...**"(3). فالإنسان بفطرته السليمة النقيّة من شوائب البيئة والتربية الفاسدة وغيرها.. يتعرّف على الله حقَّ المعرفة، ويؤمن به حقَّ الإيمان.

2- **وَهَبَ اللهُ للإنسانِ العقلَ، حتى يميِّز به بين الخير والشّر، وبين الحسن والقبيح**، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ (4) .

والمعنى:" لقد شرَّفنا ذرية آدم على جميع المخلوقات بالعقل، والعلم والنطق، وتسخير جميع ما في الكون لهم"(5). فالإنسان بعقله وبتفكيره السليم يصل إلى معرفة الله تعالى، ويؤمن به حقَّ الإيمان. وقد نعى القرآن على أناسٍ لم يُعْمِلوا عقولهم، ولم يستخدموا تفكيرهم السليم، بل أعرضوا عن عقولهم وتفكيرهم باتباع أهوائهم وتقليدهم الأعمى للآباء والأجداد، قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ** ﴾ (6) .

ومن رحمته تعالى وعدله أنه رفع التكليف عن مسلوب العقل فلا يؤاخذه على أعماله وتصرّفاته غير السويّة، لقوله – صلى الله عليه وسلم- :" **رُفِعَ القلمُ عن ثلاثةٍ: عن النائم حتى**

---

(1) سورة الروم –الآية (30) .

(2) تفسير القرآن العظيم – ج3 – ص432.

(3) صحيح البخاري – كتاب الجنائز(23) – باب إذا أسلم الصبيُّ فمات..(79)- ص280- حديث (1359)، وصحيح مسلم – كتاب القدر (46) – باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (6)- ص1318-حديث (2658).

(4) سورة الإسراء – الآية (70).

(5) صفوة التفاسير- د . محمد علي الصابوني – ج2 –ص 170.

(6) سورة البقرة – الآية(170).

يستيقظ، وعن الصبي حتى يَشِبّ، وعن المعتوه حتى يَعْقِل "(1).

3- **وهَبَ اللهُ للإنسان نعمة الحواس من سَمْعٍ وبَصَرٍ ولسانٍ وغيرها..** فالحواس من الوسائل التي تُوصِلُ إلى معرفة الله – تعالى–، وسيسألُ اللهُ تعالى الإنسانَ يوم القيامة إذا أَهْمَلَ حَوَاسَّه، ولم يستخدمها في الوصول إلى معرفة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ (2).

والمعنى:" أي يسأل كلّ واحد منهم عمّا اكتسب، فالفؤاد يسأل عمّا افتكر فيه واعتقده، والسمع والبصر عمّا رأى من ذلك وسمع... وعبّر عن السمع والبصر والفؤاد بأولئك لأنها حواس لها إدراك، وجعلها في هذه الآية مسئولة، فهي حالة من يعقل "(3) .

ومن عدل الله ورحمته على الإنسان أنه لا يؤاخذه إذا وُلِدَ أصم أعمى أخرس، والله تعالى غير سائله عمّا يعمل يوم القيامة؛ لأن أبواب الهداية قد سُدَّتْ أمامه (4).

4- **وهَبَ اللهُ للإنسان حرية الاختيار** ،حيث خلق الله في الإنسان القدرة على أن يفعل الشيء أو لا يفعله ، وبهذه الحرية يكون الإنسان مسئولاً يوم القيامة عن جميع ما يفعله في هذه الدنيا، سواء الأعمال الحسنة أو الأعمال السيئة ، يقول تعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ....** ﴾ (5).

قال الزمخشري:" والمعنى جاء الحقُّ .. فلم يبقَ إلاّ اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة، أو في طريق الهلاك .. وجيء بلفظ الأمر والتخيير؛ لأنه لما مُكّن من اختيار أيّهما شاء؛ فكأنه مخيَّر مأمور بأن يتخيّر ما شاء من النجدين " (6).

علماً بأن الأشياء المُسيَّر فيها أو المكره عليها –كولادته قصيراً أو طويلاً، أبيض أو أسود .. فهذه الأشياء وغيرها من الأمور المسيّر فيها، غير مُحاسَب عليها يوم القيامة.

5- **أرسل اللهُ – تعالى – للناس الرسلَ والأنبياءَ ليدعوهم إلى عبادة الله وحده،** ويبشروهم بالجنة، وينذروهم من عذاب الله، ويُبَلِّغوهم رسالات الله حتى لا تكون لهم حجة على الله يوم

---

(1) سنن الترمذي – كتاب الحدود (14) – باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحدّ (1) – ج3 – ص452، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(2) سورة الإسراء – الآية (36).

(3) الجامع لأحكام القرآن –للقرطبي – ج10 – ص259.

(4) انظر: قصة الهداية – د. عبد الله علوان –ج2 – ص 541 ، 542، وتفسير المنار– لمحمد رشيد رضا – ج1 – ص62، وتفسير المراغي – لأحمد مصطفى المراغي – ج1 – ص 35 ، والمقتطف من عيون التفاسير– لمصطفى المنصوري – ج1 – ص20.

(5) سورة الكهف – الآية (29) .

(6) الكشاف – ج3 – ص63.

القيامة، والإنسان إذا لم تصله دعوة الرسل والأنبياء فهو غير محاسب أمام الله يوم القيامة، قال تعالى: ﴿... **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ (1). والمعنى :" وما كنا مهلكي قومٍ إلاّ بعد الإعذار إليهم بالرسل، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم" (2).

6- **يَسَّرَ اللهُ للإنسان تكاليف الشريعة الإسلامية**،حيث جعل الله هذه التكاليف مناسبة مع عقول وطاقات البشر. قال تعالى: ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا...** ﴾ (3) . وقال أيضاً : ﴿ **يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...** ﴾ (4) .

يقول سيد قطب :" هذه هي القاعدة الكبرى في تكاليف هذه العقيدة كلّها، فهي ميسّرة لا عسر فيها،وهي توحي للقلب الذي يتذوّقها بالسهولة واليسر في أخذ الحياة كلها، وتطبع نفس المسلم بطابع خاص من السماحة التي لا تكلُّف فيها ولا تعقيد. سماحة تؤدي معها كل التكاليف وكل الفرائض وكل نشاط الحياة الجادة ،وكأنما هي مسيل الماء الجاري، ونمو الشجرة الصاعدة في طمأنينة وثقة ورضاء، مع الشعور الدائم برحمة الله ، وإرادته اليسر لا العسر بعباده المؤمنين" (5). فإذا كان الله تعالى وهبَ للإنسان كُلَّ هذه الأسباب التي تساعده على الاهتداء إلى الصراط المستقيم ، فهل يكون للإنسان حجة أو عذر في تخلّيه عن هذا الصراط المستقيم(6).

---

(1) سورة الإسراء – الآية (15) .

(2) جامع البيان –للطبري – ج9 – ص70.

(3) سورة البقرة – الآية (286).

(4) سورة البقرة – الآية (185).

(5) في ظلال القرآن – ج1– ص172.

(6) انظر: قصة الهداية – د .عبد الله علوان – ج2 – ص542 ،543.

المطلب السادس

الاعتصام والتمّسك بالصراط المستقيم

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تعريف الصراط المستقيم وحقيقته.
الفرع الثاني: أهمية الاهتداء إلى الصراط المستقيم.
الفرع الثالث: بيان مَنْ أنعم الله عليهم وفضل إتباعهم.

الفرع الأول

تعريف الصراط وحقيقته

مصطلح الصراط المستقيم هو تركيب وصفي من كلمتين : الصراط والمستقيم.

الصراط في اللغة: فيه ثلاث لغات : الصراط و السراط والزراط والمقصود به الطريق(1). وهو على وزن (فِعَال)، وأصله بالسين مشتق من (السَّرْطِ) وهو اللقم أو الابتلاع، وسمّي بذلك؛ كأنَّ سالكه يبتلعه أو هو يبتلع سالكه (2).، بيسر وسهولة دون حاجة إلى تزاحم (3).

والصراط ما جمع خمسة أوصاف: أن يكون طريقاً مستقيماً سهلاً مسلوكاً واسعاً مُوصِّلاً إلى المقصود، فلا تُسمّي العربُ الطريقَ المعوجَ صراطاً، ولا الصعب المشقّ ولا المسدود غير الموصل(4).

والصراط في الاصطلاح: هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه(5). الموصل إلى تحقيق الغاية بأقصر الطرق(6).

" **وحقيقة الصراط في الآية :** مستعارٌ لمعنى الحقّ الذي يبلغ به مدركه إلى الفوز برضاء الله؛ لأن ذلك الفوز هو الذي جاء الإسلام بطلبه" (7).

والمستقيم في اللغة: ضد المعوج(8). وهو من الفعل استقام يستقيم استقامة بمعنى اعتدل واستوى(9).

والمستقيم اسم فاعل من الفعل استقام بمعنى المجرد، ومعناه السّويّ من غير اعوجاج (10).

والمستقيم في الاصطلاح:" هو الذي لا عوج فيه ولا انحراف عن الحقّ والخير وما هو الأفضل والأحسن والأصلح"(11).

---

(1) انظر: لسان العرب – لابن منظور– ج7 – ص340.

(2) انظر: الدر المصون– للسمين الحلبي – ج1 –ص78، و روح المعاني – للألوسي – ج1 – ص92.

(3) معارج التفكر ودقائق التدبر – د. عبد الرحمن حبنكة الميداني – ج1 – ص301.

(4) بدائع الفوائد –لابن قيم الجوزية – ج1 – ص16.

(5) جامع البيان– للطبري – ج1 – ص109 .

(6) تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي – ج1 – ص 86 (بتصرف).

(7) التحرير والتنوير– لابن عاشور – م1 – ج1 – ص190.

(8) انظر: تفسير المراغي – لأحمد مصطفى المراغي – ج1– ص35.

(9) انظر: المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى وآخرون– ص 802.

(10) الدر المصون – ج1 – ص79.

(11) معارج التفكر ودقائق التدبر – ج1 – ص 302.

وحقيقة المستقيم في الآية: "مستعار للحقّ البيّن الذي لا تخالطه شبهة باطل؛ فهو كالطريق الذي لا تتخلَّله بُنَيّات " (1). أي بناء .

ولمعرفة حقيقة(الصراط المستقيم) نقف مع أقوال المفسرين في بيان ذلك:

1- قال الطبري: " والذي هو أولى بتأويل هذه الآية : ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ أن يكون معنياً به وفقنا للثبات على ما ارتضيته ،ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل وذلك هو الصراط المستقيم؛ لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و الصالحين فقد وفّق للإسلام ، و تصديق الرسل و التمسّك بالكتاب ، والعمل بما أمره الله به والانزجار عمّا زجره عنه، واتباع منهاج النبي- صلى الله عليه وسلم- ومنهاج الخلفاء الأربعة، وكل عبد صالح وكلّ ذلك من الصراط المستقيم" (2).

2- الصراط المستقيم "هو دين الإسلام المحض، وهو ما في كتاب الله – تعالى، وهو (السنة والجماعة) فإنَّ السنة المحضة هي دين الإسلام المحض" (3).

3- يقول ابن قيم الجوزية:" وحقيقته شيء واحد وهو طريق الله الذي نصبه لعباده على ألسن رسله وجعله موصلاً لعباده إليه ولا طريق لهم إليه سواه؛ بل الطرق كلها مسدودة إلّا هذا وهو إفراده بالعبودية وإفراد رسوله بالطاعة فلا يُشْرِكْ به أحداً في عبوديته ولا يشرك برسوله أحداً في طاعته"(4).

4-الصراط المستقيم "هو جملة ما يوصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة من عقائد وأحكام وآداب وتشريع وتعاليم" (5).

5- الصراط المستقيم "هو الطريق الذي لا التواء فيه، ولا اعوجاج، وهو جسر بين العبد والرّب، ممدودٌ على متن الشهوات المغرية: الفسقُ، والجهلُ، والبدعُ، والرذائل الدنيئة" (6).

6- الصراط المستقيم هو المنهاج الرّباني (قرآناً وسنةً) الذي أمر اللهُ عباده أن يتبعوه ولا يتبعوا سواه(7). فخلاصة القول : أن الصراط المستقيم يشمل كتاب الله تعالى، و سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وما جاء به الصحابة الكرام.

---

(1) التحرير والتنوير – لابن عاشور – م1- ج1 – ص191.

(2) جامع البيان – ج1 – ص11.

(3) التفسير الكامل – لابن تيمية –ج1 – ص 35، 36.

(4) بدائع الفوائد- ج1 – ص40.

(5) تفسير المنار – لمحمد رشيد رضا – ج1 – ص 65، وتفسير المراغي – لأحمد مصطفى المراغي-ج1 – ص35 ، 36.

(6) المقتطف من عيون التفاسير- لمصطفى المنصوري – ج1 – 21.

(7) انظر: هذا هو الصراط المستقيم فاتبعوه- د. عدنان النحوي – ص 19.

الفرع الثاني

أهمية الاهتداء إلى الصراط المستقيم

الصراط المستقيم هو المنهاج الرباني (قرآناً وسنة) الذي أمر الله تعالى عباده أن يتبعوه ولا يتبعوا غيره من السبل، حيث قال تعالى : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (1).

" إنه صراط واحد – صراط الله – وسبيل واحد تؤدِّي إلى الله .. " (2).

"فمن رحمته تعالى بعباده أن جعل هذا الصراط واحداً ، وكذلك جعله مستقيماً، حتى لا يختلط مع السبل الأخرى ،وحتى لا ينحرف عنه المؤمن فيتيه، وحتى يظل مشرقاً بارزاً يجمع المؤمنين عليه وهم متَّحدون صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص، لا ينحرفون عنه أبداً " (3).

ولقد بيّن الله – تعالى – هذا الصراط المستقيم بياناً شافياً حتى لا تكون حجة لأحد بعدم إتباعه حيث يقول تعالى: ﴿**وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ** ﴾ (4). والمعنى :" وهذا الذي بيّنا لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القرآن، هو صراط ربّك ، يقول: طريق ربّك ودينه الذي ارتضاه لنفسه ديناً وجعله مستقيماً لا اعوجاج فيه، فاثبت عليه وحرِّم ما حرّمتُه عليك وأحْلِلْ ما أحللتُهُ لك، فقد بيّنا الآيات والحجج على حقيقة ذلك وصحته لقوم يذّكرون" (5).

ولقد أكرم الله تعالى من سار على الصراط المستقيم بدخول جنته برحمة منه تعالى وفضل، حيث يقول تعالى : ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا** ﴾ (6).

يقول القاسمي عند تفسير هذه الآية : " (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) أي عصموا به أنفسهم مما يُرديها من زيغ الشيطان (فسيدخلهم في رحمة منه) وهي الجنة (وفضل) يتفضل به عليهم بعد إدخالهم الجنة كالنظر إلى وجهه الكريم .. (ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً) فيسلكهم بتمسكهم بالبرهان والنور المبين ، الطريقَ الواضحَ القصد.. وتقديم ذكر الوعد بإدخال

---

(1) سورة الأنعام – الآية (153).

(2) في ظلال القرآن – سيد قطب – ج3– ص1234.

(3) الانحراف – د.عدنان النحوي – ص36.

(4) سورة الأنعام – الآية (126).

(5) جامع البيان– للطبري– ج5 –ص43.

(6) سورة النساء – الآية (175).

الجنة،على الوعد بالهداية إليها على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين؛ للمسارعة إلى التبشير بما هو المقصد الأصلي" (1).

أما الذين لا يسيرون على الصراط المستقيم فقد توعّدهم الله بالعذاب الأليم في الدنيا و الآخرة ، قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ، وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**﴾ (2).

وبهذا يقول ابن تيمية :" والمسلم مضطر دائماً إلى أن يهديه الله الصراط المستقيم، فإنه لا نجاة من العذاب ، ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية إلى الصراط المستقيم، فإن لم يتحصّل على هذه الهداية فهو إما من المغضوب عليهم ،وإما من الضالين ، وهذه الهداية إلى الصراط المستقيم لا تتأتّى إلا من الله وحده .. إذن حاجة المسلم إلى طلب هذه الهداية إلى الصراط المستقيم ضرورية في سعادته ونجاته وفلاحه ، فهي أعظم من الحاجة إلى النصر والرزق،فإذا حصل الهدى إلى الصراط المستقيم حصل النصر والرزق وسائر ما تطلب النفوس من السعادة" (3).

وجاءت الأحاديث الشريفة تبّين أهمية الاهتداء إلى الصراط المستقيم :

فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة بما كان يستفتح النبي صلى الله عليه وسلم صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان يقول : **اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ،عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا يختلفون، اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحقّ بإذنك ، إنك لتهدي إلى صراط مستقيم** " (4).

وعن ابن مسعود– رضي الله عنه – قال :" **خطّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خَطّاً ، وقال هذا سبيل الله،ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وعن يساره وقال هذه سُبُل على كلّ سبيل شيطان يدعو إليه، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾**" (5) .

واللهَ نسأل أن يهدينا إلى الصراط المستقيم ويُثّبتنا عليه.

---

(1) محاسن التأويل – ج3 – ص 485 .

(2) سورة المؤمنون – الآيات (74–76) .

(3) التفسير الكامل–لابن تيمية – ج1 – ص33–35 (باختصار).

(4) صحيح مسلم – كتب صلاة المسافرين وقصرها(6) – باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه بالليل (26) – ص 354– حديث (770).

(5) مسند أحمد – ج4 – ص257 – حديث (4437) ، قال أحمد شاكر في تخريجه للمسند : إسناده صحيح.

الفرع الثالث

بيان من أنعم الله عليهم وفضل اتباعهم

اختلف المفسرون في بيان من هم الذين أنعم اللهُ عليهم؟ فجمهور المفسرين قالوا : الذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء في قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾ (1) (2).

فالنبيّون هم أنبياء الله ورسله الذين أرسلهم الله – تعالى – لهداية الناس ودعوتهم إلى عبادة الله وحده.

والصدّيقون : جمع صدّيق، وهم أتباع الأنبياء و المرسلين الذين صدّقوهم واتبعوا منهاجهم بعدهم حتى لحقوا بهم.

والشهداء وهم جمع شهيد: وهو المقتول في سبيل الله تعالى،سُمِّي بذلك؛لقيامه بشهادة الحق في جنب الله حتى قتل.

والصّالحون وهم جمع صالح: وهو كلّ من صلحت سريرته وعلانيته (3).

فالمسلم مضطر ومحتاج إلى أن يسأل الله – تعالى – أن يهديه صراطَ مَنْ أنعم الله عليهم ،لذا أَلْهَمَهُ اللهُ أن يقول : ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ،صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ....** ﴾.

فلا بد من السير والمضي على صراط الذين أنعم الله عليهم، هذا الصراط الذي جعله الله سبيلاً واحداً ،بخلاف طريق الكافرين فقد جعلها الله سبلاً شتى متعددة، كي يجتمع المؤمنون على منهج واحدٍ، وصراط واحدٍ، ليكونوا أمة واحدة مسلمة ، لا أحزاباً متفرّقة مختلفة (4).

ولقد توعد الله – تعالى– مَنْ انحرف عن صراط الذين أنعم الله عليهم بالهلاك والعقاب الشديد في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لا يقبل من أحد عملاً إلا أن يسير على هذا الصراط المستقيم. فقال تعالى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا** ﴾ (5).

---

(1) سورة النساء – الآية (69).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج1 – ص28، والجامع لأحكام القرآن– للقرطبي – ج1 – ص149.

(3) انظر: جامع البيان – للطبري – ج4 – ص224.

(4) انظر: موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام– د.عدنان النحوي– ص106.

(5) سورة النساء – الآية (115).

والمعنى :" ومن يخالف أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به عن الله من بعد ما ظَهَر له الحقّ بالمعجزات، ويسلك طريقاً غير طريق المؤمنين، ويتبع منهاجاً غير منهاجهم نتركه مع اختياره الفاسد ،وندخله جهنم عقوبة له وساءت جهنم مرجعاً لهم " (1).

وجاءت الأحاديث الشريفة تحثّ على اتباع سبيل من أنعم الله عليهم، فعن عروة بن الزبير عن عائشة – رضي الله عنها – قالت :" **كنتُ أسمع أنه لا يموت نبيٌّ حتى يُخَيَّر بين الدنيا والآخرة؛ فسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه – وأَخَذَتْهُ بُحّةٌ– يقول :﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ فظننتُ أنه خُيِّر**"(2).

وعن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه – قال :" **وعظنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم موعظةً بليغةً وَجِلَتْ منها القلوب، وذرفتْ منها العيون، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظةُ مودِّع فأَوْصِنَا قال:" أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبدٌ، وإنه مَنْ يَعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**" (3).

"فالصراط المستقيم هو سبيل المؤمنين، وهو نهجهم، إنه سبيل واضح، ودرب محدَّد، مهما تكن فيه صعوبات، وصخور يضعها أعداء الله، فإنه يظل صراطاً مستقيماً لا يعوج ولا ينحرف، ما بقي المؤمنون متمسّكين بالمنهاج الرّباني، واعين لواقعهم البشري، صادقين مع الله، وأمّا السبل الأخرى، مهما كان فيها من متاع [وزخرف] فهي سبل متفرقة. منقطعة عن منهاج الله، لن تؤدّي إلاّ إلى الدّمار والويل"(4).

اللهم ثبّتنا على صراطك المستقيم، وجنّبنا الزيغ عنه برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(1) صفوة التفاسير – د . محمد علي الصابوني – ج1 – ص305.

(2) صحيح البخاري – كتاب المغازي (64) – باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته (83) – ص917 – حديث(4435).

(3) مسند أحمد – ج13 – ص279 – حديث (17079) – قال حمزة الزين في تخريجه للمسند: إسناده صحيح، وسنن الترمذي – كتاب العلم (38) – باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (16)– ج4 – ص469 – حديث (2676) ،وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(4) لقاء المؤمنين – د.عدنان النحوي – ج1 – ص 53 ، 54 .

الفصـــل الثالث

القواعد والمسائل والفوائد العامة المستنبطة من السورة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القواعد الإيمانية في هذه السورة.
المبحث الثاني: المسائل الفقهية العامة المـــستنبطة من السورة.
المبحث الثالث: الفوائد واللطائف العامة المـــستنبطة من السورة.

المبحث الأول

القواعد الإيمانية في هذه السورة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إخلاص النية لله تعالى.

المطلب الثاني: الدعاء وحسن التوجّه إلى الله تعالى.

المطلب الثالث: بناء الأمّة المسلمة الواحدة على الصراط المستقيم.

المطلب الرابع: التحذير من إتباع طريق اليهود والنصارى.

المطلب الأول

إخلاص النيّة لله تعالى

الإخلاص في اللغة: مصدر على وزن (إفعال)، يُقال: أخلص الشيء يخلص إخلاصاً: أي أصفاه ونقّاه من شوبه. وأخلص لله دينه: ترك الرياء فيه (1).

والإخلاص في الاصطلاح: "هو إفراد الحقّ- سبحانه – بالقصد في الطاعة. وقيل: هو تصفية العمل من كلّ شوب" (2).

والنية في اللغة: من نوَى الشيءَ نِيَّةً: قَصَدَه واعتقده.. ونَوَيْتُ نيَّةً ونَوَاةً أي عَزَمْتُ..

والنيَّة والنَّوى: الوجه الذي تريده وتنويه.. ومعناها –أيضاً- القصد لبلدٍ غير البلد الذي أنت فيه مقيم (3).

والنيّة في الاصطلاح: "هي القصد والعزيمة والتوجه إلى الله – سبحانه وتعالى – وحده بالعمل، تَوَجُّهاً خالياً من كلّ أنواع الشرك والرياء"(4).

إن إخلاص النية هو أساس كل عبادة وروحها، وهو منطلق كل عمل وقاعدته، حتى يكون العمل مقبولاً عند الله – تعالى، فهو شرط أساسي لقبول العمل، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء...** ﴾(5).

قال سيد قطب:" وهذه هي قاعدة دين الله على الإطلاق: عبادة لله وحده، وإخلاص الدين له، والميل عن الشرك وأهله..."(6).

وجاء الحديث الشريف يربط أعمال المؤمنين كلها بالنية الخالصة لله – تعالى، فعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- :" **إنما الأعمال بالنية وإنما لامرئ ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**"(7) .

هذه النيّة التي يتميّز بها الإسلام عن غيره، والتي لا يقبل الله- تعالى – من عباده أعمالهم إلا إذا

---

(1) انظر: المعجم الوسيط- إبراهيم مصطفى و آخرون –ج1–ص272.

(2) مدارج السالكين- لابن قيّم الجوزية –ج2- ص88 ، 90 .

(3) انظر: لسان العرب – لابن منظور –ج15–ص347 وما بعدها.

(4) النية في الإسلام وبعدها الإنساني – د. عدنان النحوي – ص19.

(5) سورة البينة –الآية(5).

(6) في ظلال القرآن –ج6- ص3952.

(7) صحيح مسلم–كتاب الإمارة (33)- باب قوله(صلى الله عليه وسلم) :"إنما الأعمال بالنية "(45) –ص970- حديث (1907).

توافر فيها شرطان: إخلاص النية لله تعالى، وأن يكون هذا العمل مطابقاً للقرآن والسنة (1).

والنية ترتبط بدين الإسلام ارتباطاً وثيقاً، قال تعالى: ﴿ **اهدنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** ﴾ وقال أيضاً:﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾(2) .

والمعنى :" قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين :إن ربي هداني إلى الطريق القويم، وأرشدني إلى الدين الحقّ دين إبراهيم ... وقل : إن صلاتي التي أعبد بها ربّي و ذبحي وحياتي ووفاتي،وما أقدّمه في هذه الحياة من خيرات وطاعات .. ذلك كلّه لله خالصاً له دون ما أشركتم به .. وبإخلاص العبادة لله وحده أمرت" (3).

والنية لا تصلح إذا خالطها أيُّ شرك من رياء أو هوى أو أوثان؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ فهي عبادة خالصة لله وحده لا يشوبها شرك ولا رياء، وهي استعانة به وحده (4).

وجاءت الآيات الكريمة تذكّر المسلمين بأهمية إخلاص النية لله –تعالى– في كل أعمال الدين، قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ، وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ، قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي** ﴾(5).

والمعنى :" قل يا محمد لمشركي قومك :إن الله أمرني أن أعبده مُفْرِداً له الطاعة دون كلّ ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد، وأمرني ربي بذلك ، لأن أكون بفعل ذلك أول من أسلم منكم، فخضع له بالتوحيد، وأخلص له العبادة، وبرئ من كل ما دونه من الآلهة.. وقل لهم :إني أخاف إن عصيت ربي– فيما أمرني به من عبادته، مخلصاً له الطاعة– عذابَ يوم القيامة.." (6). إذن لابد أن تكون العبادة خالصة لله تعالى، خالية من الشرك والرياء؛ لذلك قصر الله – تعالى –عبادته عليه وحده في قوله : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾. وإخلاص النيّة لله – تعالى– تَحْمي الإنسان من وساوس الشياطين، حيث لا تستطيع الشياطين أن تغوي مَنْ

---

(1) النية إشراقة في النفس –د. عدنان النحوي– ص19–21 (بتصرف).

(2) سورة الأنعام – الآيات (161– 163).

(3) صفوة التفاسير – د. محمد علي الصابوني – ج1 – ص431 (باختصار).

(4) انظر: النية في الإسلام وبعدها الإنساني –د. عدنان النحوي– ص23.

(5) سورة الزمر – الآيات (11 – 14) .

(6) جامع البيان –للطبري – ج12 – ص242.

تحصَّن بالإخلاص، قال تعالى:﴿ .... **وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾(1). أي: " الذين أخلصتهم لطاعتك وجردتهم بالتوجه إليك "(2). وإخلاص النيّة الصادقة لله تعالى من الأسباب العظيمة في رفع الدرجات وزيادة الثواب، قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا، كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا، انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً** ﴾(3).

وقال صلى الله عليه وسلم :" **إن أقواماً خلفنا في المدينة ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا، حَبَسهم العذر** "(4)، وفي رواية لمسلم:" **إلا شركوكم في الأجر**"(5).

والإخلاص- أيضاً- من أسباب النجاة من الفتن والشهوات، حيث إنه حصنٌ حصين من الوقوع في الفتن والشهوات، وهذا ما حدث مع يوسف عليه السلام حيث نجَّاه اللهُ من ارتكاب الفاحشة مع امرأة العزيز؛ لأنه كان مخلصاً لله تعالى، يقول الله : ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾(6).

ولقد مدح الله المخلصين ووعدهم بالأجر العظيم، حيث قال تعالى: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾(7).

يقول الرازي :" والمعنى أن هذه الأقسام الثلاثة من الطاعات وإن كانت في غاية الشرف والجلالة إلاّ أن الإنسان إنما ينتفع بها إذا أتى بها لوجه الله ،ولطلب مرضاته، فأما إذا أتى بها للرياء والسمعة انقلبت القضية فصارت من أعظم المفاسد؛ وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن المطلوب من الأعمال الظاهرة رعاية أحوال القلب في إخلاص النية، وتصفية الداعية عن الالتفات إلى غرض سوى طلب رضوان الله تعالى" (8). وبالمقابل فقد ذمَّ اللهُ أهلَ

---

(1) سورة الحجر – الآيتان (39 ، 40).

(2) محاسن التأويل – للقاسمي –ج6– ص350.

(3) سورة الإسراء – الآيات (19–21).

(4) صحيح البخاري – كتاب الجهاد و السير(56)– باب من حبسهم العذر عن الخوف (35)–ص 598– حديث (2839).

(5) صحيح مسلم –كتاب الإمارة (33) – باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر(48) – ص972 – حديث (1911).

(6) سورة يوسف – الآية (24).

(7) سورة النساء – الآية (114).

(8) التفسير الكبير – م6 – ج11 – ص34.

الرياء، وتوعَّدهم بالعذاب الأليم حيث قال تعالى : ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾(1)(2).

والله نسأل أن يجعلنا من عباده المخلصين، وأن يطهِّر قلوبنا وأعمالنا من الشرك والرياء والنفاق.

---

(1) سورة هود – الآيتان (15، 16).

(2) انظر: سلسلة أعمال القلوب – للشيخ محمد صالح المنجد – ص9 – 19.

المطلب الثاني

الدعاء وحسن التوجّه إلى الله تعالى

الدعاء في اللغة: يقال : دَعَا بالشيء دعْواً، ودَعْوَةً، ودُعَاءً ، ودَعْوَى: أي طلب إحضاره. يقال : دَعَا اللهَ : أي رجا منه الخير (1).

والدعاء في الاصطلاح : " ما يُدْعَى به اللهُ من القول (2).

وقال ابن العثيمين :" هو أن تسأل اللهَ الشيءَ فتقول : يا رب ، اغفر لي ،يا رب، ارحمني ،يا رب ، ارزقني ، وما أشبه ذلك (3).

الدعاء من أجلّ المنازل وأرفعها في التقّرب من الله تعالى، كما يقول الله عز وجل: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ..** ﴾(4). ويقول ابن العثيمين عند قوله : ﴿**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ :" هذا الشاهد أنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه حقيقةً، والتجأ إليه وافتقر إليه، وعلم أنه لا يكشف السوء إلا الله، وأنه محتاج إلى ربّه،فإنه إذا دعاه في هذا الحال أجابه سبحانه وتعالى" (5).

ومن عِظَمِ شأن الدّعاء أن الإسلام اعتبره هو العبادة، كما جاء من حديث النعمان بن بشير –رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" **الدعاء هو العبادة**" (6). وكما جاء من حديث أبي هريرة– رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :" **ليس شيءٌ أكْرَمَ على الله من الدُّعاء**"(7).

وقد أمر اللهُ– تعالى–عباده بالدّعاء إليه، حيث قال تعالى:﴿ **ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً...** ﴾(8). قال القرطبي :" هذا أَمْرٌ بالدعاء وتعبُّدٌ به. ثم قرن جلّ وعزّ بالأمر صفاتٍ تحسُن معه، وهي الخشوع والاستكانة والتضّرع "(9). ولقد وعد الله عبادَه باستجابة دعائهم تفضّلاً منه تعالى

---

(1) انظر : المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى و آخرون – ص 309.

(2) المرجع السابق نفسه – ص 310.

(3) شرح رياض الصالحين – ج4 – ص47.

(4) سورة البقرة – الآية (186).

(5) شرح رياض الصالحين – ج4 – ص49.

(6) سنن الترمذي – كتاب الدعوات (45) – باب ما جاء في فضل الدعاء (2) – ج5 – ص286– حديث (3372) ، قال : هذا حديث حسن صحيح .

(7) سنن الترمذي – كتاب الدعوات (45) – باب ما جاء في فضل الدعاء (1) – ج5 – ص286– حديث (3370) ، قال : هذا حديث حسن صحيح .

(8) سورة الأعراف – الآية (55).

(9) الجامع لأحكام القرآن – ج7 –ص223.

ورحمة، حيث قال : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ...** ﴾ (1).

كما أمرنا تعالى – بأن نخلص الدعاء إليه ولا نشرك معه بالدعاء غيره، قال الله : ﴿ **وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ...** ﴾(2) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :" **إذا سألت فاسأل الله ...** "(3). وإذا كان الله– تعالى– أمرنا بالدعاء وتفضَّل علينا بالاستجابة، فإنه تعالى قد ذكر في القرآن دَعَواتٍ يدعو بها المسلم (4)، وأعظم هذه الدعوات هو طلب الهداية من الله تعالى إلى الصراط المستقيم حيث قال تعالى: ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾(5). فالله تعالى وَفَّق عباده أن يسألوه الهداية إلى الصراط المستقيم ،وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير صراط اليهود والنصارى، ففي هذه الآية : ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ دعاء وتضرع من العبد إلى الله –تعالى –أن يهديه إلى الصراط المستقيم، فالعبد مضطرٌ إلى سؤال هذه الهداية العظيمة، لهذا شرَّع اللهُ تعالى – في الصلاة قراءة الفاتحة في كل ركعة ؛ لأن العبد محتاج إلى هذا الدعاء العظيم القدر، المشتمل على أشرف المطالب وأجلّها، وهو التوفيق والثبات على الصراط المستقيم ،وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من عباده الصالحين (6).

إذن " حاجة العبد إلى سؤال هذه الهداية ضرورية في سعادته ونجاته وفلاحه. بخلاف حاجته إلى الرزق والنصر .. فالحاجة إلى الهدى أعظم من الحاجة إلى النصر والرزق؛ بل لا نسبة بينهما ؛لأنه إذا هُدِيَ كان من المتقين .. وكان ممن ينصر الله ورسوله، ومن نصر الله نصره الله ، وكان من جند الله وهم الغالبون، ولهذا كان هذا الدعاء هو المفروض .. والجامع لكل مطلوب، وهذا مما يبيّن أن غير الفاتحة لا يقوم مقامها" (7) .

---

(1) سورة غافر – الآية (60).

(2) سورة الأعراف – الآية (29).

(3) سبق تخريجه– ص 106.

(4) انظر: زاد الدعاة – عبد المنعم المغازي – ص309 وما بعدها.

(5) سورة الفاتحة – الآيتان (6 ، 7).

(6) انظر: شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الدمشقي – ص800.

(7) التفسير الكامل – لابن تيمية – ج1 – ص 35 (باختصار) .

المطلب الثالث

بناء الأمة المسلمة الواحدة على الصراط المستقيم

المسلم يطلب من ربّه دائماً أن يهديه الصراطَ المستقيم، هذا الصراط هو صراط من أنعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين، قال تعالى: ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ**﴾ .

هذا الصراط المستقيم هو الذي يجمع المسلمين كلّهم أمة مسلمة واحدة . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾(1).

" إن هذه أمتكم أمة الأنبياء أمة واحدة ،تدين بعقيدة واحدة وتنتهج نهجاً واحداً، هو الاتجاه إلى الله دون سواه، أمة واحدة في الأرض، وربّ واحد في السماء لا إله غيره ولا معبود إلا إيّاه، أمة واحدة وفق سنة واحدة تشهد بالإرادة الواحدة في الأرض والسماء"(2).

إن بناء هذه الأمّة المسلمة الواحدة ،هي حاجة ماسّة للبشرية كلّها، في كلّ العصور والأزمان؛ لأن هذه الأمة الواحدة تحمل للناس كافة رسالة الإسلام لتخرج الناس من ظلام الشرك إلى نور التوحيد والإيمان، ومن الضلال إلى الرشاد، ومن الفساد إلى الصلاح..

قال تعالى: ﴿ **فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ**﴾ (3) .

إن الأمة المسلمة الواحدة ،هي القوة الوحيدة التي تظلُّ تُرعِبُ وتقلق المجرمين والمفسدين في الأرض، قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ...**﴾ (4)، فمعنى قوله : ﴿ **أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ " أي اجعلوه قائماً دائماً مستمراً محفوظاً مستقراً من غير خلاف فيه ولا اضطراب .." (5)، فالأمة المسلمة الواحدة إذا كانت قائمة على الدين ولم تتفرق، ولم تختلف فيه ،فإن المجرمين في الأرض يكونون في خوفٍ شديد من هذه الأمة الواحدة.

إن الأمن والأمان والصلاح والعدل لن يكون في الأرض إلا إذا قامت هذه الأمة المسلمة الواحدة، فهي التي تقود البشرية كلها إلى الصراط المستقيم، ومِنْ ثَمَّ إلى الهدف الأسمى والأكبر، جنة الله ونعيمه. فقوة الإسلام في الأرض، وقوة أهله مرتبطتان بالأمة المسلمة الواحدة، التي

---

(1) سورة الأنبياء – الآية (92).

(2) في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج4 – ص2395، 2396.

(3) سورة هود – الآية (116).

(4) سورة الشورى – الآية (13).

(5) الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج16 – ص11.

تمضي على الصراط المستقيم، صفاً واحداً كالبنيان المرصوص، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾(1)، أي "إن الله يحبّ المجاهدين الذين يصفُّون أنفسهم عند القتال صفّاً، ويثبتون في أماكنهم عند لقاء العدوّ، كأنهم في تراصّهم وثبوتهم في المعركة، بناءٌ قد رُصَّ بعضه ببعض، وأُلْصِقَ وأُحكِم حتى صار شيئاً واحداً "(2).

ولقد نهى الله – تعالى–المسلمين أن يتفرّقوا عن دينهم، حيث قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**﴾(3).

وحذّر كل من يقع فيه بالعذاب العظيم ، حيث قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(4). وكيف نطلب من الله – تعالى– الهدايةَ إلى الصراط المستقيم، ونطلب منه – تعالى– الثبات على صراط الذين أنعم عليهم، والمسلمون متفرّقون في كل مكان؟!. إذن لا بد من قيام الأمة المسلمة الواحدة في الأرض، الأمة التي تسير على الصراط المستقيم، والتي تحمل رسالة الإسلام إلى الناس كافة، تحمل الخير للبشرية كلّها، في جميع العصور والأزمان، قال تعالى : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(5). فلا بد من أمة مؤمنة في الأرض ،تقوم على الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف ،والنهي عن الشر والفساد .. أمة مؤمنة متماسكة متجمّعة، ترتبط بمنهاج الله قرآناً وسنة والأخوة في الله، أمة تقوم على هاتين الركيزتين : الإيمان بالله ، والأخوة والحبّ في الله، حتى يتحقق منهج الله في حياة البشرية كلها . إن قيام هذه الأمة المؤمنة الواحدة ضرورة عظيمة من ضرورات المنهج الإلهي (6). فإذا قامت هذه الأمة المسلمة الواحدة على الصراط المستقيم، صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص، فإنها تكون خير أمّة أخرجت للناس (7). كما قال تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ... ﴾**(8) .

---

(1) سورة الصف – الآية (4).

(2) صفوة التفاسير – د. محمد علي الصابوني – ج3 – ص371.

(3) سورة الأنعام – الآية (159).

(4) سورة آل عمران – الآية (105).

(5) سورة آل عمران – الآية (104).

(6) انظر: في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج1 – ص444 (باختصار).

(7) انظر : بناء الأمة المسلمة الواحدة – د. عدنان النحوي – ص222 وما بعدها .

(8) سورة آل عمران – الآية (110).

المطلب الرابع

التحذير من اتباع طريق اليهود والنصارى

إن الله – سبحانه وتعالى– بعث سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام، الذي هو الصراط المستقيم، وأمر المسلمين أن يسألوه هدايته كل يومٍ مراراً في صلاتهم، ووصفه تعالى بأنه صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين، غير صراط اليهود ولا النصارى، قال عدي بن حاتم رضي الله عنه –" **أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد – فقال القوم : هذا عدي بن حاتم، وجئت بغير أمان ولا كتاب، فلمّا دُفعتُ إليه أخذ بيدي– وقد قال قبل ذلك: إني لأرجو الله أن يجعل يده في يدي – قال : فقام بي، فلقيته امرأة وصبيّ معها، فقالا :إن لنا إليك حاجة، فقام معهما حتى قضى حاجتهما ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره، فألقت له الوليدة وسادة، فجلس عليها، وجلستُ بين يديه. فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال : ما يُفِرُّكَ؟ أيفرّك أن تقول : لا إله إلا الله؟ فهل تعلم مِنْ إله سوى الله؟ قال: قلت : لا، ثم تكلَّم ساعة، ثم قال : إنما يفرُّك أن تقول : الله أكبر أَوتَعْلَم شيئاً أكبر من الله ؟ قال : قلت : لا، قال : اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضُلال، قال: فقلت : فإني جئت مسلماً ، قال :فرأيتُ وجهه ينبسط فرحاً**" (1).

وقد دلّ القرآن الكريم على معنى هذا الحديث فقال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**﴾(2). ومعنى قوله :"﴿ **مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ...** ﴾"هم اليهود، أبعدهم الله من رحمته، وسخط عليهم بكفرهم، وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات، ومسخ بعضهم قردة وخنازير.. [هؤلاء] الملعونون الممسوخون شرٌّ مكاناً، يعني جهنم .. وأكثر ضلالاً عن الصراط المستقيم"(3).

وقال تعالى – أيضاً – في اليهود: ﴿ **... وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ...**﴾ (4) . فهذا يدل على أن اليهود مغضوب عليهم. وقال تعالى في النصارى: ﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ**

---

(1) مسند أحمد – ج14 – ص457 – حديث (19276)، وسنن الترمذي – كتاب تفسير القرآن (44) – باب ومن سورة فاتحة الكتاب (2) – ج5 – ص46 – حديث (2954) ، وقال : هذا حديث حسن غريب، وصحيح الجامع – للألباني – ج2 – ص1363 – حديث (8202).

(2) سورة المائدة – الآية (60).

(3) محاسن التأويل– للقاسمي – ج4 – ص 187 (باختصار).

(4) سورة البقرة – الآية (61).

عَذَابٌ أَلِيمٌ ، أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ، قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ ﴾(1) . ومعنى ﴿**...لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ...** ﴾ أي لا تجاوزوا الحدَّ في اتباع الحق ،ولا تبالغوا في تعظيم من أمركم الله باتباعه فتخرجوه من مقام النبوة إلى مقام الألوهية، كما صنعتم في عيسى عليه السلام حيث جعلتموه إلهاً من دون الله ،فخرجتم بذلك عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الضلال والفساد (2).

ومع أن الله – تعالى –حذَّر أمة محمد صلى الله عليه وسلم من اتباع طريقهم، فقضاؤه – تعالى– نافذ بما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ممّا سبق في علم الله – تعالى، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم :" **لَتَتَّبِعُنّ سَنَنَ اللذين من قبلكم شبراً بشبر، و ذراعاً بذراع. حتى لو دخلوا في جُحْرِ ضَبٍّ لاتبعتموهم . قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فَمَنْ** "(3) . وعن أبي هريرة– رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر، وذراع بذراع، فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: ومَن الناسُ إلا أولئك** "(4). فأخبر الرسولُ صلى الله عليه وسلم أنه سيكون في أمّته مُضَاهاة لليهود والنصارى، وهم أهل الكتاب، ومضاهاة لفارس والروم ،وهم الأعاجم.وليس هذا إخباراً منه صلى الله عليه وسلم عن جميع أمته ، بل قد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :" **لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون** "(5). وقال أيضاً: " **إن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة** "(6) .

---

(1) سورة المائدة – الآيات (73 – 77).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج2 – ص82.

(3) صحيح مسلم – كتاب العلم (47) – باب اتباع سنن اليهود و النصارى(3) – ص1324 – حديث (2669).

(4) صحيح البخاري – كتاب الاعتصام بالكتب والسنة (96) – باب قول النبي " لتتبعن سنة من كان قبلكم "(14) – ص 1458 حديث(7319).

(5) صحيح البخاري – كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (96) – باب قول النبي " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق و هم أهل العلم "(10) – ص1457 حديث(7311).

(6) سنن الترمذي– كتب الفتن(30)– باب ما جاء في لزوم الجماعة(7) – ج4 – ص214–حديث(2167)، وقال :هذا حديث غريب من هذا الوجه.

يقول ابن تيمية :" فَعُلِمَ بخبره صلى الله عليه وسلم الصدق أنه لا بد أن يكون في أمّته قومٌ متمّسكون بهديه الذي هو دين الإسلام مَحْضاً،وقوم منحرفون إلى شعبة من شعب دين اليهود أو إلى شعبة من شعب دين النصارى . فلذلك أمر اللهُ العبدَ بدوام دعائه سبحانه – بالهداية إلى الاستقامة التي لا يهودية فيها ولا نصرانية أصلاً" (1).

ولقد نهى الله – تعالى– الأمة الإسلامية عن موالاة اليهود والنصارى، ويعتبر مَنْ يفعل ذلك ظالماً أولاً، وفي قلبه مرضٌ ثانياً، حيث يقول : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾(2).

" فهذه الآية تجمع أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى معاً، وتؤكد نَهْيَ المؤمنين عن اتخاذهم أولياء، فلا يجوز أن يكون ولاء المؤمن لليهود والنصارى وهم يفسدون في الأرض، ويحاربون الله ورسوله، ولا يؤمنون بما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. فجاء النهي هنا حاسماً قاطعاً"(3) .

إذن في قوله تعالى : ﴿ **غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾ هنا يستعيذ المسلم بالله تعالى من اتباع طريق اليهود والنصارى؛ لأنهم أجرموا في الأرض، وطغوا فيها،وأكثروا فيها الفساد فاستحقوا اللعنة من الله، فطردهم الله من رحمته ، وغضب عليهم، وأعدَّ لهم عذاباً أليماً قال تعالى: ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ،كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ،تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ**﴾(4).

والله نسأل أن يباعد بيننا وبين هؤلاء اليهود المغضوب عليهم، وبين النصارى الضالين.

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم – ص11.

(2) سورة المائدة – الآية (51).

(3) قبسات من الكتاب والسنة – د. عدنان النحوي – ج1 – ص63.

(4) سورة المائدة – الآيات (78 – 80).

المبحث الثاني

المسائل الفقهية العامة المستنبطة من السورة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المسائل الفقهية المتعلقة بالبسملة فقط.

المطلب الثاني: المسائل الفقهية المتعلقة بالسور كلها.

المطلب الأول

المسائل الفقهية المتعلقة بالبسملة فقط

المسألة الأولى: آراء العلماء في البسملة .

اتفق العلماء على أن البسملة جزء من آية من سورة النمل في قوله تعالى: ﴿ **...إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾(1)، ولكنهم اختلفوا في هل هي آية من الفاتحة، ومن أول كل سورة أم لا؟ على عدة أقوال:

1- **قال مالك و الأوزاعي**(2) **وأهل البصرة والشام والمدينة:**

إن البسملة ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور إلا في سورة النمل، وإنما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها. واحتجوا على ذلك بأدلة منها:

أ- عن عائشة - رضي الله عنها- أن النبي - صلى الله عليه وسلم-: " **كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين** "(3)، وهذا يدل على أن البسملة ليست آية من الفاتحة.

ب- لو كان قوله :(بسم الله الرحمن الرحيم) آية من هذه السورة للزم التكرار في قوله : (الرحمن الرحيم)، وذلك بخلاف الدليل.

ج- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى : " **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، يقول الله تعالى: حمدني عبدي....** "(4) .

قالوا: إنه - عليه الصلاة والسلام- لم يذكر البسملة في الحديث القدسي، ولو كانت آية من الفاتحة لذكرها (5).

---

(1) سورة النمل -الآية(30).

(2) الأوزاعي: هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، إمام عصره، عالم ورعٌ زاهد فقيه محدِّث، اشتهر بوعظه لأبي جعفر المنصور، ولد سنة 88هـ، وتوفي سنة 157هـ. انظر: (حلية الأولياء)-لأبي نعيم الأصفهاني -ج6-ص135.

(3) صحيح مسلم- كتاب الصلاة (4)- باب ما يجمع صفة الصلاة وما يفتتح به...(46) -ص232- حديث(498).

(4) صحيح مسلم- كتاب الصلاة(4)- باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة(11)-ص190-حديث(395).

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن- للقرطبي- ج1-ص93 وما بعدها، وتفسير القرآن العظيم- لابن كثير -ج1- ص16، والتحرير والتنوير- لابن عاشور- م1-ج1-ص138، 140.

2- **قال الشافعية وعبد الله بن المبارك**(1) **وسفيان الثوري**(2) **وقراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز وأحمد بن حنبل في رواية عنه:** إنها آية من الفاتحة ومن كل سورة إلا التوبة، واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

أ- عن أنس -رضي الله عنه- قال: **بينما رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال:" نزلت عليّ آنفاً سورة.. فقرأ: ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطيناكَ الكوثَر، فَصَلِّ لربك و انْحر، إنَّ شانِئَكَ هو الأبترْ ﴾**(3) "(4).

ب- عن أنس بن مالك – رضي الله عنه- أنه سئل عن قراءة رسول الله -صلى الله عليه وسلم، فقال: "**كانت قراءته مدًّا، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمدّ ببسم الله، ويمدّ بالرحمن، ويمدّ بالرحيم** "(5)(6).

ج- واستدلوا – أيضاً- بدليل عقلي وهو :" أن مصحف عثمان -رضي الله عنه- كُتبتْ فيه البسملة في أول الفاتحة، وفي أول كل سورة من سور القرآن ما عدا سورة التوبة، وكُتِبتْ كذلك في مصاحف الأمصار المنقولة عنه، وتواتر ذلك مع العلم بأنهم كانوا لا يكتبون في المصحف ما ليس من القرآن، وكانوا يتشدّدون في ذلك... فلما وجدت البسملة في سورة الفاتحة، وفي أوائل السور دلّ على أنها آية من كل سورة من سور القرآن "(7).

3- **قال الأحناف :** هي آية تامة من القرآن الكريم أنزلت للفصل بين السور، وليست آية من الفاتحة ولا من غيرها. واستدلوا على ذلك بما يلي:

أ- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:" **إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان لا**

---

(1) عبد الله بن المبارك: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة، ثقة فقيه عالم مجاهد، ولد سنة 118هـ، وتوفي سنة 181هـ. انظر: (البداية والنهاية) - لابن كثير- ج1-ص173.

(2) سفيان الثوري: هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، ولد سنة 97هـ، وتوفي سنة 161هـ. انظر: (صفوة الصفوة)- لابن الجوزي- ج2-ص85.

(3) سورة الكوثر.

(4) صحيح مسلم-كتاب الصلاة(4)-باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة....-(14)-ص193-حديث(400).

(5) صحيح البخاري-كتاب فضائل القرآن(66)-باب مدّ القراءة(29)-ص 1075-حديث(5046).

(6) انظر: التفسير الكبير- للرازي- م1-ج1-ص160-163.

(7) تفسير آيات الأحكام- د . محمد علي الصابوني-ج1-ص48 (باختصار) .

يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه (بسم الله الرحمن الرحيم)" (1).

ب- وقالوا: إن كتابتها في المصحف يدلّ على أنها قرآن، ولكن لا يدلّ على أنها آية من كل سورة، والأحاديث التي تدلُّ على عدم قراءتها جهراً في الصلاة مع الفاتحة تدلّ على أنها ليست من الفاتحة، فحكموا بأنها آية تامة من القرآن في غير سورة النمل، أنزلت للفصل بين السور(2).

4- **قال داود الظاهري**(3) **ورواية عن أحمد بن حنبل** :هي آية تامة مستقلة في أول كل سورة لا منها ما عدا التوبة (4).

ويرى الباحث أن الرأي الراجح هو رأي الشافعية ومن معهم بأن البسملة آية من الفاتحة، ومن كل سورة ما عدا التوبة؛ وذلك لقوة أدلتهم؛ ولورود البسملة في مصحف الإمام عثمان، وكذلك في مصاحف الأمصار في سورة الفاتحة، وفي أوائل السور، فدلّ ذلك على أنها آية من كل سورة من سور القرآن ما عدا التوبة . ويرد على الآراء الأخرى بأن حديث أنس الذي أثبت البسملة مقدَّم على حديثي أبي هريرة وعائشة اللذين لم يثبتا البسملة؛ لأن رواية الإثبات مقدمة على رواية النفي. ويرد على قولهم بكون إثبات البسملة يؤدي إلى التكرار، أن التكرار في القرآن كثير؛ لأنه يفيد التوكيد ، وتأكيد أن الله تعالى رحمن رحيم من أعظم الأمور . وأدلة الأحناف تدل دلالة واضحة على أن البسملة آية من كل سورة. والله أعلم.

ملاحظة:

اختلف من قال إن البسملة ليست آية من أوائل السور في سبب إثباتها في المصحف في أول كل سورة ما عدا التوبة على قولين:

1- إن البسملة ليست من القرآن، وهؤلاء فريقان:

أ- منهم من قال: إنها كُتِبتْ للفصل بين السور، وهذا الفصل قد صار الآن معلوماً فلا حاجة إلى إثبات البسملة، فعلى هذا لو لم تُكتب لجاز.

ب- ومنهم من قال: إنه يجب إثباتها في المصاحف ولا يجوز تركها أبداً.

2- إن البسملة من القرآن قد أنزلها الله تعالى، ولكنها آية مستقلة بنفسها وليست آية من السور، وهؤلاء- أيضاً- فريقان:

---

(1) المستدرك على الصحيحين -للحاكم-ج1-ص356-حديث(845)، وقال: هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصحيح الجامع- للألباني- ج2-ص878- حديث(4864).

(2) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم- لأبي السعود-ج1-ص8، وتفسير آيات الأحكام- د. محمد علي الصابوني-ج1-ص51.

(3) داود الظاهري: داود بن علي الأصبهاني البغدادي الفقيه الظاهري، إمام أهل الظاهر، كان عالماً فقيهاً زاهداً. ولد سنة 200هـ، وتوفي ببغداد سنة270هـ. انظر:(البداية والنهاية)-لابن كثير-ج11-ص48.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم-لابن كثير-ج1-ص16.

أ- منهم من قال: إن الله – تعالى- كان ينزلها في أول كل سورة على حِدة.

ب- ومنهم من قال: لا بل أنزلها مرة واحدة، وأمر بإثباتها في أول كل سورة (1).

المسألة الثانية: كيفية قراءة البسملة في الصلاة:

اختلف الفقهاء في كيفية قراءة البسملة في الصلاة على أقوالٍ عدة:

1-**قال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري والأوزاعي وهو الثابت عن الخلفاء الأربعة:** على أنه لا يجهر بالبسملة في الصلاة، بل يسرّ بها في كل ركعة من ركعات الصلاة، وإن قرأها مع كل سورة فحسن واحتجوا بما يلي:

أ-عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-" **أن النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكرٍ وعمرَ -رضي الله عنهما- كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين**"(2). ورواية لمسلم :" **لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة، ولا في آخرها**"(3).

ب- وعن يزيد بن عبد الله بن مغفل قال :"**سمعني أبي وأنا في الصلاة، أقول بسم الله الرحمن الرحيم، فقال لي: أي بُنيّ، إيّاك والحَدَث، قال: ولَمْ أَرَ أحداً من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان أبغض إليه الحَدَثُ في الإسلام، يعني منه، قال: وقد صلَّيْتُ مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ومع أبي بكر ومع عمر ومع عثمان فلم أسمع أحداً منهم يقولها، فلا تَقُلْها، إذا أنت صلَّيت فقل: الحمد لله رب العالمين**"(4)(5).

2- **قال مالك:** لا تقرأ البسملة في الصلاة المكتوبة بالكلية لا جهراً ولا سِرّاً، لا في استفتاح سورة الفاتحة، ولا في غيرها من السور، أما في النافلة فإنه يجوز أن يقرأها، فإن شاء قرأها، وإن شاء ترك قراءتها، واستدلوا بما يلي:

أ- رُوي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "**كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله ربّ العلمين**"(6).

---

(1) التفسير الكبير- للرازي-م1-ج1-ص170 (بتصرف).

(2) صحيح البخاري- كتاب الأذان(10)- باب ما يقول بعد التكبير(89)-ص 160 -حديث(743).

(3) صحيح مسلم-كتاب الصلاة(4)- باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة(13)-ص192-حديث(399).

(4) مسند أحمد -ج13-ص154-حديث(16731)، قال حمزة الزين في تخريجه للمسند: إسناده حسن، و سنن الترمذي-كتاب الصلاة(3) - باب ما جاء في ترك الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم(180) - ج2- ص12- حديث(244)، وقال عنه :حديث حسن.

(5) انظر: أحكام القرآن- للجصاص-ج1-ص15 وما بعدها، والتفسير الكبير- للرازي- م1-ج1-ص167، 171.

(6) سبق تخريجه- ص151.

ب- وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه- أنه قال :"**صلّيْتُ خلف النبـــي – صـــلى الله عليـــه وسلم- وأبي بكر وعمر وعثمان – رضي الله عـــنهم – فكـــانوا يفتتحـــون بالحمـــــد لله ربّ العـــالمين، لايذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها** (1)(2).

3- **وقال الشافعي والثابت عن ابن عمر وأبي هريرة وابن عباس** :إنّ المصلِّي يقرؤها وجوباً في الجهر جهراً، وفي السّر سِرّاً. ويجب قراءتها في كل الركعات، وحجتهم في ذلك ما يلي:

أ-ما روي عن أبي هريرة –رضي الله عنه" أنه صلَّى،" **فقرأ بسم الرحمن الرحيم، ثم قرأ بـــأمِّ القرآن، حتى إذا بلغ غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقال: آمين، فقـــال النـــاس :آمـــين، ويقول: كلما سجد، الله أكبر، وإذا قام من الجلوس في الاثنتين قال: الله أكبر، وإذا سلَّم قـــال: والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاةً برسول الله صلى الله عليه وسلم** "(3) .

ب- وعن أنس بن مالك –رضي الله عنه- أنه سئل عن قراءة النبي – صلى الله عليـــه وســـلم- فقال :" **كانت قراءته مدّاً، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمدّ ببسم الله ويمدّ بـــالرحمن ويمـــدّ بالرحيم**"(4)(5).

ويميل الباحث إلى رأي الشافعي بأن قراءة البسملة واجبة في الـــصلاة، فيقرؤهـــا فـــي الجهر جهراً، وفي السر سراً؛ وذلك لأن البسملة آية من الفاتحة فيجب قراءتها في الصلاة مثـــل الآيات الأخرى للسورة نفسها ، فيجهر بها في الصلاة الجهرية، ويسر بها في الصلاة الـــسرية . ويرد على الآراء الأخرى ، أنهم ذهبوا إلى قراءتها سراً سواء فـــي الـــصلاة الجهريـــة أم فـــي الصلاة السرية؛ لأنهم لم يعتبروا البسملة آية من الفاتحة، وقد رد الباحث علـــيهم فـــي المـــسألة السابقة، ولا داعي لإعادته. والله أعلم.

المسألة الثالثة: حكم قراءة البسملة للحائض والنفساء والجنب:

اختلف العلماء في هذه المسألة على أقوال :

1- **قـــال الشافعيـــة** : إنـــه يحرم تلاوة القرآن للجنب ولو لحرف واحد، أو لدون آيـــة بقـــصد القراءة، وحجتهم في ذلك :

---

(1) سبق تخريجه-ص 154.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن- للقرطبي- ج1-ص95 ،96، والتحرير والتنوير- لابن عاشور-م1 -ج1- ص140.

(3) سنن النسائي- كتاب الافتتاح- باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم-ج2-ص134.قال السيد محمد السيد و غيره : إسناده صحيح . حيث ذكره في تحقيق تفسير ابن كثير- ج 1- ص 65.

(4) صحيح البخاري-كتاب فضائل القرآن(66)- باب مدّ القراءة(29)-ص -حديث(5046).

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم- لابن كثير-ج1-ص16 ،17، والتفسير الكبير- للرازي-م1-ج1-ص171.

أ- حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **لا تقرأ الحـــائض ولا الجنب شيئاً من القرآن** " (1) .

ب- وحديث علي رضي الله عنه قال :" **كـــان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئنا القـــرآن على كل حال مالم يكن جنباً** "(2) .

ولكن لو قصد الدعاء أو الثناء أو افتتاح أمر أو التعليم أو الاستعاذة ، أو الأذكار، فـــلا يحـــرم، كقوله عند المصيبة : ﴿...**إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـــا إِلَيْهِ رَاجِعونَ**﴾ (3)، أو عند الأكل : ﴿**بِسْمِ اللهِ الـــرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾. كما لا يحرم إذا جرى القرآن على لسانه بلا قصد ، فإن قصد القرآن وحـــده أو مـــع الذكر، حرم . ولا تحرم البسملة، والحمد لله، والفاتحة، وآية الكرسي، وسورة الإخلاص بقـــصد ذكر الله تعالى؛ وذلك لما روته عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قلت :" **كان النبي صـــلى الله علية وسلم يذكر الله على كل أحيانه** "(4) (5) .

2- **قـــال الحنابلـــة :** يحرم على الحائض والنفساء والجنب قراءة القرآن . واحتجوا بما يلي :

أ- قوله تعالى : ﴿ **لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾ (6) .

ب- وحديث ابن عمر : " **لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن** ". إلا أنهم أجازوا قراءة ما دون الآية الصغيرة أو قدره من الطويلة بلا عذر، ولو كرره؛ لأنه لا إعجـــــاز فيه، ويحرم قراءة ما زاد عن ذلك (7).

3- **ذهب الأحناف :** إلى ما ذهب إليه الحنابلة، إلا أنهم أضافوا إذا كان القارئ مُعلماً، فإنه يجوز له أن يُلَقِّن المتعلم كلمة كلمة، بحيث يفصل بينهما (8) .

4- **قـــال المـــالكيـــة :** لا يجوز قراءة القرآن للجنب إلا إذا كان يسيراً، وكان يقصد الاستدلال

---

(1) سنن الترمذي – كتاب الطهارة (1) – باب ما جاء في الجنب والحائض وأنهما لا يقرآن القرآن (98) – ج1 – ص268 – حديث (131) . وقال : حديث ابن عمر لا نعرفه إلا من حديث إسماعيل بن عياش .

(2) سنن الترمذي – كتاب الطهارة (1) – باب ما جاء في الرحل يقرأ القرآن على كل حال مالم يكن جنبـــاً (111) – ج1 – ص298 – حديث (146) . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(3) سورة البقرة – الآية (156) .

(4) صحيح مسلم – كتاب الحيض (3) – باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرهـــا (30) – ص180 – حديث (373) .

(5)انظر : الفقه الإسلامي وأدلته – د. وهبة الزحيلي – ج1 – ص384 ، 385 .

(6) سورة الواقعة – الآية (79) .

(7) انظر : أحكام الطهارة في الفقه الإسلامي – د. أبو سريع محمد عبد الهادي – ص174 ، والفقه الإسلامي وأدلته – ج1 – ص385 .

(8) انظر : أحكام الطهارة في الفقه الإسلامي – ص174 .

به على دعوى، أو رأي معين فإنه يجوز(1) . وضبط المالكية ما يجوز للجنب من القراءة اليسيرة لأجل التعوذ به، كآية الكرسي، والإخلاص، والمعوذتين، أو لأجل رقية للنفس، أو للغير من ألم أو عين (2) .

وأجازوا للحائض والنفساء قراءة القرآن عن ظهر قلب إلا بعد انقطاع الدم ، وقبل غسلها، سواء أكانت جنباً حال حيضها أو نفاسها أم لا (3) . فلا تقرأ بعد انقطاع الدم مطلقا حتى تغتسل، إذ لا عذر لها حينئذٍ (4) .

ويرى الباحث أن الرأي الراجح أنه يجوز للجنب أو الحائض أو النفساء قراءة : ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ إذا قصد الذكر، أو إذا جرى على لسانه بدون قصد، أما إن قصد التلاوة، فلا يجوز . والله تعالى أعلم .

---

(1) انظر : أحكام الطهارة في الفقه الإسلامي– د . أبو سريع محمد عبد الهادي –ص174 .

(2) انظر : الفقه الإسلامي وأدلته – د . وهبة الزحيلي – ج1 – ص385 .

(3) انظر : المرجع السابق نفسه – ج1 – ص469 .

(4) انظر : المرجع السابق نفسه – ج1 – ص 471 .

المطلب الثاني

المسائل الفقهية المتعلقة بالسورة كلها

المسألة الأولي: حكم قراءة الفاتحة في الصلاة :

اختلف الفقهاء في ذلك على مذهبين:

1- **قال جمهور الفقهاء (الشافعي ومالك وأحمد):** إن قراءة الفاتحة تتعيّن في الصلاة، فمن تركها مع القدرة عليها لم تَصحّ صلاته، واحتجوا على ذلك بما يلي:

أ-عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:" **مَنْ صلَّى صلاة لم يقرأ فيها بأمّ القرآن فهي خِداج، فهي خِداج، فهي خِداج**"(1) والخِداج النقصان.

ب- ما ثبت في الصحيحين عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:" **لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب** "(2).

ج- و قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:" **لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب فما زاد**"(3).

د- إنه عليه الصلاة والسلام واظب طوال عمره على قراءة الفاتحة في الصلاة فوجب ذلك علينا، لقوله تعالى : ﴿**... واتبِعوه لعلكم تهتَدونَ**﴾(4)، ولقوله: ﴿**... فليحذرَ الذين يُخالِفون عن أمرِهِ أنْ تصيبَهُم فتنةٌ أو يُصيبَهم عذاب أليم** ﴾(5)(6).

2- **قال الأحناف وسفيان الثوري والأوزاعي:** إن قراءة الفاتحة لا تتعيّن في الصلاة، بل مهما قرأ به من القرآن أجزأه في الصلاة مع الإساءة، ولا تبطل صلاته، واحتجوا على ذلك بما يلي:

أ- بعموم قوله تعالى: ﴿**... فاقْرَءوا ما تيسَّرَ منَ القرآنِ...**﴾ (7).

ب- ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- في قصة المسيء في صلاته أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال له: "**إذا قمت إلى الصلاة فكبّر، ثم اقرأ ما**

---

(1) صحيح مسلم- كتاب الصلاة(4)-باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة(11)-ص191-حديث(395).

(2) صحيح البخاري-كتاب الأذان(10)-باب وجوب القراءة للإمام والمأموم(95)-ص 163 - حديث(756)، وصحيح مسلم- كتاب الصلاة(4)-باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة(11)-ص189-حديث(394).

(3) مسند احمد-ج9-ص237-حديث(9496)، قال حمزة الزين في تخريجه للمسند: إسناده حسن، وسنن الترمذي-كتاب الصلاة(3)- باب ما جاء في ترك القراءة خلف الإمام إذا جهر بالقراءة(233)-ج2-ص97-حديث(312)، وقال:هذا حديث حسن.

(4) سورة الأعراف -الآية(158).

(5) سورة النور -الآية(63).

(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن- للقرطبي-ج1-ص117-124، والتفسير الكبير- للرازي- م1-ج1-ص156-159.

(7) سورة المزمل -الآية(20).

تيسّر معك من القرآن"(1).

قالوا: فأمره بقراءة ما تيسّر، ولم يعيّن له الفاتحة، ولا غيرها، فدلّ على عدم وجوبها في الصلاة (2). ويرى الباحث أن الرأي الراجح هو رأي جمهور الفقهاء بأن قراءة الفاتحة واجبة في الصلاة ولا يجزئ غيرها، وذلك لقوة أدلتهم، وعملاً بما ثبت في السنة من مواظبة الرسول – صلى الله عليه وسلم– وصحابته الكرام على قراءتها في صلاة الفريضة والنفل. ويرد على رأي الأحناف ومن معهم : أن إطلاق الآية والحديث على العموم قيده حديث : " **لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب** " . والصحيح أن معنى الحديث : لا صلاة صحيحة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب . فالنفي هنا نفي الصحة لا نفي الكمال والفضيلة والله تعالى أعلم.

المسألة الثانية: حكم قراءة الفاتحة على المقتدي(المأموم) خلف الإمام:

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

1– **قال الشافعي:** تجب قراءة الفاتحة على المأموم خلف الإمام سواء أَسَرَّ الإمام بالقراءة أم جهر بها. واحتجَّ على ذلك بما يلي:

أ– قوله تعالى: ﴿**... فاقْرَءوا ما تيسَّرَ منَ القرآنِ...**﴾. وهذا الأمر يتناول المنفرد والمأموم.

ب– قوله عليه الصلاة والسلام للأعرابي الذي علّمَه أعمال الصلاة ":.. **ثم اقرأ بما تيسّرَ معك من القرآن**"(3). وهذا يتناول المنفرد والمأموم.

ج– وقوله عليه الصلاة والسلام:"**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**"(4). فإن اللفظ عام يشمل الإمام والمأموم، سواء كانت الصلاة سرية أم جهرية، فمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب لم تصحَّ صلاته.

د– ما روي عن عبادة بن الصامت أنه قال: **قرأ النبي–صلى الله عليه وسلم– في الصبح فثقلت عليه القراءة، فلما انصرف قال:" إني أراكم تقرأون وراء إمامكم، قلنا يا رسول الله: أي والله، قال: فلا تفعلوا إلّا بأمّ القرآن، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**" (5)(6) .

---

(1) صحيح البخاري–كتاب الأذان(10)– باب وجوب القراءة للإمام والمأموم(95)–ص 163 –حديث(757)، وصحيح مسلم–كتاب الصلاة(4)–باب وجوب قراءة الفاتحة....(11)–ص191–حديث(397).

(2) انظر: التفسير الكبير– للرازي– م1–ج1–ص160، وأحكام القرآن– للجصاص– ج1–ص18 وما بعدها، وتفسير القرآن العظيم–لابن كثير– ج1– ص12.

(3) سبق تخريجه ص 158 .

(4) سبق تخريجه ص 158 .

(5) سنن الترمذي–كتاب الصلاة(3)– باب ما جاء في القراءة خلف الإمام(232)–ج2–ص93– حديث(311) ،وقال:هذا حديث حسن.

(6) انظر: التفسير الكبير–للرازي– م1–ج1–ص175 وما بعدها.

2- **قال مالك والحنابلة وعبد الله بن المبارك:** تجب قراءة الفاتحة على المأموم إذا أسَّر الإمـــام، ولا تجب إذا جهر. واستدلوا على أن القراءة تجب على المأموم في الصلاة السرية لما تقدم مـــن الأحاديث التي ذُكِرت في القول الأول. وأمّا استدلالهم على أن القراءة لا تجـــب فـــي الـــصلاة الجهرية فبما يلي:

أ- قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾(1).

ب-ما روي عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليـــه وسلم:" **إنما جُعِلَ الإمام ليؤتمّ به فإذا كبّر فكبروا، وإذا قرأ فأنصتوا**"(2)(3) .

3-**قال أبو حنيفة:** لا تجب على المأموم قراءة الفاتحة، ولا غيرها، لا في الصلاة الجهريـــة ولا في السرية، بل تكره القراءة خلف الإمام بكل حالة، واستدلّ على ذلك بما يلي:

أ- قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾.

ب- وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنـــه قـــال:" **من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة** "(4).

ج-ما روي عن الرسول - صلى الله عليه وسلم- أنه قال:" **إنما جعل الإمام ليؤتمّ به، فإذا كبّر فكبّروا وإذا قرأ فأنصتوا** " (5).

و الظاهر أن الرأي الراجح هو رأي الإمام مالك والحنابلة وابن المبارك بوجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام في الصلاة السرية، وعدم وجوبها في الـــصلاة الجهريـــة؛ وذلـــك لوجاهـــة استدلالهم؛ وتوفيقاً بين دلالة الآية على وجوب الاستماع للقرآن ، ودلالـــة حـــديث عبـــادة بـــن الصامت على وجوب القراءة في السر، وعدم وجود مسوِّغ للإنصات في الصلاة السرية . لكـــن الباحث يرى أن الأحوط قراءة الفاتحة مطلقاً؛ وذلك للحديث : " **لا صلاة لمن لا يقـــرأ بفاتحـــة الكتاب** " . وهو دليل واضح على وجوب قراءة الفاتحة في الـــصلاة ســـواء علـــى الإمـــام أم المأموم، في الصلاة الجهرية أم السرية . فالأحوط قراءتها في الجهرية والسرية للإمام والمأموم. والله تعالى أعلم.

---

(1) سورة الأعراف -الآية(204).

(2) صحيح البخاري-كتاب الصلاة(8)-باب الصلاة في السُّطوح والمنبر والخشب(18)-ص 95-حديث(378)، وصحيح مسلم-كتاب الصلاة(4)-باب التشهد في الصلاة(16)-ص 195 -حديث(404).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم- لابن كثير-ج1-ص12، والجامع لأحكام القرآن-للقرطبي-ج1-ص118 وما بعدها، والتفسير الكبير-للرازي-م1-ج1-ص175.

(4) مسند أحمد-ج11-ص503-حديث (14578)، قال حمزة الزين في تخريجه للمسند: إسناده صحيح.

(5) انظر: التفسير الكبير- للرازي-م1-ج1-ص175.

المسألة الثالثة: حكم من فاتته سورة الفاتحة وأدرك الإمامَ راكعاً:

اتفق الفقهاء على أن المأموم إذا فاتته قراءة سورة الفاتحة، وأدرك الإمام راكعاً، فإنه يحمل عنه القراءة؛ لإجماعهم على سقوط القراءة عنه بركوع الإمام (1). وهذه أقوال الفقهاء في هذه المسألة وذلك للبيان والتوضيح:

1-**قال الأحناف:** إذا أدرك المأمومُ الإمامَ راكعاً تحسب له هذه الركعة، وإن أدركه بعد الركوع لا تحسب الركعة.

2-قال المالكية: إذا أدرك المأموم ركوع الإمام فمكَّن من ركبتيه قبل أن يرفع الإمام رأسه من الركوع فقد أدرك الركعة.

3-قال الحنابلة: لا يكون المأموم مدركاً للركعة إلا إذا ركع مع الإمام قبل رفع رأسه من الركوع، غير شاكّ في إدراك الإمام راكعاً، ولو لم يدرك معه الطمأنينة إذا اطمأن هو، ثم لحق إمامه، لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم:" **إذا جئتم إلى الصلاة، ونحن سجود، فاسجدوا، ولا تعدوها شيئاً، ومن أدرك الركوع فقد أدرك الركعة**"(2) .

4-قال الشافعية: إن أدرك المأموم مع الإمام مقدار الركوع الجائز بأن أدركه راكعاً واطمأنّ معه، فقد أدرك الركعة، وإن لم يدرك ذلك أو أدركه في ركوع زائد أوفي الثاني من صلاة الكسوفَيْن لم يدرك الركعة، لما رواه أبو هريرة -رضي الله عن- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:" **من أدرك ركعةً من الصلاة فقد أدرك الصلاة**"(3)(4) .

المسألة الرابعة: حكم قراءة الفاتحة في كل ركعة في الصلاة:

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على آراء عدة:

1- **قال الشافعي وأحمد وقول للإمام مالك:** إن قراءة الفاتحة تتعيّن في كل ركعة، فإن تركها في ركعة بطلت صلاته، وهذا الرأي قال به أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود- رضي الله عنهم. واستدلوا على ذلك بما يلي:

أ- إن الرسول – صلى الله عليه وسلم- **كان يقرأ في كل الركعات فيجب علينا أن نقتدي**

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن -للقرطبي-ج1- ص118.

(2) سنن أبي داود-كتاب الصلاة(2)-باب في الرجل يدرك الإمام ساجداً كيف يصنع -ج1- ص235- حديث(893).صححه الألباني، وذكره في مختصر إرواء العليل ج 1- ص100- حديث (496).

(3) صحيح البخاري-كتاب مواقيت الصلاة(9)-باب من أدرك من الصلاة ركعة(29)- ص131-حديث(580)، وصحيح مسلم-كتاب المساجد ومواضع الصلاة(5)-باب من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة(30)- ص 278-حديث(607).

(4) انظر: الفقه الإسلامي وأدلته- د.وهبة الزحيلي-ج2-ص209-219.

به لقوله تعالى: ﴿ .... **واتَبِعوه لعَلّكم تَهْتَدون** ﴾(1).

ب- إن القراءة في الركعات جميعها أحوط فوجب القول بوجوبها(2).

2- **القول الآخر للإمام مالك:** إنه تتعيّن قراءة الفاتحة في معظم الركعات، ولا تتعيّن في جميعها، فإن كانت الصلاة أربع ركعات كَفَتْ القراءة في ثلاث ركعات، وإن كانت مغرباً كَفَتْ في ركعتين، وإن كانت صبحاً وَجَبَتْ القراءة فيهما معاً(3).

3- **قال الحسن البصري وأكثر البصريين:** إنما تتعيّن قراءتها في ركعة واحدة من الصلوات، فإذا قرأها مرة واحدة في الصلاة أجزأه، ولم تكن عليه إعادة أخْذاً بمطلق الحديث:" **لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**"(4)(5) .

4- **قال أبو حنيفة وسفيان الثوري والأوزاعي:** لا تتعيّن قراءة الفاتحة أصلاً، بل لو قرأ بغيرها أجزأه، لقوله تعالى: ﴿...**فاقْرءوا ما تَيَسّرَ منَ القرآنِ** ...﴾(6). وقال أبو حنيفة: إن قراءة أيّة سورة في الركعتين الأوليين واجبة، وهو في الأخيرتين بالخيار إن شاء قرأ، وإن شاء سبَّح، وإن شاء سكت(7).

ويرى الباحث أن الرأي الراجح هو رأي الشافعي وأحمد والقول الأول لمالك وهو أن قراءة الفاتحة تجب في كل ركعة، فمن تركها في ركعة بطلت صلاته. وذلك لحديث :" **لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب** ". فالحديث يدل على أن قراءة الفاتحة واجبة في كل ركعة، وليس في بعض الركعات ، فكما لا ينوب سجود أو ركوع ركعة عن ركعة أخرى، فكذلك لا تنوب قراءة ركعة عن غيرها. والله تعالى أعلم.

المسألة الخامسة: حكم من لم يستطع تعلّم سورة الفاتحة:

اختلف الفقهاء في مَنْ لم يستطع تعلّم سورة الفاتحة على عدة أقوال:

1-**قال الشافعية:** الرجل الذي لا يحسن تمام الفاتحة إما أن يحفظ بعضها، وإمّا أن لا يحفظ شيئاً منها، فإن حفظ بعضها، فإنه يقرأ ذلك البعض وشيئاً آخر من القرآن. وإن لم يحفظ شيئاً من الفاتحة فعندئذ إن حفظ شيئاً من القرآن لزمه قراءة ذلك المحفوظ، وإن لم يحفظ شيئاً من القرآن

---

(1) سورة الأعراف -الآية(158).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن- للقرطبي-ج1-ص119.

(3) انظر: التفسير الكبير- للرازي-م1-ج1-ص177.

(4) سبق تخريجه - ص 158 .

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن -ج1-ص118.

(6) سورة المزمل -الآية(20).

(7) انظر: الفقه الإسلامي وأدلته - د . وهبة الزحيلي -ج1-ص646، والجامع لأحكام القرآن -ج1-ص118.

عندئذ يلزمه أن يأتي بالذكر وهو التكبير والتحميد أو تسبيح أو تهليل أو لا حول ولا قوة إلا بالله، أو أيّ ذكر غير ذلك...(1).

2- **قال أبو حنيفة:** إن لم يستطع الإنسان تعلُّم سورة الفاتحة فلا يلزمه شيء(2). وحجته : أن سورة الفاتحة ليست واجبة في الصلاة، ويجزئ عنها غيرها من القرآن ، فإن كان هذا جائزاً للمستطيع ، فالعاجز عن قراءتها من باب أولى ، ويستحب له شيء من الذكر والتسبيح، وعليه بذل الجهد في تعلم القراءة (3).

3- **قال المالكية:** إن جهل إنسان الفاتحة بكمالها بأن لم يمكنه معرفتها لعدم وجود مُعلِّم أو مصحف أو نحو ذلك... أجزأه بدلها بما يعادل حروفها، من سبع آيات متوالية أو متفَرّقة، فإن عجز عنها أتى بسبعة أنواع من ذكر أو دعاء يتعلّق بالآخرة لا بالدنيا، بحيث لا ينقص عن حروفها. لما رواه أبو داود وغيره **أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً، فعَلِّمني ما يُجْزِئُني منه، فقال: "قل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله"**(4).

فإن لم يحسن شيئاً – قرآناً ولا ذكراً- وقف بقدر الفاتحة إن كان في الصلاة(5).

4- **قال الحنابلة :**إن لم يحسن القراءة لزمه التعلم فإن لم يفعل مع القدرة عليه لم تصّح صلاته، فإن لم يقدر أو خشي فوات الوقت وعرف من الفاتحة آية كررها سبعاً لا يجزئه غير ذلك؛ لأن الآية منها أقرب إليها من غيرها . وكذلك إن أحسن منها أكثر من ذلك كرره بقدره .. فإن عرف بعض آية لم يلزمه تكراره و عدل إلى غيره من الذكر و التسبيح و التحميد ... (6) .

ويرى الباحث أن الرأي الراجح هو رأي الشافعية و المالكية و الحنابلة، وهي آراء متقاربة. وهو أن من لم يحسن قراءة الفاتحة لزمه بذل الجهد في تعلمها، فإن لم يستطع تعلمها، لزمه شيء مما يحفظه من القرآن، فإن لم يحفظ شيئاً من القرآن، أجزأه ذلك بشيء من الذكر أو الدعاء، فإن لم يحسن شيئاً من القرآن أو من الذكر أو الدعاء وقف بقدر قراءة الفاتحة؛ وذلك لقوة حجتهم. والله تعالى أعلم.

---

(1) انظر التفسير الكبير – للرازي – م1-ج1-ص178.

(2) انظر: المرجع السابق نفسه-م1-ج1-ص178.

(3) انظر : الدين الخالص – للشيخ محمود السبكي – ج2-ص143.

(4) سنن أبي داود-كتاب الصلاة(2)-باب ما يجزئ الأمّي والأعجمي من القراءة-ج1-ص219- حديث(832).حسّنه الألباني ، وذكره في مشكاة المصابيح – للبتريزي- ج 1- ص 186- حديث (858).

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن-للقرطبي-ج1-ص126، والفقه الإسلامي وأدلته- د . وهبة الزحيلي- ج 1 – ص 651 ، 652.

(6) انظر : الشرح الكبير – لابني قدامة – ج1-ص 562، 563.

المسألة السادسة: حكم صلاة مَنْ قرأ الفاتحة بغير العربية:

1- **قال جمهور العلماء، منهم المالكية والشافعية والحنابلة:** لا تجزئ صلاة مَنْ قرأ الفاتحة أو غيرها بغير العربية، ولا الإبدال بلفظها لفظاً عربياً آخر سواء أحسن قراءتها بالعربية أو عجز عن قراءتها، وذلك للأدلة التالية:

أ- قوله تعالى:﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾(1)، وقوله تعالى: ﴿... **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾(2).

ب- لأن القرآن معجز بلفظه ومعناه، فإذا غُيِّر خرج عن نظمه فلم يكن قرآناً ولا مثله، وإنما يكون تفسيراً له، والتفسير ليس مثل القرآن المعجز المتحدّى بالإتيان بسورة مثله.

ج- ولأنه خلاف ما أمر الله به، وخلاف ما عُلِمَ عن النبي - صلى الله عليه وسلم، وخلاف إجماع المسلمين(3).

فعلى هذا قراءة الفاتحة في الصلاة بغير العربية لا تصحّ، وتبطل الصلاة.

2- **روي عن أبي حنيفة أنه قال:** تجزئه القراءة بغير العربية وإن أحسن العربية؛ لأن المقصود إصابة المعنى(4).

ويرى الباحث أن الرأي الراجح هو قول الجمهور، وهو عدم جواز قراءة الفاتحة أو غيرها بغير العربية؛ لأنه لو كان جائزاً لكان قد أذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لسلمان الفارسي - رضي الله عنه- في أن يقرأ القرآن بالفارسية، ويصلِّي بها، ولكان قد أذن لصهيب - رضي الله عنه- في أن يقرأ بالرومية، ولبلال -رضي الله عنه- في أن يقرأ بالحبشية. ولقد ثبت عن أبي حنيفة أنه رجع عن القول بجواز القراءة بغير العربية ولم يعمل بقوله السابق أحد مقلِّديه أو من غيرهم(5).

المسألة السابعة: حكم من يلحن بقراءة الفاتحة:

1-قال الشافعية والحنابلة: إنه يلزم المصلي بقراءة الفاتحة مرتبة مشددة غير ملحون فيها لحناً يغيّر المعنى، فإن ترك ترتيبها، أو شدّة منها، أو لحن لحناً يحيل المعنى، مثل: أن يكسر كاف

---

(1) سورة يوسف - الآية(2).

(2) سورة الشعراء -الآية(195).

(3) انظر:الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي- ج 1- ص 126، والتفسير الكبير- للرازي- م 1 - ج 1 - ص171 وما بعدها ؛ والفقه الإسلامي وأدلته - د . وهبة الزحيلي- ج 1 - ص 655 ، وأصول الفقه الإسلامي - د . وهبة الزحيلي ج 1 - ص 422 و ما بعدها .

(4) انظر:الجامع لأحكام القرآن - ج1- ص 126.

(5) انظر:التفسير الكبير - م 1 - ج 1 - ص 173 - 175.

(إيّاك)، أو يضم تاء (أنعمت)، أو يفتح ألف الوصل في (اهدنا)، أو يزيد حرفاً عليها أو ينقص حرفاً منها، فمتى فعل شيئاً من ذلك بطلت قراءته إلا أن يكون عاجزاً عن غير هذا (1).

2- **قال المالكية:** تصح الصلاة بلحن في القراءة ولو بالفاتحة إن لم يتعمد، ويأثم الإمام إن وجد غيره ممن يحسن القراءة، وتصح القراءة بغير تمييز بين ضاد وظاء، كما في لغة بعض العرب الذين يقلبون الضاد ظاءً. ولا تصح القراءة إن تعمد اللحن أو بدّل الحروف بغيرها، ولا يصح الإقتداء به. ولو أبدل صاداً بظاء لم تصح في الأصح قراءته لتلك الكلمة؛ لتغييره النظم، واختلاف المعنى (2).

3- قال ابن كثير: " والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والظاء لقرب مخرجيهما؛ وذلك أن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان، وما يليها من الأضراس، ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا؛ ولأن كلًّا من الحرفين من الحروف المجهورة، ومن الحروف الرخوة ومن الحروف المطبقة، فلهذا كلّه اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميّز ذلك"(3).

ويميل الباحث إلى رأي الشافعية والحنابلة وهو أن اللحن في قراءة الفاتحة يبطل الصلاة إن غيّر المعنى والله تعالى أعلم.

المسألة الثامنة: حكم التأمين للمصلِّي بعد الانتهاء من سورة الفاتحة:

1-**قال أكثر الفقهاء:** إنه يُسنّ للمصلِّي إماماً أو مأموماً أو منفرداً أن يقول آمين بعد الانتهاء من الفاتحة، ودليلهم ما يلي:

أ-ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه سلم- قال:" **إذا أمّنَ الإمام فأمّنوا، فإنه مَنْ وافَقَ تأمينُهُ تأمين الملائكة، غفر له ما تقدَّم من ذنبه** " (4).

ب-ما رواه ابن شهاب الزهري :" **كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يقول: آمين**"(5)(6).

2- قال المالكية: لا يُؤمِّن الإمام، ويُؤمِّن المأموم، واستدلوا بما يلي:

أ-ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قال :" **وإذا قال**

---

(1) انظر: الفقه الإسلامي وأدلته – ج1 – ص650، 651، 654.

(2) انظر: المرجع السابق نفسه – ج1 – ص651.

(3) تفسير القرآن العظيم-لابن كثير-ج1-ص30.

(4) صحيح البخاري-كتب الأذان(10)- باب جهر الإمام بالتأمين(111)-ص167 -حديث(780)، وصحيح مسلم-كتاب الصلاة(4)-باب التسميع والتحميد والتأمين(18)-ص 197-حديث(410).

(5) موطأ مالك-ج1-ص97.

(6) انظر: تفسير القرآن العظيم- ج 1 – ص 31 ، و الجامع لأحكام القرآن- للقرطبي- ج 1 – ص 129.

- يعني الإمام- ولا الضالين فقولوا آمين..."(1).

ب-ما رواه أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلـــــم- قال:"... **وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين يُجِبْكُم الله"**(2)(3).

3- **قال ابن كثير:**" قال أصحابنا: يُستحبُّ التأمين لمن هو خارج الصلاة، ويتأكَّد في حـــــــقِّ المصلِّي، سواء كان منفرداً، أو إماماً، أو مأموماً، وفي جميع الأحوال "(4).

ويرى الباحث أن الرأي الراجح هو رأي أكثر الفقهاء، أنه يُسنّ للمصلِّي منفرداً، أو إمامـــاً، أو مأموماً، أن يقول آمين بعد الانتهاء من الفاتحة. والله تعالى أعلم.

المسألة التاسعة: كيفية التأمين بعد الفاتحة (هل يجهر به أم يسّر)؟

اختلف الفقهاء في كيفية التأمين بعد الفاتحة على عدة أقوال:

1- قال الأحناف والمالكية: يقول المصلّي سواء كان إماماً أم مأموماً أم منفرداً آمين سِـرّاً بعـد الانتهاء من الفاتحة سواء في الصلاة الجهرية أم السرّية. ودليلهم على ذلك: ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن حمّاد عن إبراهيم النخعي قال :" **أربع يخفيهنَّ الإمـــام: بـــسم الله الرحمـــــــن الرحيم، و الاستعاذة ، و آمين وإذا قال سمع الله لمن حمده، قال : ربنا لك الحمد** "(5)(6).

2- قال الشافعية والحنابلـــة: يسرّ بها في الصلاة السرّية، ويجهـــر بهـــا فـــي الـــصـــــــلاة الجهرية، ودليلهم: ما رواه وائل بن حُجْر(7) - رضي الله عنه- أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم **قرأ:**" **غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقال: آمين، يمُدُّ بها صوته** "(8)(9).

---

(1) موطأ مالك-باب ما جاء في التأمين خلف الإمام(13)-ج1-ص 97 ، 98-حديث(253)، وسنن ابن ماجه- كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها(5)- باب إذا قرأ الإمام فأنصتوا(13)-ج1-ص276-حديث(846)، قال محمد عبد الباقي- قال السندي: هذا حديث صححه مسلم، ولا عبرة بتضعيف من ضعَّفه.

(2) صحيح مسلم-كتاب الصلاة(4)- باب التشهد في الصلاة(16)-ص195-حديث(404).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي- ج 1 - ص 129 .

(4) تفسير القرآن العظيم- لابن كثير- ج1-ص31.

(5) مصنف عبد الرزاق - باب ما يخفى الإمام - ج2 - ص 87- أثر (2596).

(6) انظر:الفقه الإسلامي و أدلته - د .وهبة الزحيلي - ج 1 - ص 693 ، و الجامع لأحكام القـرآن - ج1- ص130 .

(7) وائل بن حُجْر : هو أبو هنيدة وائل بن حُجْر بن سعد الحضرمي، صحابي جليل، أحد الأشراف، كان سيد قومه، بايع معاويةَ في الكوفة . انظر:(سير أعلام النبلاء) - لشمس الدين الذهبي- ج2 - ص 572 .

(8) مسند أحمد-ج14-ص282-حديث(18744)،قال حمزة الزين في تخريجه للمسند:إسناده صحيح، وســنن الترمذي-كتاب الصلاة(3)-باب ما جاء في التأمين(184)-ج2-ص23-حديث(248)، وقال: هذا حديث حسن.

(9) انظر : الفقه الإسلامي و أدلته -ج1-ص 693، و تفسير القرآن العظيم - ج 1 - ص 31 .

" **وأضاف الحنابلة،** فإن نسيَ الإمام التأمين أمَّن المأموم، ورفع صوته، ليذكِّر الإمام، فيأتي به؛ لأنه سنة قولية؛ إذا تركها الإمام أتى بها المأموم، وإن أخفاها الإمام جهر بها المأموم، وإن ترك المصلِّي التأمين نسياناً أو عمداً حتى شرع في قراءة السورة لم يأتِ به؛ لأنه سنة فات محلّها" (1).

3- قال بعض الفقهاء: هو مخيّر بين الجهر أو السّر(2).

و يرى الباحث أن الرأي الراجح هو رأي الشافعية و الحنابلة . بأنه يُسرّ بالتأمين في الصلاة السرّية ، و يجهر به في الصلاة الجهرية . و الله تعالى أعلم .

المسألة العاشرة: أقوال العلماء في اختلافهم في الجهر بالتأمين للمأموم في الصلاة الجهرية:

1- **قال أبو حنيفة ورواية عن مالك والشافعي في المذهب الجديد:** إنْ نَسِيَ الإمامُ التأمين، جهر المأموم به قولاً واحداً، وإن أمَّن الإمام جهراً؛ فإنه لا يجهر المأموم. وقالوا: لأنه ذِكْرٌ من الأذكار فلا يجهر به كسائر أذكار الصلاة(3).

2- **قال أحمد والرواية الأخرى عن مالك والشافعي في المذهب القديم:** إن المأموم يجهر بالتأمين، واستدلوا بحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:" **كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إذا قال: غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: آمين، حتى يسمعها أهل الصفّ الأول فيرتجُّ بها المسجد**"(4) (5).

3- **قال ابن كثير:**" إن كان المسجد صغيراً لم يجهر المأموم؛ لأنهم يسمعون قراءة الإمام، وإن كان كبيراً جهر، لِيبلُغَ التأمين مَنْ في أرجاء المسجد"(6).

ويرى الباحث أن الرأي الراجح هو أنْ يجهر المأموم بالتأمين في الصلاة الجهرية. والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(1) الفقه الإسلامي و أدلته – د. وهبة الزحيلي- ج 1 – ص 693.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن- للقرطبي – ج 1 – ص 129 .

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم- لابن كثير- ج 1 – ص 31 .

(4) سنن ابن ماجة – كتاب إقامة الصلاة و السنة فيها (5) – باب إذا قرأ الإمام فأنصتوا (13) – ج1- ص278-حديث (853) ، قال محمد عبد الباقي : إسناده ضعيف .

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم – ج 1 – ص 31 .

(6) المرجع السابق نفسه- ج1- ص31.

المبحث الثالث

الفوائد واللطائف العامة المستنبطة من السورة

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: الفوائد واللطائف من البسملة.

المطلب الثاني: الفوائد واللطائف من﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

المطلب الثالث: الفوائد واللطائف من ﴿الرَّحْمـــنِ الرَّحِيمِ﴾.

المطلب الرابع: الفوائد واللطائف من ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

المطلب الخامس: الفوائد واللطائف من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

المطلب السادس: الفوائد واللطائف من ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾.

المطلب السابع: الفوائد واللطائف من ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾.

المطلب الثامن: الفوائد واللطائف من﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾.

المطلب التاسع: الفوائد واللطائف الإعجازية في السورة.

المطلب الأول

الفوائد واللطائف من البسملة

1- قيل: في (بسم الله الرحمن الرحيم): إنّ كل حرف هو افتتاح اسم من أسمائه تعالى، فالباء مفتاح اسمه بصير، والسين مفتاح اسمه سميع، والميم مفتاح اسمه مليك، والألف مفتاح اسمه الله، واللام مفتاح اسمه لطيف، والهاء مفتاح اسمه هادي، والراء مفتاح اسمه رازق، والحاء مفتاح اسمه حليم، والنون مفتاح اسمه نور، ومعنى هذا كله دعاء الله تعالى عند افتتاح كلّ شيء(1).

2- ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾"افتتح الله بهذه الآية سورة الفاتحة وكل سورة من سور القرآن ما عدا سورة التوبة، ليرشد المسلمين إلى أن يبدءوا أعمالهم وأقوالهم ببسم الله الرحمن الرحيم، التماساً لمعونته وتوفيقه، ومخالفةً للوثنيين الذين يبدءون أعمالهم بأسماء آلهتهم أو طواغيتهم فيقولون: باسم اللات، أو باسم العزى، أو باسم الشعب أو باسم هبل"(2).

3-رُوي عن عثمان بن عفان أنه سأل رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- عن ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ فقال:" **هو اسم من أسماء الله، وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلّا كما بين سواد العين وبياضها من القرب**"(3).

4- إن بعض عبيد الملك إذا أرادوا شراء شيءٍ من الخيل والبغال وغيره، فإنهم يضعون سمة الملك عليها لئلا يطمع فيها الأعداء، فكأنه تعالى يقول: إن لطاعتك عدوّاً وهو الشيطان، فإذا شرعت في أيِّ عملٍ فاجعل عليه سمتي، وقل: ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ حتى لا يطمع العدوُّ فيه(4).

5- كانت قريش قبل البعثة تكتب في أول كتبها:(باسمك اللهم) وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يكتب مثلهم:(باسمك اللهم) حتى نزل قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾(5) فكتب:(بسم الله) حتى نزل قوله تعالى: ﴿ **قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ** ﴾ (6) فكتب (بسم الله الرحمن) حتى نزل قوله تعالى: ﴿**...إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ**

---

(1) الجامع لأحكام القرآن- للقرطبي-ج1-ص107.

(2) صفوة التفاسير- د. محمد علي الصابوني-ج1- ص23.

(3) المستدرك على الصحيحين- للحاكم -ج1-ص738-حديث(2027)، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(4) انظر: التفسير الكبير-للرازي-م1-ج1-ص141.

(5) سورة هود -الآية(41).

(6) سورة الإسراء -الآية(110).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾. (1) فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم)(2).

6- روي أن نوحاً- عليه السلام لما ركب السفينة قال: ﴿...**بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا** ...﴾(3) . فوجد النجاة بنصف هذه الكلمة، فمن واظب على هذه الكلمة في أعماله طولَ عمره كيف يبقى محروماً من النجاة؟ وأيضاً سليمان عليه السلام حاز على ملك الدنيا بقوله: ﴿...**إِنَّهُ من سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ فالإنسان إذا داوم على هذه الكلمة ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ وهو يعمل بها فاز بملك الدنيا(4).

7- اتفق العلماء على جواز كتابة ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ في أول كل كتاب من كتب العلم والرسائل، فإن كان الكتاب ديوان شعر فَرُوِيَ عن الشعبي أنه قال: أجمعوا ألّا يكتبوا أمام الشعر ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾. وقال الزهري: نصَّت السنة ألّا يكتبوا في الشعر ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾. وذهب إلى كتابتها في كتب الشعرسعيد بن جبير(5) وتابعه على ذلك كثير من المتأخرين، واختاره واستحبّه القرطبي(6).

8- الحكمة في ذكر هذه الأسماء الثلاثة (الله الرحمن الرحيم) أن المخاطبين في القرآن ثلاثة أصناف كما ذكرهم الله في سورة فاطر حيث قال: ﴿... **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ...** ﴾ (7) فقال:" أنا الله للسابقين، الرحمن للمقتصدين، الرحيم للظالمين"(8).

9- من خصائص لفظ الجلالة (الله): أن الأسماء الأخرى يُوصَف بها فنقول: الله الرحمن الرحيم، والله السميع البصير، وغير ذلك...، ولا يُوصَف بهذا الاسم الأسماء الأخرى، فلا يقال مثلاً: القادر الله، ولا الرشيد الله. وتوصف سائر الأسماء بأنها أسماء الله تعالى. يقال: إنها من

---

(1) سورة النمل -الآية(30).

(2) انظر: الطبقات الكبرى-لابن سعد-ج1-ص263.

(3) سورة هود -الآية(41).

(4) انظر: التفسير الكبير-للرازي-م1-ج1-ص141.

(5) سعيد بن جبير: هو أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدي، ثقة عالم فقيه، روى عن عائشة وأبي موسى الأشعري -رضي الله عنهم- مرسلة. قُتل بين يدي الحجاج سنة 95هـ. انظر: (صفوة الصفوة) - لابن الجوزي-ج2-ص44.

(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن-للقرطبي-ج1-ص97.

(7) سورة فاطر -الآية(32).

(8) التفسير الكبير -م 1-ج1-ص142.

أسماء الله، ولا يقال: إنها من أسماء الصبور أو الرحمن أو الرحيم (1).

10- معنى البسملة التي جاءت في القرآن: "أن جميع ما جاء في القرآن من الأحكام والشرائع والأخلاق والآداب والمواعظ- هو لله ، ومن الله. ليس لأحد غيره فيه شيء، وكأنه تعالى- قال: اقرأ يا محمد هذه السورة بسم الله الرحمن الرحيم، أي اقرأها على أنها من الله لا منك، فإنه أنزلها عليك لتهديهم بها إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وكذلك كان النبي - صلى الله عليه وسلم- يقصد من تلاوتها على أمّته أنه يقرأ عليهم هذه السورة باسم الله لا باسمه، أي أنها من الله لا منه، فإنما هو مبلِّغ عنه تبارك وتعالى"(2).

11- ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾"قد تضمّن التعليم لاستفتاح الأمور على التبرك به والتعظيم لله بذكره، وأنه أدب من آداب الدين وشعار للمسلمين، وأنه إقرار بالعبودية، واعتراف بالنعمة التي هي من أَجَلِّ النِعَم" (3).

12- اختلف العلماء في سبب حذف ألف (اسم) من قوله:(بسم الله) وإثباتها في قوله: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾(4) .

فقال الرازي:" إن كلمة (بسم الله) مذكورة في أكثر الأوقات عند أكثر الأعمال، فلأجل التخفيف حذفوا الألف بخلاف سائر المواضع فإن ذكرها قليل "(5). وقال الخليل (6):" إنما حذفت الألف في قوله:(بسم الله) لأنها إنما دخلت بسبب أن الابتداء بالسين الساكنة غير ممكن فلما دخلت الباء على الاسم نابت عن الألف فسقطت في الخط. وإنما لم تسقط في قوله:﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾. لأن الباء لا تنوب عن الألف في هذا الموضع كما في (بسم الله) لأنه يمكن حذف الباء من (اقرأ باسم ربك...) مع بقاء المعنى صحيحاً، فإنك لو قلت:(اقرأ اسم ربك) صَحَّ المعنى، أما لو حذفت الباء من (بسم الله) لم يصحّ المعنى"(7).

---

(1) انظر: النور الأسمي في شرح أسماء الله الحسنى-سليمان محمود-ص21.

(2) تفسير المراغي – لأحمد مصطفى المراغي-ج1-ص28 ، 29.

(3) النكت في إعجاز القرآن – للرمّاني – ص 103 .

(4) سورة العلق -الآية (1).

(5) التفسير الكبير- للرازي-م1-ج1-ص93.

(6) الخليل:هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، صاحب العربية، و مُنشِئ علم العروض، أحد أعلام النحو واللغة، من مؤلفاته : (كتاب العين)، توفي سنة 175هـ . انظر : (سير أعلام النبلاء) –للذهبي – ج7 – ص 429.

(7) التفسير الكبير-م1-ج1-ص93.

وقال القرطبي:" تكتب (بسم الله) بغير ألف استغناءً عنها بباء الإلصاق، لكثرة الاستعمال، بخلاف قوله:(اقرأ باسم ربك..) فإنها لم تحذف لقلة الاستعمال"(1).

13- قدَّم اسم الله الذي هو (الله) على اسميه (الرحمن الرحيم):" لأن هذا الاسم اسم الله الأعظم هو الاسم الجامع لكل معاني الأسماء الحسنى، فإنك إذا دعوت الله بالرحمن فقد وصفته بالرحمة، وما وصفتَه بالقهر، وإذا دعوته بالعليم فقد وصفتَه بالعلم، وما وصفتَه بالقدرة، وأمّا إذا قلت:(يا الله) تجيبك جميع الأسماء، كأنك قلت يا رحيم يا رحمن يا كريم إلى آخر الأسماء"(2). فهذا الاسم (الله) هو أكبر أسمائه – تعالى- وأجمعها.

14- وقدّم الرحمن على الرحيم؛" لأن لفظ (الله) اسم خاص بالباري تعالى- لا يُسمَّى به غيره لا منفرداً ولا مضافاً، وأمّا (الرحيم) فقد يوصف به غيره منفرداً فأخّره، و(الرحمن) يوصف به غيره مضافاً، ولا يوصف به منفرداً إلّا الله – تعالى- فوسّطه"(3). ويقول الرازي:" لأن الكبير العظيم لا يطلب منه الشيء الحقير اليسير. روي أن بعضهم ذهب إلى بعض الأكابر فقال: جئتك لمهمٍّ يسير، فقال: اطلب للمهم اليسير رجلاً يسيراً. كأنه – تعالى- يقول: لو اقتصرت على ذكر (الرحمن) لاحتشمت عني، ولتعذّر عليك سؤال الأمور اليسيرة، ولكن كما عَلِمْتَنِي رحماناً تطلب مني الأمور العظيمة فأنا أيضاً رحيم، فاطلب مني الأمور اليسيرة"(4).

15- لهذه اللفظة: ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ سرٌّ عظيم من أسرار الله – سبحانه، مما يجعلها شعاراً لكل مسلم في جميع أمور حياته، يتقرّب بها إلى الله تعالى، ويحتمي بها من كل سوء وشرّ؛ فهذه اللفظة العظيمة تضمّنت ثلاثة أسماء من أسمائه -تعالى- العظيمة (الله – الرحمن-الرحيم)، لهذا حثنا الرسول – صلى الله عليه وسلم- أن نقولها في جميع أمورنا الدينية والدنيوية، في أول كل قولٍ وعملٍ(5).

فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" **كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر**"(6).

16- يطلق على قول: ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ بسملة، وهو شبيه بباب النحت في النسب، أي أنهم يأخذون اسمين فينحتون منهما لفظاً واحداً، فينسبون إليه كقولهم: حضرميّ وعبقسيّ

---

(1) الجامع لأحكام القرآن- للقرطبي-ج1-ص99.

(2) النور الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى-سليمان محمود-ص21.

(3) الجامع لأحكام القرآن -ج1-ص106.

(4) التفسير الكبير- للرازي-م1-ج1-ص190.

(5) انظر: المقتطف من عيون التفاسير-لمصطفى المنصوري-ج1-ص12.

(6) الجامع الكبير-للسيوطي-ج5-ص76-حديث(15761) قال الألباني : إسناده ضعيف جداً . حيث ذكره في مختصر إرواء الغليل. – ج 1 – ص 1 – حديث (1).

نسبة إلى حضرموت، وعبد القيس . ومثل: بَسْمَلَ حَوْقَلَ وهَيْلَلَ وحَمْدَلَ أي قال: لا حول ولا قوة إلّا بالله، ولا إله إلّا الله، والحمد لله..(1).

17- رُوي عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- "أنه قال في قوله:﴿ **بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ :(بسم الله) إنه شفاء من كل داء، وعَوْنٌ على كل داء، وأما (الرحمن) فهو عَوْنٌ لكلِّ من آمن به، وهو اسم لم يُسَمّ به غيره، وأما (الرحيم) فهو لمن تاب وآمن وعمل صالحاً"(2).

18- اختلف العلماء في هل الاسم (الله) عين المُسمّى أو غيره، قال ابن كثير: "إن الاسم غير المسمَّى وغير التسمية، وقال: إن كان المراد بالاسم هذا اللفظ الذي هو أصوات متقطعة وحروف مؤلفة فالعلم الضروري حاصل أنه غيرُ المُسَمَّى. وإن كان المراد بالاسم ذات المسمَّى فهذا يكون من باب إيضاح الواضحات وهو عبث، فثبت أن الخوض في هذا البحث على جميع التقديرات يجري مجرى العبث"(3).

والصحيح أن الاسم يراد به المسمّى تارةً، ويراد به اللفظ الدال تارةً أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك.. فهذا المراد به المسمّى نفسه، وإذا قلت: الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحيم من أسماء الله تعالى، ونحو ذلك..، فالاسم هنا هو المراد لا المسمّى(4).

19- كتب أحد العارفين بالله: ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ ، وأوصى أن تُجْعَلَ في كفنه، فقيل له: أي فائدة لك فيه؟ فقال: أقول يوم القيامة:إلهي بعثتَ كتاباً وجعلتَ عنوانه :﴿ **بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ فعاملني بعنوان كتابك"(5).

---

(1) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون-للسمين الحلبي-ج1-ص50.

(2) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي-ج1-ص107.

(3) تفسير القرآن العظيم- لابن كثير-ج1-ص19.

(4) انظر: التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية- د.مروان القيسي-ص55.

(5) التفسير الكبير-للرازي-م1-ج1-ص144.

المطلب الثاني

الفوائد واللطائف من ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

1- إنه تعالى لم يقل:(أحمدُ الله) ولكن قال:(الحمدُ لله)؛ لأن قوله:(الحمد لله) أولى وأبلغ؛ لأنه لو قال:(أحمد الله) فإن ذلك يفيد أن القائل قادرٌ على حمده. أمّا لمّا قال:(الحمد لله) فإن ذلك يفيد أنه -تعالى- كان محموداً قبل حمد الحامدين، وقبل شكر الشاكرين، فهؤلاء سواء حمدوا الله أو لم يحمدوه، فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد بحمده الأزلي، وكلامه الأزلي. وأيضاً قولنا:(الحمد لله) يدل على كونه – تعالى- مستحقاً للحمد ذاته بخلاف:(أحمد الله)، وأيضاً قولنا:(الحمد لله) يفيد أنه -تعالى- محمود بجميع حمد الحامدين، كما لوسألت فلاناً هل لفلان عليك نعمة؟ فإن قال: نعم، فقد حمد الله، ولكن حمداً ضعيفًا، ولو قال في الجواب: بل نعمه وآلائه على كل الخلائق فقد حمده بأكمل المحامد"(1).

2- روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: الحمد لله كلمة كل شاكر، وأن آدم -عليه السلام- حين عطس قال:(الحمد لله). ونوح -عليه السلام- قال: ﴿... **فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ (2)، وإبراهيم -عليه السلام- قال: ﴿ **الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ...**﴾ (3). وأخبر تعالى في قصة داود وسليمان -عليهما السلام- أنهما قالا: ﴿**وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾(4). وأمر اللهُ سيدنا محمداً -صلى الله عليه وسلم- بقوله: ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا...**﴾(5) وقال أهل الجنة: ﴿**...الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ...**﴾(6).. فهي كلمة كل شاكر(7).

3- ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ من رحمته تعالى أنه جعل الشكر له في كلمتين اثنتين هما:(الحمد لله). والعجيب أن الإنسان حين يشكر إنساناً آخر على جميل ومعروف فعله له، يظل هذا الإنسان ساعات وساعات... يعدّ كلمات الشكر والثناء والمدح، ويحذف ويضيف ويأخذ رأي الناس، حتى يصل إلى قصيدة أو خطاب مليء بالثناء والشكر والمدح... ولكن الله -تعالى-

---

(1) انظر: التفسير الكبير – للرازي-م1-ج1-ص179.

(2) سورة المؤمنون -الآية(28).

(3) سورة إبراهيم -الآية(39).

(4) سورة النمل -الآية(15).

(5) سورة الإسراء -الآية(111).

(6) سورة فاطر -الآية(34).

(7) انظر: الجامع لأحكام القرآن- للقرطبي-ج1-ص134.

جلَّت قدرته وعظمته، نِعَمُه لا تُعدُّ ولا تُحْصَى، علَّمنا أن نشكره في كلمتين اثنتين هما:(الحمد لله)(1).

4- قال ابن تيمية:" ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ بدأ بهذين الاسمين: الله، والرب. و(الله) هو الإله المعبود، فهذا الاسم أحقّ بالعبادة؛ ولهذا يقال: الله أكبر، الحمد لله، سبحان الله، لا إله إلّا الله، و(الرب) هو المربي الخالق الرازق..، وهذا الاسم أحقّ باسم الاستعانة والمسألة.

ولهذا يقال: ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ...** ﴾(2). ﴿**...رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (3)... فعامة المسألة والاستعانة المشروعة باسم الرب. فالاسم الأول يتضمّن غاية العبد، ومصيره ومنتهاه، وما خلق له وما فيه صلاحه وكماله، وهو عبادة الله، والاسم الثاني يتضمّن خلق العبد ومبتداه، وهو أنه يربّه ويتولاه، مع أن الثاني يدخل في الأول دخول الربوبية في الألوهية..."(4).

5- ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ "إن تربيته- تعالى - لخلقه نوعان: عامة وخاصة. فالعامة: هي خلقه للخلق، ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا. والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربّيهم بالإيمان، ويوفّقهم له"(5). ويثبّتهم عليه.

6- افتتح الله هذه السورة بالحمد، ولم يفتتحها بالتسبيح؛ لأن التسبيح داخلٌ في الحمد دون العكس، فالتسبيح يدلُّ على كونه -سبحانه وتعالى- منزّهاً في ذاته وصفاته عن العيوب والنقائص، والحمد يشير إلى كونه -تعالى- مُحْسِناً إلى العباد. فالتسبيح يكون بالصفات السلبية فحسب، والحمد يكون بالصفات السلبية وبالصفات الثبوتية. فالحمد أعمّ من التسبيح، فالله تعالى افتتح السورة بالحمد؛ لأنه لشموله وكلّيته أفضل بحال القرآن(6).

7- ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ لم يقل:(خالق العالمين) أو(فاطر العالمين)؛ لأن الخلق عبارة عن التقدير، وهو في حقّ الله تعالى- عبارة عن علمه النافذ في جميع مخلوقاته، وأما كونه تعالى (فاطراً)، فهو عبارة عن الإيجاد والإبداع. فكونه- تعالى- خالقاً يُشيرُ إلى صفة

---

(1) تفسير الشعرواي- محمد متولي الشعراوي-ج1-ص 55(بتصرف).

(2) سورة نوح -الآية(28).

(3) سورة الأعراف -الآية(23).

(4) التفسير الكامل-لابن تيمية-ج1-ص9 ،10.

(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان-للسعدي-ج1-ص2.

(6) انظر: روح المعاني-للألوسي-ج1-ص36 وما بعدها.

العلم، وكونه – تعالى– فاطراً يشير إلى صفة القدرة، وكونه – تعالى– ربَّاً فهو يشتمل على الأمرين معاً، فكان ذلك أكمل(1).

8 –جاءت آية الحمد ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ بعد البسملة؛ لأن البسملة اشتملت على أعظم النعم وهي الرحمة، فناسب ذلك أن يقدِّم الشكر لله على تلك النعمة. ومن أفضال الحمد أن الله – تعالى– جعله ذِكْراً يثيب عليه، مع أن النعمة منه هو تعالى(2).

9– ذكر الجمع هنا (العالمين)" إشارةً إلى أن كل عاقل، أو العاقلين بشكل عام فيهم العوالم كلها، فيهم دقة التكوين، وجمال التصوير، وروعة الخلق، من عقل يدبر، ولسان وجوارح تتحرك، فجمع الله – تعالى– في عالم العقلاء كل العوالم الأخرى في إحكام الصنع وبديع التكوين"(3).

---

(1) انظر: التفسير الكبير– للرازي–م1–ج12–ص121.

(2) في رحاب التفسير– للشيخ كشك–ج1–ص60.

(3) زهرة التفاسير–محمد أبو زهرة–ج1–ص59.

المطلب الثالث

الفوائد واللطائف من﴿الرَّحْمـــنِ الرَّحِيمِ﴾

1- وصف تعالى – نفسه بكونه رحماناً رحيماً، ثم إنه أعطى مريم عليها السلام – رحمة واحدة حيث قال : ﴿ ... **وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا** ﴾ (1). فتلك الرحمة صارت سبباً لنجاتها من توبيخ الكفار الفجار، ثم إنا نَصِفُه كلَّ يوم أربعاً وثلاثين مرة أنه رحمن وأنه رحيم؛ وذلك لأن الصلوات سبع عشرة ركعة، ويقرأ لفظ (الرحمن الرحيم) في كل ركعة مرتين، مرة في :﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ ومرة في قوله : ﴿**الرَّحْمـــنِ الرَّحِيمِ**﴾، فلما صار ذكر الرحمة مرة واحدة سبباً لخلاص مريم- عليها السلام – من المكروهات ، أفلا يصير ذكر الرحمة هذه المرات الكثيرة طول العمر سبباً لنجاة المسلمين من النار والعار والدّمار" (2).

2- من خصائص هذه الاسم (الرحيم) أنه ذُكِر مقارناً لاسمه تعالى (الغفور) ثلاثاً وسبعين مرة، وورد مع اسمه تعالى (التواب) تسع مرات، ومع اسمه (الرؤوف) ثماني مرات، ومع اسمه (الرحمن) أربع مرات غير ما ذكر في البسملة، ومع اسمه (الودود) مرة، ومع اسمه (البّر) مرة، ومع اسمه (الربّ) مرة (3).

3- قال أكثر العلماء : أن اسم (الرحمن) مختصٌّ بالله تعالى وحده، لا يجوز أن يُسَمَّى به غيره، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ **قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ...** ﴾(4). فاسم (الرحمن) ساوى اسم (الله)، وهذا الاسم لا يشركه فيه غيره. وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ** ﴾(5). فَبَيَّنت الآية أن (الرحمن) هو المستحق للعبادة. و لقد نعتتْ العربُ مسيلمة الكذاب – لعنه الله – برحمان اليمامة حتى ألزمه الله بعد ذلك نَعْت الكذاب، فصار هذا الوصف لمسيلمة عَلَماً يُعْرَفُ به(6).

4- إن معنى ﴿**الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ في البسملة يختلف عنها في ﴿**الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ التي في سورة الفاتحة. ﴿**الرَّحْمـــنِ الرَّحِيمِ**﴾ في البسملة تذكّرنا برحمة الله –سبحانه وتعالى – وغفرانه حتى لا نستحي ولا نهاب أن نستعين باسم الله إن كنا قد فعلنا معصية، فالله يريد ألا تمنعنا المعصية عن أن ندخل إلى كل عمل باسم الله ،فعلَّمنا أن نقول :﴿ **بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ**

---

(1) سورة مريم – الآية (21).

(2) التفسير الكبير – للرازي – م1 – ج1- ص 189-190.

(3) انظر : النور الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى – سليمان محمود – ص36.

(4) سورة الإسراء – الآية (110).

(5) سورة الزخرف – الآية (45).

(6) انظر : الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج1 – ص106.

الرَّحِيمِ ﴾لكي نعرف أن الباب مفتوح للاستعانة به تعالى و لكن ﴿**الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ التي في الفاتحة فهي مقترنة بربّ العالمين، فالله رب للمؤمن وللكافر، فهي رحمة الله في ربوبيته لخلقه، فالله ربّ الجميع مَنْ أطاعهُ ومَنْ عصاه، فالله تعالى يمهل العاصي ويفتح أبواب التوبة لكل من يلجأ إليه، وهذه رحمة (1).

5- هذان الاسمان الكريمان (الرحمن الرحيم) لهما إيحاءٌ قويٌّ في نفس المؤمن، فضلاً عمّا توجبه عليه عبوديته لله- تعالى- أن يكون له حظٌّ من أسمائه تعالى، فحظّ المؤمن من اسم (الرحمن) أن يرحم عبادَ الله الغافلين، فيصرفهم ويردهم عن غيّهم وغفلتهم إلى طاعة الله تعالى،وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة، لا بعين الغلظة والعنف (2)... فقد روى أن بعض الصالحين كان يأخذ مُرِيدِيهِ إلى المقابر، ويبحث عن قبور الظالمين، ويدعو لهم بالرحمة ويقول: هؤلاء هم المستحقون للإحسان الذين نسيهم الناس، ودعوا عليهم لسوء فعلهم(3).وحظ العبد من اسم (الرحيم) ألاّ يدع فاقة لمحتاج إلا ويسدّها بقدر طاقته ووسعه، ويحاول أن يساعد الفقراء والمساكين والمحتاجين بكل الأساليب، بالتصدق عليهم أو بالدعاء لهم (4).

6- " لقد اشتهر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته ، قال : "**ربّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**" (5) فظهر أنه يوم القيامة يقول :أمتي، أمتي ، فهذا كرم عظيم منه صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، وإنما حصل فيه هذا الكرم، وهذا الإحسان ، لكونه رحمة كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾(6) . فإذا كان أثر الرحمة الواحدة هذا المبلغ، فكيف كرم من هو رحمن رحيم ؟!" (7) .

7-جاء عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه – أنه كان في غاية الزهد والورع والتقوى .. ويُضرب به المثل في العدل والتقشف في الدنيا، وكان من قوله: وددت أن أخرج من الدنيا كما دخلت، لا أجر لي، ولا وزر عليَّ. ولمّا مات عمر- رضي الله عنه - رآه العباسُ عمّ النبي

---

(1) انظر: تفسير الشعرواي – محمد متولي الشعراوي- ج1 – ص52 – 55.

(2) انظر: الإيمان والحياة – د. يوسف القرضاوي – ص287.

(3) انظر: النور الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى – سليمان محمود – ص38.

(4) انظر : الإيمان والحياة – ص288.

(5) صحيح البخاري – كتاب استتابة المرتدين (89) – باب إذا عَرَّض الذمي و غيره بسبّ النبي (5) – ص1390 – حديث (6929) ، و صحيح مسلم – كتاب الجهاد و السير (32)- باب غزوة أحد (37) – ص 910- حديث (1792) .

(6) سورة الأنبياء – الآية (107).

(7) التفسير الكبير – للرازي – م1 – ج1 – ص191.

صلى الله عليه وسلم في المنام ،فقال له : وكيف وجدت الأمر يا أمير المؤمنين؟ فقال : كاد عرشي يهوي بي لولا أني وجدت ربّاً رحيماً (1).

8- المؤمن يعتقد أنه دائماً فقير إلى رحمة الله تعالى، فبهذه الرحمة الإلهية يعيش في الدنيا، ويفوز في الآخرة، ولكنه يوقن أن رحمة الله لا تنال إلا برحمة الناس(2).

ولقد روي أن زين العابدين علي بن الحسين(3) رضي الله عنه كان في طريقه إلى المسجد فسبَّه رجلٌ، فقصده غلمانُهُ وخَدَمُهُ ليضربوا هذا الرجل، فنهاهم زين العابدين وكفَّهم عنه رحمة به، ثم قال: يا هذا ! أنا أكثر مما تقول، وما لا تعرفه عني أكثر مما تعرفه، فإن كان لك حاجة في ذلك ذكرته، فخجل الرجل، واستحيا، فخلع عليه زين العابدين قميصه، وأمر له بألف درهم، فهذا العفو، وهذا الإحسان لم يكونا إلا مظهراً من مظاهر الرحمة التي في قلب حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم (4).

9- قدّم سبحانه وتعالى – (الرحمن) على (الرحيم) مع أن (الرحمن) أبلغ من (الرحيم)، ومن عادة العرب في صفات المدح الترقِّي في الأدنى إلى الأعلى؛ وذلك لأن (الرحمن) اسم خاص بالله تعالى – كلفظ (الله)؛ ولأنه لما قال: (الرحمن) تناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها، وأردفه (الرحيم) كتتمة، وليتناول ما دَقَّ منها ولطف، وما هو من جلائل النعم وعظائمها، وأصولها أحقّ بالتقديم مما يدلُّ على دقائقها وفروعها، وإفراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة (5) .

10-ذكر الله تعالى – اسميه (الرحمن الرحيم) في السورة مرة ثانية، ليبيّن لعباده أن ربوبيته رحمة وإحسان، ليقبلوا على طاعة الله وهم مطمئنو النفوس، منشرحو الصدور، لا ربوبية جبروت وقهر لهم (6) ." فإذا فَهِمَ أحدٌ من عباده من معنى الربّ الجبروت والقهر، فليرجع إلى صوابه، وليعلم بأن ربوبيته عز وجل ربوبية رحمة وإحسان فهو الرب الرحمن الرحيم " (7) .

---

(1) انظر: من وصايا الرسول – طه عفيفي – ج1 – ص252.

(2) الإيمان والحياة – د. يوسف القرضاوي – ص289.

(3) زين العابدين : هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، زين العابدين، ثقة عابد فقيه مشهور، كان يكنى أبا الحسين ، وقيل : أبا محمد توفي بالمدينة سنة 94هـ . انظر : (صفوة الصفوة) – لابن الجوزي – ج1-ص353 .

(4) منهاج المسلم – لأبي بكر الجزائري – ص151.

(5)انظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة – محمود صافي – ج1 – ص22.

(6) تفسير المراغي- لأحمد مصطفى المراغي – ج1 – ص31.

(7) أم القرآن وخير ثلاث سور أنزلت – محمد الصواف – ص37 ، 38(باختصار) .

11- "جاء الجمع بين (الرحمن) و(الرحيم) لعدة أمور منها:

أ- تأكيد الثناء على الله تعالى بصفة رحمته وآثارها في عباده.

ب- الاسترحام والإشارة إلى الطمع الشديد بإنعام الله وإكرامه وإحسانه .. وهذا ما يُشْعِرُ به جميع أسماء الله الحسنى المشتقة من الرحمة، قبل إعلان أنه مالك يوم الدين، اليوم الذي يحتاج فيه العباد إلى عفو الله ورحمته..

ج- الإشارة إلى رحمته تعالى – بإرسال خاتم المرسلين الذي أرسله رحمةً للعالمين، وإلى رحمته بإنزال القرآن الذي هو من مظاهر رحمته بهم...

د- الإشارة إلى شمول رحمته جلائل النِّعَم ودقائقها التي يتفضل بها على عباده في الدنيا والآخرة.

هـ – صيغة (الرحمن) تستعمل غالباً في القرآن للدلالة على شمول رحمته تعالى – مؤمنين وكافرين، وصيغة (الرحيم) تستعمل غالباً للدلالة على خصوص رحمته تعالى بالمؤمنين . والجمع بينهما على طريقة التخصيص بعد التعميم" (1).

(1) معارج التفكر ودقائق التدبر – د .عبد الرحمن حبنكة الميداني – ج1 – ص294 ، 295 (باختصار).

المطلب الرابع

الفوائد واللطائف من﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

1- ذكر الله – تعالى – في هذه السورة من أسماء نفسه خمسة: الله، والرب، والرحمن، والرحيم، والمالك. والسبب فيه كأنه –تعالى– يقول:"خلقتك أوّلاً فأنا إله، ثم ربَّيتك بوجوه النعم فأنا ربّ، ثم عصيت فسترت عليك فأنا رحمن، ثم تبت فغفرت لك فأنا رحيم، ثم لابد من إيصال الجزاء إليك فأنا مالك يوم الدين"(1).

2- من لطائف ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ "أن مخالفة المَلِك تئول إلى خراب العالم، وفناء الخلق، فكيف مخالفة ملك المُلوك كما قال الله – تعالى– في سورة مريم: ﴿ **تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ...** ﴾ (2). والطاعة سبب المصالح كما قال تعالى: ﴿**...نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾ (3). فعلى الرّعية مطاوعة الملوك، وعلى الملوك مطاوعة ملك الملوك لينتظم مصالح العالم"(4).

3- ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ : يدل على أن من رحمته– تعالى– وعدله أن يحصل بعد الدنيا يوم آخر يُمَيَّزُ فيه بين المحسن والمسيء، ويُفرَّقُ بين المطيع والعاصي، ويُنْصَفُ فيه للمظلومين من الظالمين. "ولو لم يحصل هذا اليوم (يوم الدين) لقدح ذلك في كونه تعالى رحماناً رحيماً، لهذا قال تعالى: ﴿ **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى** ﴾ (5)"(6).

4- من لطائف ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ أنها ميزان يقيس بها الإنسان نفسه وأعماله. فقد روي أن أحد الناس دخل على رجلٍ من الصالحين، وسأله: أريد أن أعرف، هل أنا من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة؟ فقال له الرجل الصالح: إن الله أرحم بعباده، فلم يجعل موازينهم في أيدي غيرهم، فميزان كل إنسان في يد نفسه، فميزانك في يدك تستطيع أن تعرف هل أنت من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة. فقال الرجل: كيف ذلك؟ فأجابه العبد الصالح: إذا دخل عليك من يعطيك مالاً فأنت من أهل الدنيا، وإذا دخل عليك من يأخذ منك صدقة فأنت من أهل الآخرة. فالإنسان يفرح بمن يقدِّم له ما يحبه من مالٍ وغيره. فالذي يعطيني مالاً فإنه يعطيني الدنيا، والذي يأخذ مني مالاً أو صدقة فإنه يعطيني الآخرة، فإن كنت من أهل الآخرة فافرح بمن يأخذ منك صدقة أكثر من

---

(1) التفسير الكبير–للرازي–م1–ج1–ص196.

(2) سورة مريم –الآية(90).

(3) سورة طه –الآية(132).

(4) تنوير الأذهان–للبروسوي–ج1–ص 15 ، 16 .

(5) سورة النجم –الآية(31).

(6) انظر: التفسير الكبير–م1–ج1–ص192.

فرحك بمن يقدِّم لك مالاً(1).

5- جاء قوله: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ بعد قوله: ﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ ليكون كترهيب بعد ترغيب، ولِيُعْلِمَنَا أنه - تعالى- ربَّى عباده بكلا النوعين من التربية (ترهيب وترغيب، وعد ووعيد)، فهو تعالى رحيم بهم، ومجازٍ لهم على أعمالهم(2)، فـ ﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ وعدٌ يبعث الأمل والطمأنينة في قلوب العباد لِيُبَدِّدَ القنوط واليأس من رحمة الله. و﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ وعيد يبعث المهابة والخوف في قلوب العباد، ليتوبوا إلى الله تعالى، وليكونوا على حَذَرٍ من هذا اليوم العظيم(3). كما قال تعالى: ﴿ **نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ،وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ**﴾ (4).

6-خَصَّصَ يوم الدين، والله مالك يوم الدين وغيره؛ لأن في الدنيا كانوا منازعين في الملك، مثل: فرعون، والنمرود، وغيرهم...، وفي يوم الدين لا ينازعه -تعالى- أحدٌ في ملكه، فالكلُّ خاضعون له -تعالى-، كما قال: ﴿**...لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ...**﴾(5).فأجاب جميع الخلق: ﴿**... لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ (6)؛ فلذلك قال: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ أي في ذلك اليوم لا يكون مالك ولا قاضٍ ولا مُجازٍ غيره- تعالى(7). وقيل:" للتنبيه على عظم هذا اليوم بما يقع فيه من الأمور العظام، والأهوال الجسام، من قيامهم فيه لله-تعالى-والفصل بين المحسن والمسيء، واستقرارهما فيما وعدهما الله - تعالى- به، أو على أنه يوم يرجع فيه إلى الله جميع ما ملَّكَهُ لعباده، وخوَّلهم فيه، ويزول فيه ملك كل مالك"(8).

7- في قوله ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ يوجد قراءتان متواترتان(9)، والصحيح أنه لا تفاضل ولا ترجيح بينهما، فكلتاهما متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم. لكن يمكن القول بأن لكل قراءة معنى..، وكل قراءة تستدعي أموراً ربما لا تستدعيها القراءة الأخرى. فقد قيل: إن المالك قد يكون ملكاً، وقد لا يكون، والملك قد يكون مالكاً، وقد لا يكون، وتصرّف المالك غير تصرّف الملك(10).

---

(1) انظر: تفسير الشعراوي- محمد متولي الشعراوي-ج1-ص72.

(2) انظر: في رحاب التفسير-للشيخ كشك-م1-ج1- ص65 ،66.

(3) انظر: تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي-ج1-ص32.

(4) سورة الحجر -الآيتان(49 ،50).

(5) سورة غافر -الآية(16).

(6) سورة غافر -الآية(16).

(7) انظر: تنوير الأذهان-للبروسوي-ج1-ص15.

(8) البحر المحيط-لأبي حيان-ج1-ص139.

(9) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف العاشر (مَالِك) بإثبات الألف، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحمزة وابن عامر وأبو جعفر (مَلِك) بحذف الألف . انظر: (البدور الزاهرة)- عبد الفتاح القاضي- ص17.

(10) انظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل-د.فاضل السامرَّائي-ص32.

ومن الفروق التي ذُكِرَت بينهما:

أ- إنَّ كل مَلِك مالك، وليس كل مالك مَلِكاً.

ب- قيل: إنْ وُصِفَ الله -سبحانه وتعالى - بأنه مَلِكٌ كان ذلك من صفات ذاته، وإن وُصِفَ بأنه مالك كان ذلك من صفات فعله.

ج- وقيل: (مالك) أبلغ من (ملك)؛ لأنه يكون مالكاً للناس وغيرهم، إذ يقال: مالك الجن والإنس والطير..؛ ولأنك تقول: مالك المُلْكِ، ولا تقول: مَلِك المُلْكِ(1).

ويميل الباحث إلى ما ذكره ابن مجاهد في كتابه؛ أن (مالك يوم الدين) إنما هو ذلك اليوم بعينه، و(ملك يوم الدين) ملك ذلك اليوم بما فيه. أي أن كلمة (ملك) أعمّ من كلمة (مالك)، فالملك يملك كل شيء، والمالك يملك شيئاً معيناً(2).

8- قال: (يوم الدين) ولم يقل:(يوم القيامة)؛ وذلك:" مراعاة للفاصلة، وترجيحاً للعموم، فإن الدين بمعنى الجزاء يشمل جميع أحوال القيامة من ابتداء النشور إلى السرمد الدائم، بل يكاد يتناول النشأة الأولى بأسرها ،على أن يوم القيامة لا يفهم منه الجزاء مثل يوم الدين"(3).

9- قال (مالك يوم الدين) ولم يقل (مالك الدين) ذلك:" إمّا للتعظيم، وإمّا لأن المُلْك والمِلْكَ الحاصلين في الدنيا لبعض الناس، بحسب الظاهر يزولان، وينسلخ الخلق عنها انسلاخاً ظاهراً في الآخرة : ﴿ **...وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا** ﴾ (4)، وينفرد سبحانه في ذلك اليوم بهما إنفراداً لا خَفاء فيه؛ ولذلك قال سبحانه: ﴿ **يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ** ﴾ (5)(6)".

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن-للقرطبي-ج1-ص140 ،141.

(2) انظر: كتاب السبعة-لابن مجاهد-ص104.

(3) روح المعاني-للألوسي-ج1-ص85.

(4) سورة مريم -الآية(95) .

(5) سورة الانفطار -الآية(19).

(6) روح المعاني-ج1-ص85.

المطلب الخامس

الفوائد واللطائف من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

1- قوله: (إياك نعبد) "كأن العبد يقول: إلهي ما بَلَغَتْ عبادتي إلى حيث أستحق أن أذكرها وحدها؛ لأنها ممزوجة بجهات التقصير، ولكنها أخلطها بعبادات جميع العابدين، وأذكر الكُلَّ بعبارة واحدة، وأقول:(إياك نعبد)"(1).

2- ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ في الجمع بين العبادة والاستعانة افتخارٌ وافتقار، فالافتخار بكونه عبداً عابداً لله – تعالى- وحده، والافتقار إلى معونته وتوفيقه وتثبيته(2).

3- ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ الناس في هذين الأَساسَيْن :(العبادة والاستعانة) أربعة أقسام:

القسم الأول: وهو أجلّها وأفضلها: أهل العبادة والاستعانة بالله عليها. فهؤلاء القوم عبدوا الله وحده، واستعانوا به فأعانهم الله على عبادته،وقد قال الله عنهم: ﴿**... حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** ﴾ (3).

القسم الثاني: قومٌ لم يعبدوا الله، ولم يستعينوا به. فهؤلاء قال الله عنهم: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ (4).

القسم الثالث: قوم عبدوا الله ولم يستعينوا به تعالى.

القسم الرابع: قومٌ استعانوا به- تعالى- فأعانهم، لكنهم لم يعبدوه(5)، وهؤلاء قال الله عنهم: ﴿**وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ...** ﴾ (6).

4- ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ العبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذلّ والخضوع. فمن أحببته ولم تكن خاضعاً له، لم تكن عابداً له، ومن خضعت له بلا محبّة، لم تكن عابداً له، حتى تكون محبّاً خاضعاً. والاستعانة تجمع أصلين: الثقة بالله، والاعتماد عليه، فمن وَثِقْتَ به ولم تكن معتمداً عليه، لم تكن مستعيناً به، ومن اعتمدت عليه، ولم تكن واثقاً به لم تكن مستعيناً به، حتى تكون واثقاً معتمداً(7).

---

(1) التفسير الكبير-للرازي-م1-ج1-ص201.

(2) انظر: تنوير الأذهان-للبروسوي-ج1-ص16 ،17.

(3) سورة الحجرات -الآية(7).

(4) سورة طه -الآية(124).

(5) انظر: التفسير الكامل-لابن تيمية-ج1-ص34.

(6) سورة الزمر -الآية(8).

(7) انظر: مدارج السالكين- لابن قيم الجوزية-ج1-ص75 ،76 .

5- اختلف العلماء في معنى النون في قوله:(نعبد ونستعين). فقد أجاب بعض العلماء أن المراد من ذلك هو :" الإخبار عن جنس العباد، والمصلِّي فردٌ منهم، ولاسيما إن كان في جماعة أو إمامهم فأخبر عن نفسه، وعن إخوانه من المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لأجلها، وتَوَسَّط لهم بخير. ومنهم من قال: يجوز أن تكون للتعظيم، كأن العبد قيل له: إذا كنت داخل العبادة فأنت شريف وجاهك عريض فقل: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ ، وإن كنت خارج العبادة فلا تقل: نحن ولا فعلنا، ولو كنت في مائة ألف أو ألف ألف لاحتياج الجميع إلى الله تعالى وفقرهم إليه.

ومنهم من قال:(إياك نعبد) ألطف في التواضع من (إياك عبدنا) لما في الثاني من تعظيم نفسه من جعله نفسه وحده أهلاً لعبادة الله -تعالى-الذي لا يستطيع أحد أن يعبده حقَّ عبادته ولا يثني عليه كما يليق به"(1).

6- قوله تعالى:(وإياك نستعين) بعد (إياك نعبد) فيه إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يُستعان إلا بِمَنْ يستحقّ العبادة وهو الله تعالى؛ لأن غيره ليس بيده الأمر. وفيه -أيضاً- إرشاد للإنسان إلى أنه يجب عليه أن يطلب المعونة منه - تعالى- على عمل له فيه كسب...، وفيه -أيضاً- إشارة إلى أن الإنسان مهما أوتي من حصافة الرأي، وحسن التدبير، لا يستغني عن العون الإلهي(2).

7- وردت الصيغة بلفظ الجمع (نعبد ونستعين) ولم يقل: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ بصيغة المفرد؛ " للاعتراف بقصور العبد عن الوقوف في باب ملك الملوك، فكأنه يقول: أنا يا رب العبد الحقير الذليل، لا يليق بي أن أقف هذا الموقف في مناجاتك بمفردي، بل أنضمّ إلى سلك المؤمنين الموحِّدين فتقبّلْ دعائي في زمرتهم فنحن جميعاً نعبدك ونستعين بك"(3) وكذلك" يدلُّ على وحدة وتماسك المؤمنين الموحدين بالله - تعالى- ؛ ولذا شُرِّعت صلاة الجماعة، وفُضِّلت على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة"(4).

8- من عرف أهمية ومكانة العبادة، "طاب له الاشتغال بها، وثقل عليه الاشتغال بغيرها، وذلك أن الاشتغال بالعبادة انتقال من عالم المادِّيات إلى عالم الروحانيات، ومن الاشتغال بالمخلوق إلى الاشتغال بعبادة الخالق، وبذلك يحصل كمال البهجة والصفاء والخشوع(5).روي أن الأَكِلَة(6)

---

(1) تفسير القرآن العظيم-لابن كثير-ج1-ص26.

(2) انظر: تفسير المراغي- لأحمد مصطفى المراغي -ج1-ص34.

(3) صفوة التفاسير-د. محمد علي الصابوني-ج1-ص27.

(4) المقتطف من عيون التفاسير-مصطفى المنصوري-ج1-ص19.

(5) انظر: التفسير الكبير-للرازي-م1-ج1-ص201.

(6) الأَكِلَة: داء يصيب العضو فيأكل منه. انظر:(لسان العرب)-ج11-ص22.

وقعت في بعض أعضاء عروة بن الزبير(1) – رضي الله عنه– فتورَّمت ساقه، واشتد الورم، وأجمع الأطباء على بتر ساقه قبل أن يسري الورم إلى جسده فيقضي عليه، فرفض أن يأخذ مسكِّراً أو مُخَدِّراً حتى يقطعوا ساقه، وقال: لا حاجة لي بذلك، وإني لأرجو أن أكفيكم ذلك بالذكر والتسبيح . فقطعوا ساقه وهو يصلي، وهو لم يشعر بأي ألم(2).

9– قدَّم المفعول (إياك) على الفعل (نعبد ونستعين) في قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ ولم يقل:(نعبدك ونستعينك)، للاهتمام وشدة العناية بالمفعول، وعادة العرب أن تقدّم الأهمّ. يُروَى أن أعرابياً سَبَّ آخرَ، فأعرض المسبوبُ عنه؛ فقال له السَّاب: إياك أعني. فقال له الآخر: وعنك أُعْرِض؟ فقدَّما الأهمَّ(3).

وأيضاً: لقصر العبادة والاستعانة على الله وحده. فالعبادة والاستعانة مقصورة على الله وحده، وكأن المعنى: نخصُّك بالعبادة، ونخصُّك بطلب العون دون سواك، وهذا أبلغ من قولنا:(نعبدك ونستعين بك)(4).

وفيه أيضاً: تعليم العبادِ الأدبَ مع الله؛ وذلك بتقديم اسمه تعالى (إياك) على فعلهم (نعبد ونستعين).

10– كرَّر الضمير (إياك) مع الفعل الثاني (نستعين) "لأنه لو اقتصر على واحد ربّما تَوَهَّم متوهِّم أنه لا يتقرَّب إلى الله – تعالى– إلّا بالجمع بينهما، ولا يمكنه أن يفصل بينهما وهو إذا تفكَّر في عظمة الله –تعالى– كان عبادة ،وإن لم يستعن به"(5) وللبيان على اختصاصه –تعالى– بالاستعانة أيضاً(6). وفي تكرار (إياك) من الاهتمام والقوة والبلاغة ما ليس في الحذف(7).

11– قُرنت العبادة بالإستعانة؛ ليدل على أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بعبادة الله إلا بإعانة الله وتوفيقه، ولا ينهض بها إلا بالتوكل عليه"(8). "وليُجْمَعَ بين ما يَتَقَرَّبُ به العبادُ إلى ربّهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته"(9).

---

(1) عروة بن الزبير: هو أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام المدني، ثقة فقيه مشهور، تابعي جليل، ولد في خلافة عثمان بن عفان، وتوفي سنة94هـ. انظر:(صفوة الصفوة)–لابن الجوزي–ج1–ص349.

(2) انظر: صفوة الصفوة–لابن الجوزي–ج1–350.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن–للقرطبي–ج1–ص145.

(4) انظر: من بلاغة القرآن الكريم–د.محمد علوان ود. نعمان علوان– ص88.

(5) مجمع البيان–للطبرسي–ج1–ص54.

(6) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم–لأبي السعود–ج1–ص19.

(7) انظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل–د.فاضل السامرائي–ص39.

(8) المرجع السابق نفسه – ص 41 .

(9) الكشاف–للزمخشري– ج1–ص2.

12- قُدِّمَتْ العبادة على الاستعانة من "باب تقديم الغايات على الوسائل، إذ (العبادة) غاية العباد التي خُلِقوا لها، و(الاستعانة) وسيلة إليها..؛ ولأن (العبادة) المطلقة تتضمّن (الاستعانة) من غير عكس.. ؛ ولأن العبادة لا تكون إلا من مخلص، والاستعانة تكون من مخلص ومن غير مخلص"(1).

13- أطلقت الاستعانة هنا ولم تَتَقَيَّد بشيء معيّن، " لتتناول كل مُستعان فيه"(2). أي لتشمل كل شيء، الاستعانة على الله في أداء العبادة، والاستعانة عليه في الانتصار على العدّو، وعلى طلب الرزق، والاستعانة عليه في كل شيء ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة(3).

---

(1) مدارج السالكين-لابن قيم الجوزية-ج1-ص76 ، 77 (باختصار).

(2) تفسير النسفي- للنسفي -ج1- ص10.

(3) انظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - د . فاضل السامرائي-ص40.

المطلب السادس

الفوائد واللطائف من ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾

1- قوله: ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ يتضمّن بيان أن العبد لا سبيل له إلى سعادته وفوزه في الدنيا والآخرة إلا باستقامته على الصراط المستقيم. وأنه لا سبيل له إلى الاستقامة على الصراط إلا بهداية الله له وتوفيقه(1).

2- لما تقدَّم الثناء على المسئول -تبارك وتعالى- ناسب أن يعقب بالسؤال كما قال صلى الله عليه وسلم:" **فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل**"(2). وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسئوله ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله: ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾؛ لأنه أنجح للحاجة، وأنجع للإجابة"(3).

3- من معاني ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ أي ثبتنا على الهداية والإيمان؛ لذلك أمر الله -تعالى- عباده المؤمنين أن يقولوا: ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾ (4). أي ثبتنا على الهداية، فقد طلبوا من الله الثبات على الدين؛ لأنه كم من عالم وقعت له شبهة ضعيفة في خاطره فزاغ وزلَّ وانحرف عن الدين القويم، والصراط المستقيم(5)؛ لذلك "روي أن أبا بكر الصدِّيق - رضي الله عنه- كان يقرأ بهذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سرّاً " (6).

4- قال القرطبي: "قال بعض العلماء: جعل الله -عز وجل- عِظَم الدعاء وجملته موضوعاً في هذه السورة، نصفها فيه مجمع الثناء، ونصفها فيه مجمع الحاجات، وجعل هذا الدعاء الذي في هذه السورة أفضل من الذي يدعو به الداعي؛ لأن هذا الكلام قد تكلَّم به ربّ العالمين، فأنت تدعو بدعاء هو كلامه الذي تكلَّمَ به"(7).

5- آخر مراتب الهداية، هي الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة.. فَمَنْ هُدِيَ في الدنيا إلى الصراط المستقيم، هُدِيَ يوم القيامة إلى الصراط المستقيم، الذي يوصل إلى جنة الله تعالى. وعلى قدر ثبوت الإنسان على الصراط المستقيم في الدنيا، يكون ثبوت قدمه على الصراط يوم

---

(1) انظر: الفوائد-لابن قيّم الجوزية-ص30.

(2) سبق تخريجه-ص 7، 17 .

(3) تفسير القرآن العظيم-لابن كثير-ج1-ص26.

(4) سورة آل عمران - الآية(8).

(5) انظر: التفسير الكبير-للرازي-م1-ج1-ص207.

(6) تفسير القرآن العظيم -ج1-ص28.

(7) الجامع لأحكام القرآن-للقرطبي-ج1-ص147.

القيامة، وعلى قدر سيره على صراط الدنيا يكون سيره على صراط الآخرة(1).

6- قال:(اهدنا) ولم يقل:(اهدني)، وذلك؛ لأن "الدعاء كلّما كان أعمّ كان إلى الإجابة أقرب"(2). ولِيناسب قوله:(الحمد لله) وقوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ حيث جاءت بصيغة الجمع. وكأن الإنسان يطلب الهداية له ولغيره من إخوانه المسلمين، وفي ذلك إشاعة لحب التعاون، والروح الجماعية عند المسلمين(3).

7- لم يقل:(اهدنا الطريق أو السبيل) وإنما قال الصراط؛ وذلك للتذكير بصراط الآخرة وهو الصراط الممدود على متن جهنم(4)، ليظلَّ الإنسان على خوفٍ وخشيةٍ من الله -تعالى(5). وأيضاً "لأن كلمة (صراط) على وزن (فِعَال) من (صرط) وهو من الأوزان التي تدل على الاشتمال، فهو يشتمل على كل السالكين، ولا يضيق بهم، فهو واسع رَحْبٌ بخلاف كلمة (طريق) فإنها (فعيل) بمعنى مفعول من (طرق) بمعنى مطروق، وهذا لا يدل في صيغته على الاشتمال، فقد يضيق بالسالكين ولا يستوعبهم وكذلك كلمة (السبيل) فهي (فعيل) بمعنى مفعول.. يقال: سبيل سابلة، أي مسلوكة"(6).

8- جعل الله - تعالى- الصراط مستقيماً حتى لا يضلّ عنه أحد، ولا يختلف عليه المسلمون، ولِيَجْمَعَ المؤمنين أمّةً واحدةً متراصَّة، وحتى لا يختلط مع الطرق الأخرى(7). و"لأن الخط المستقيم هو أقرب خط فاصل بين نقطتين... واستقامته تتضمَّن إيصاله إلى المقصود"(8). فيكون الصراط المستقيم هو أقرب طريق موصل إلى معرفة الله تعالى.

9- الفعل (هدى) في قوله: ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ تعدَّى بنفسه، ولم يَتَعَدَّ بحرف الجرّ إلى أو اللام؛ لأن فعل الهداية إذا عُدِّيَ بـ (إلى) تضمّن معنى الإيصال إلى الغاية المطلوبة، وإذا عُدِّيَ بـ (اللام) تضمَّن معنى التعيين والتخصيص بالشيء المطلوب. وإذا تعدَّى بنفسه تضمَّن المعنى الجامع لذلك كله ،وهو التعريف والبيان والإلهام، فإذا قال الإنسان:﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ فهو يطلب من الله -تعالى- أن يعرّفه إيّاه، و يبينه له، ويلهمه إيّاه، ويقدر عليه فيجعل في قلبه علمه وإرادته و القدرة عليه؛ لذلك جُرِّد الفعل (اهدنا) من الحرف وتعدَّى بنفسه

---

(1) انظر: مدارج السالكين-لابن قيم الجوزية-ج1-ص17.

(2) التفسير الكبير-للرازي-م1-ج1-ص207.

(3) انظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل-د.فاضل السامرائي-ص53.

(4) انظر: روح المعاني-للألوسي-ج1-ص93.

(5) انظر: التفسير الكبير-م1-ج1-ص207.

(6) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل-ص 54.

(7) انظر: هذا هو الصراط المستقيم فاتبعوه-د. عدنان النحوي-ص13.

(8) مدارج السالكين-ج1-ص18.

ليتضمَّن هذه المعاني كلها، ولو عُدِّي بحرف تعيَّن معناه وتخصَّص بحسب معنى الحرف(1).

10- جاء الصراط في قوله: ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ مُفْرَداً مُعَرَّفاً بالألف واللام، وجاء -أيضاً- موصوفاً بالاستقامة، مما يدلُّ على أنه صراط واحد، وهو طريق الإسلام(2)، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم، ويدلُّ -أيضاً- على أن غيره ليس له حظٌّ من الاستقامة، فكأنه قيل: الذي لا صراط مستقيم سواه(3).

11- "إن الصراط المستقيم صراطٌ ذو مراحل متعدِّدة، فَمَنْ اجتاز مرحلة منه مَهْدِيَّاً كان بحاجة إلى معونةٍ من الله بالبيان والتوفيق والتسديد حتى يقطع المرحلة التالية مَهْدِيِّاً مُسَدَّداً، وهكذا حتى يجتاز رحلة حياة الامتحان بنجاح.. ثم يَمُرّ على الصراط يوم الدين مروراً تكون سرعته فيه على مقدار التزامه بصراط الله في رحلة امتحانه في الحياة الدنيا، ثم يدخله الله الجنة ضِمْنَ الزُّمْرةِ التي هو منها"(4).

---

(1) انظر: بدائع الفوائد-لابن قيّم الجوزية-ج1-ص21 ،22.

(2) انظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل—د . فاضل السامرائي ص54.

(3) انظر: بدائع الفوائد- ج1-ص15 ،16 .

(4) معارج التفكر ودقائق التدبر- د.عبد الرحمن حبنكة الميداني-ج1-ص371 ، 372 .

المطلب السابع

الفوائد واللطائف من ﴿صرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ...﴾

1- قال الطبري:" في هذه الآية ﴿**صرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ...**﴾ دليل واضح على أن طاعة الله لا ينالها المطيعون إلّا بإنعام الله بها عليهم، وتوفيقه إيّاهم لها"(1).

2- جاء الفعل (أنعمت) فعلاً ماضياً ولم يقل (تنعم)؛ وذلك ليتعيَّن زمانه، وليبيّن أن المقصود صراط الذين ثبت إنعامُ الله عليهم وتحقَّق(2). ولو قال (تنعم عليهم) لأسقط كلَّ مَنْ مضى من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ لأن الفعل المضارع غالباً ما يدل على الحال والمستقبل... ولاحْتَملَ أن يكون صراط الأولين غير صراط الآخرين.. ثم إن الفعل الماضي يدلّ على أنه كلما مرَّ الزمن كثر عَدَدُ الذين أنعم الله عليهم(3).

3- كرر كلمة (الصراط) مرة ثانية، للتأكيد والإشعار بأن الصراط المستقيم هو صراط الجماعة المؤمنة، ليكون ذلك شهادة لهذا الصراط بالاستقامة(4). وقيل: كرر كلمة الصراط للإيضاح والبيان(5)، فكأنه قال: ما هو الصراط المستقيم؟ فكان الجواب صراط الذين أنعمت عليهم(6)، وقيل: لأنه المكان المهيَّأ للسلوك، فذكر في الأول المكان دون السالك، ثم أعاد المكان مع ذكر السالك بقوله: ﴿**صرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ...**﴾ (7).

4- قال ابن قيم الجوزية :" ولما كان طالب الصراط المستقيم طالبَ أمرٍ، أكثرُ الناس ناكبون عنه، مريداً لسلوك طريقٍ مرافقُهُ فيها في غاية القلة والعزة، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد، وعلى الأنس بالرفيق، نبّه الله -سبحانه- على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم هم الذين﴿**...أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ (8).فأضاف الصراط إلى الرفيقين السالكين له. وهم الذين أنعم الله عليهم، ليزول عن الطالب للهداية، وسلوك الصراط وحشة تفرّده عن أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط: هم الذين أنعم الله عليهم، فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له، فإنهم هم

---

(1) جامع البيان-ج1-ص114.

(2) انظر: روح المعاني- للألوسي-ج1-ص97.

(3) انظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - د . فاضل السامرائي-ص59.

(4) انظر: الأساس في التفسير- سعيد حوّى-ج1-ص41.

(5) انظر: فتح القدير-للشوكاني-ج1-ص28.

(6) انظر: في رحاب التفسير-للشيخ كشك-ج1-ص73.

(7) انظر: فتح الرحمن شرح ما يلتبس من القرآن-زكريا بن محمد الأنصاري-ص21.

(8) سورة النساء-الآية(69).

الأقلُّــون قدراً، و إن كانوا الأكثرين عدداً " (1).

5- في قوله: ﴿**صرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ...**﴾ لم يقيّد الإنعام هنا؛ وذلك لِيَعُمَّ ويشمل جميع الإنعام دون تقييد. وقيل: أنعم عليهم بأَنْ خَلَقَهُمْ للسعادة، وقيل: أنعم عليهم بالهداية واتباع الرسول – صلى الله عليه وسلم(2). وغير ذلك...

6- قال:(الذين أنعمت عليهم) ولم يقل:(المُنْعَم عليهم)؛ وذلك لوجوه عدة: منها: إن هذا جاء على الطريقة المعهودة في القرآن، وهي أن أفعال الإحسان والإنعام والرحمة والجود تضاف إلى الله -تعالى- فيذكر فاعلها منسوبةً إليه -تعالى، ولا يُبنى معها الفعل للمجهول، بخلاف أفعال الجزاء والعقوبة، فإن الفاعل يحذف، ويُبنى معها الفعل للمجهول، وذلك أدباً مع الله -تعالى.
ومنها: أن الإنعام بالهداية يستوجب شكر المُنْعِم بها، وأصل الشكر ذكر النعم، والعمل بطاعته، وكان من شكره إبراز الضمير المتضمّن لذكره تعالى،وإضافته للفعل(3).ومنها: إن في قوله:(أنعمت عليهم) من التكريم والتعظيم، وعظم النعمة والإحسان ما ليس في قوله:(المُنْعَم عليهم)؛ لأنه لو قال:(المُنْعم عليهم) فإنه لم يُبيِّن المُنْعِم الذي أنعم عليهم النعمة، والنعمة إنما تقدَّر بقدر المُنعِم، فلذلك ذكر فاعل النعمة(4).

7- في تخصيصه- تعالى - لأهل الصراط المستقيم بالنعمة ما يدلّ على أن نعمة الدين هي لأهل الإيمان، وهي نعمة موجبة للفلاح الدائم، والفوز بالآخرة. أمّا مطلق النعمة فهي للمؤمن والكافر، فكل الخلق في نعمة كما قال تعالى:﴿ **وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾ (5) (6).

8- يقول البروسوي:" اعلم أن النعم إما ظاهرة، كإرسال الرسل وإنزال الكتب، واتباع السنة، واجتناب البدعة، وانقياد النفس للأوامر والنواهي، والثبات على قَدَمِ الصدق، ولزوم العبودية؛

---

(1) مدارج السالكين – لابن قيم الجوزية-ج1-ص28.
(2) انظر: البحر المحيط-لأبي حيّان-ج1-ص147.
(3) انظر: بدائع الفوائد- لابن قيم الجوزية-ج1-ص18 ،19.
(4) انظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل – د . فاضل السامرائي- ص60.
(5) سورة إبراهيم -الآية(34).
(6) انظر: مدارج السالكين-ج1- ص20.

وإمّا باطنة، وهي ما أنعم على أرواحهم في بداية الفطرة، بإصابة رُشاش نوره، كما قال الرسول- صلى الله عليه وسلم:" **إن الله خلق الخلق في ظلمة، ثم رَشّ عليهم من نوره، فَمَنْ أصاب من ذلك النور فقد اهتدى، ومن أخطأه فقد ضلّ**"(1). فكان فتح باب صراط الله إلى العبد من رُشاش ذلك النور، وأول الغيث قطر ثم ينسكب"(2).

(1) مسند أحمد-ج6-ص338-حديث(6854)، قال أحمد شاكر في تخريجه للمسند: وإسناده صحيح، وصحيح الترمذي-كتاب الإيمان(37)-باب ما جاء في افتراق هذه الأمة(18)-ج4-ص451-حديث(2642)، وقال: هذا حديث حسن.

(2) تنوير الأذهان-ج1-ص19.

المطلب الثامن

الفوائد واللطائف من ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾

1- إن أول سورة الفاتحة يشتمل على الحمد لله ،والثناء عليه، وآخرها مشتمل على الذمّ للمعرضين عن الإيمان بالله تعالى، والإقرار بطاعته، وذلك يدلُّ على أن مطلع الخيرات، وعنوان السعادات ،هو الإقبال على الله -تعالى، ومطلع الآفات ،ورأس المخالفات، هو الإعراض عن الله تعالى، والبعد عن طاعته (1).

2- يستفاد من هذه الآية أن هناك ثلاث فرق: فريق أهل الطاعة والإيمان، حيث إن هذا الفريق عالمٌ بالحقّ، وعاملٌ به، وإليهم الإشارة بقوله:(أنعمت عليهم). وفريق آخر هم اليهود، حيث إنهم علموا الحقّ، لكنهم تركوا العمل به، وإليهم الإشارة بقوله:(غير المغضوب عليهم). وفريق ثالث هم النصارى، حيث إنهم جهلوا الحقَّ، لكنهم عملوا بما هو مخالف للحقّ، وإليهم الإشارة بقوله:(ولا الضالين)، لهذا كان الغضب هو أخصّ صفات اليهود، والضلال هو أخصّ أوصاف النصارى(2).

3- لفظ (غير) من حروف المعاني، تكون نعتاً، وتكون بمعنى سوى، والجمع أغيار، وهي كلمة يوصف بها ويستثنى، فإن وصفت بها أتبعتها إعراب ما قبلها، وإن استثنيت بها أعربتها بالإعراب الذي يجب للاسم الواقع بعد إلا. وقد تكون (غير) بمعنى لا فتنصبها على الحال كقوله تعالى: ﴿... **فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ...** ﴾ (3) كأنه تعالى قال: فمن اضطر جائعاً لا باغياً، وقد تكون اسماً، تقول: مررت بغيرك، وهذا غيرك، وقد تكون بمعنى ليس كما تقول العرب: كلام الله غير مخلوق. ولفظ (غير) مذكر مفرد أبداً، إلّا أنه إذا أُريد به مؤنث جاز تأنيث فعله المسند إليه. تقول: قامت غير هندٍ، وتعني بذلك امرأة. وهو ملازم للإضافة لفظاً وتقديراً، فإدخال الألف واللام عليه خطأ(4).

4- ﴿**غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ...**﴾"في غضب الله عليهم أربعة أقوال: أحدها: أن الله -سبحانه- يغضب ولاسيما يوم القيامة، فإنه تعالى يغضب غضبةً لم يغضب مثلها، ولا قبلها ولا بعدها، وأن غضب الله – تعالى- لا يتأثّر بالانفعالات، ولا يوصف بالمزاجية الناشئة عن الضعف، وعدم التمالك؛ لأن الله -سبحانه- ﴿...**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...**﴾ (5) لا في ذاته ولا في صفاته.

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم -لابن كثير – ج 1 – ص 30.

(2) انظر: مدارج السالكين – لابن قيم الجوزية-ج1-ص18 ،19.

(3) سورة البقرة -الآية(173).

(4) انظر: لسان العرب – لابن منظور-ج5-ص39.

(5) سورة الشورى -الآية(11).

والثاني: معنى الغضب إرادة الانتقام، وهذه الصفة لا تَجُوز على الله تعالى. والثالث: أن غضبه عليهم هو ذمُّه لهم. والرابع: أنه نوع من العقوبة سُمِّيَ غضباً كما سُمّيت نِعمُهُ رحمة"(1).

ويذهب الباحث إلى القول الأول، وهو أن الله يغضب، وغضبه لا يشبه غضب الآدميين، فهو تعالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. فصفاته تعالى تُثْبَتْ كما جاءت في القرآن والسنة دون تأويل ولا تكييف. وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة. والله أعلم.

5- ذُكِرَ قولُه: ﴿**غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾ بعد قوله:(أنعمت عليهم)، وذلك؛ " لأن الإيمان إنما يكمل ويزيد بالرجاء، والخوف من الله تعالى. فقوله: ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ**﴾ يوجب الرجاء الكامل بالله تعالى، وقوله: ﴿**غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾ يوجب الخوف الكامل من الله تعالى، وحينئذٍ يقوى الإيمان بركنيه وطرفيه، وينتهي إلى حدّ الكمال"(2).

6- اختلف العلماء في كلمة (لا) في قوله:(ولا الضالين)، فقد ذهب الطبري إلى أن (لا) زائدة وأن تقدير الكلام غير المغضوب عليهم والضالين. مثل قوله تعالى: ﴿**... مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ...** ﴾ (3). وهذا رأي البصريين(4). وقال الكوفيون:(لا) بمعنى غير: أي وغير الضالين(5). وقيل: هي تأكيد معنى النفي. دخلت لِتدلَّ على أن هناك طريقتين هما: طريقة اليهود وطريقة النصارى أي أن المغضوب عليهم هم غير الضالين؛ ولئلاَّ يتوهّم أن (الضالين) معطوف على (الذين أنعمت عليهم)(6).

7- حذف فاعل الغضب والضلال، فلم يقل:(غضب عليهم أو الذين أضللتهم)، وذلك لعدة وجوه، منها: إن طريقة القرآن أن تسند الخيرات والنعم إلى الله -تعالى، بخلاف الشر أو الغضب وغيره فإنه لا ينسب إليه تعالى أدباً مع الله تعالى، وإن كان منه تقديراً. كما أخبر تعالى عن مؤمني الجن: ﴿**وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا** ﴾ (7)(8). ومنها:"إن في حذف فاعل الغضب من الإشعار بإهانة المغضوب عليهم وتحقيرهم، وتصغير

---

(1) النكت والعيون-للماوردي-ج1-ص61.

(2) التفسير الكبير- للرازي-م1-ج1-ص212.

(3) سورة الأعراف -الآية(12).

(4) انظر: جامع البيان -ج1-ص120 ،121.

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن-للقرطبي-ج1-ص151.

(6) انظر: تفسير القرآن العظيم-لابن كثير-ج1-ص29.

(7) سورة الجن -الآية(10).

(8) انظر: مدارج السالكين-لابن قيم الجوزية-ج1-ص19.

شأنهم ما ليس في ذِكْرِ فاعل النعمة من إكرام المُنْعَم عليهم ،والإشادة بذكرهم، ورفع قدرهم ما ليس في حذفه"(1).

8- بُنِي (المغضوب عليهم) للمجهول؛ وذلك" ليعمَّ الغضبُ عليهم: غضب الله، وغضب الغاضبين لله، ولا يتخصَّص بغاضب معيّن، فعمَّ مغضوب عليهم من كل الجهات، بل إن هؤلاء سيغضب عليهم أخلص أصدقائهم، وأقرب المقرّبين إليهم، يوم القيامة.. كما قال تعالى: ﴿...**ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا...** ﴾ (2)، فيغضب بعضهم على بعض، ويتبرأ بعضهم من بعض.. فهم مغضوب عليهم من كلّ شيء، ومن كلّ أحد"(3).

9- قدَّم (المغضوب عليهم) على (الضالين) وليس العكس؛ وذلك لعدة وجوه، منها: إن المغضوب عليهم متقدمون عليهم بالزمان، ومنها: إن المغضوب عليهم وهم اليهود كانوا أقرب من النبي صلى الله عليه وسلم من النصارى، حيث كانوا جيرانه في المدينة، والنصارى (الضالين) كانت ديارهم بعيدة عن النبي -صلى الله عليه وسلم. ومنها: إن اليهود أشد كفراً وإجراماً وعناداً من النصارى، فالتحذير من اتباع طريقتهم ، والبعد عنها أحقّ وأهمّ بالتقديم. ومنها: إن المغضوب عليهم يقابل المُنْعَم عليهم، فذكرهم مع المنعم عليهم فيه من الازدواج والمقابلة ما ليس في تقديم الضالين(4). ومنها: ليناسب ذلك خواتيم الآيات، ولو تأخّر المغضوب عليهم لما ناسب ذلك أواخر الآيات(5).

10- لم يأتِ الله -سبحانه- هنا بـ (المضلين) فلم يقل(ولا المضلِّين) بدلاً من (الضالين)؛ لأن (الضال) هو الذي ضلَّ الطريق فاتخذ منهجاً غير منهج الله، ومشى في الضلالة بعيداً عن الهدى، وعن دين الله. لكن (المُضِلّ) لم يكتفِ بأنه ابتعد عن منهج الله ، وسار بعيداً عن الهدى، بل يحاول أن يُغرِي غيرَه باتباع الكفر والضلال، والبعد عن منهج الله. إذن لكي يكون الإنسان مُضلّاً لابد أن يكون ضالاً أولاً. فالاستعاذة من الضلال في قوله:(ولا الضالين) تشمل الاثنين معاً، لأنك ما دمت قد استعذت من أن تكون ضالاً فلن تكون مضلاً أبداً(6).

11- جعل الله كُلّاً من (المغضوب عليهم) و(الضالين) اسماً؛ وذلك للدلالة على ثبوت هذه الصفات لهم ودوامها، فيكون الغضب عليهم ثابتاً دائماً لا يزول، وكذلك يكون الضلال على وجه

---

(1) التفسير القيّم-لابن قيم الجوزية-ج1-ص 12.

(2) سورة العنكبوت -الآية(25).

(3) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - د .فاضل السامرائي-ص61.

(4) انظر: بدائع الفوائد-لابن قيم الجوزية-ج1-ص33.

(5) انظر: البحر المحيط-لأبي حيّان-ج1-ص152.

(6) انظر: تفسير الشعراوي- محمد متولي الشعراوي-ج1-ص90.

الثبوت والدوام، فلا يُرجى منهم إيمان ولا هداية. فهذا الوصف لازم لهم إلى يوم القيامة، ثابت لا يزول، فهم مغضوب عليهم وضالون في الدنيا والآخرة(1).

12- قال:(غير المغضوب عليهم) ولم يقل(لا المغضوب عليهم)... وذلك؛ لأن المجيء بلفظ (غير)، وهي صفة لما قبلها أفاد وصف المؤمنين بصفتين: أحدها: أنهم منعم عليهم، وثانيها: أنهم غير مغضوب عليهم، فأفادت (غير) هنا ما أفادته العطف بـ (لا)، مع زيادة الثناء على المؤمنين ومدحهم. وسبب آخر: وهو أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى زعموا أنهم هم المنعم عليهم دون المؤمنين، وذلك عندما قالوا: ﴿ **... نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ...** ﴾ (2). فكأنه قيل لهم: المنعم عليهم غيرُكم لا أنتم، وقيل للمؤمنين: المغضوب عليهم غيركم لا أنتم، فالإتيان بلفظ (غير) هنا أحسن وأدلّ على إثبات المغايرة المطلوبة(3).

---

(1) انظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل – د. فاضل السامرائي- ص63.

(2) سورة المائدة – الآية(18).

(3) انظر: بدائع الفوائد-لابن قيم الجوزية-ج1-ص24.

المطلب التاسع

الفوائد واللطائف الإعجازية في السورة كلها

1- روي عن الحسن البصري أنه قال:" **أنزل الله -تعالى- مائة وأربعة كتب من السماء، فأودع علوم المائة في الأربعة، وهي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم هذه الأربعة في الفرقان، ثم أودع علوم الفرقان في المفصّل، ثم أودع علوم المفصّل في الفاتحة، فَمَنْ عَلِمَ تفسير الفاتحة كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة، ومن قرأها فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان**"(1). فالله تعالى جمع معاني القرآن و مقاصده في هذه السورة الصغيرة بألفاظها و كلماتها، الكبيرة بمعانيها و أهدافها.

2- اشتملت هذه السورة الكريمة على أنواع من الفصاحة والبلاغة، منها:

* حسن الافتتاح وبراعة المطلع، فإن كان أولها (بسم الله الرحمن الرحيم) على رأي من عدّها آية منها، فهذا أحسن الكلام الذي يُبْدأ باسم الله. وإن كان أولها (الحمد لله) فهو أيضاً من أحسن ما افتتح به الكلام؛ لأنه ثناء على الله تعالى، ومدح له(2). وتضمّنت إثبات كل صفات ذات الله وأفعاله، وكل صفات ربوبيته لخلقه(3).

* ذكر الخاص بعد العام، فذكر (الرحمن) الذي هو عام، وذكر (الرحيم) بعده لتخصيص المؤمنين به في قوله: ﴿**... وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** ﴾ (4) (5).

* الالتفات في قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾"التفات من الغيبة إلى الخطاب"(6)، ولو جرى الكلام على الأصل لقال:(إياه نعبد)، والغرض من هذا الفن التطرية لنشاط الذهن، والتنبيه للإصغاء إلى هذا الكلام ،أفضل من إجرائه على أسلوب واحد"(7).

* التقديم والتأخير في قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾تقديم واجب للمفعول (إياك) على الفعل (نعبد ونستعين)؛ وهو يفيد القصر والتخصيص: أي لا نعبد إلا أنت، ولا نستعين إلا بك، فهو من باب قصر الصفة على الموصوف(8).

* " طلب الشيء وليس المراد حصوله، بل دوامه واستمراره في ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ**

---

(1) شعب الإيمان-للبيهقي -كتاب فضائل السور والآيات-باب فاتحة الكتاب-ج2-ص450- أثر(2371).

(2) انظر: البحر المحيط-لأبي حيّان-ج1-ص152.

(3) انظر: معارج التفكر ودقائق التدبر- د .عبد الرحمن حبنكة الميداني-ج1-ص315.

(4) سورة الأحزاب -الآية(43).

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم- لابن كثير-ج1-ص20 ،21.

(6) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم-لأبي السعود-ج1-ص18.

(7) انظر: الكشاف-للزمخشري-ج1-ص20.

(8) انظر: من بلاغة القرآن الكريم-د.محمد علوان، ود. نعمان علوان-ص88.

المُستَقِيمَ﴾ (1). أي ثبتنا على الصراط المستقيم.

* التوازي في رؤوس الآي: وهو اتفاق الكلمتين الأخيرتين في موسيقى الفاصلة القرآنية المتمثلة في الصوت الأخير، وذلك في قوله:(الرحيم والمستقيم) و(رب العالمين ونستعين والضالين) لتعطي نغماً خاصاً، وتأثيراً قويّاً في النفس.

3- يقول الرازي:" كأن العبد يقول: سمعت رسولك يقول: الجماعة رحمة، والفرقة عذاب، فلما أردت تحميدك ذكرتُ حَمْدَ الجميع، فقلت:(الحمد لله)، ولمّا ذكرتُ العبادة ذكرت عبادة الجميع، فقلت: (إياك نعبد)، ولمّا ذكرت الاستعانة ذكرتُ استعانة الجميع فقلت:(وإياك نستعين)، فلا جرم لما طلبت الهداية طلبتها للجميع، فقلت: ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ ، ولمّا طلبت الاقتداء بالصالحين طلبتُ الاقتداء بالجميع، فقلت: ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ...**﴾، ولمّا طلبت الفرار من [الكافرين]، فررت من الكلّ فقلت: ﴿**...غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾، فلمّا لم أفارق الأنبياء والصالحين في الدنيا، فأرجو أن لا أفارقهم في القيامة، قال تعالى: ﴿**... فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾ (2)"(3).

4- إن في نظم هذه السورة الكريمة ما يدل على إعجازها العظيم، فالبدء بالبسملة استفتاحاً بذكر الله، واعترافاً بألوهيته ورحمته. ثم قوله: ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ تناسب قوله: ﴿**...غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾ " فإن الحمد مُطْلَقٌ غير مُقيَّد بزمن ولا بفاعل معيَّن، وهو دائم ثابت، وهؤلاء مغضوب عليهم وضالون على جهة الثبوت والدوام.. ومن ناحية أخرى، إنَّ مَنْ لم يحمد الله، فهو مغضوب عليه وضال، ومن لم يقرّ بأن الله ربّ العالمين، فهو مغضوب عليه وضال، ومَنْ لم تُدْرِكْهُ رحمةُ الله الرحمن الرحيم فهو مغضوب عليه وضال،ومَنْ لم يَخُصّ اللهَ بالعبادة و الاستعانة ، فهو مغضوب عليه و ضالّ، ومن لم يؤمن بيوم الدين، وأن الله مالك ذلك اليوم، فهو مغضوب عليه وضال، ومن لم يهتدِ إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، فهو مغضوب عليه وضال" (4).

فما أروع هذا النظم العظيم!، وما أجلّه! فحقاً هذه السورة هي أمّ القرآن، وفاتحة الكتاب، والكافية، والأساس...

---

(1) البحر المحيط- لأبي حيّان-ج1-ص153.

(2) سورة النساء -الآية(69).

(3) التفسير الكبير-م1-ج1-ص207.

(4) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل – د. فاضل السامرائي-ص65 ،66 .

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وقد أكرمني الله – تعالى– بإتمام هذه الدراسة، التي عشت معها لحظاتٍ إيمانية عطرة، ولذا فإنني سأعرض موجزاً بين يدي كل فصلٍ، مع بيان أهم النتائج التي توصلت إليها، وذلك فيما يلي:

الفصل الأول: قد تناول وقفات حول السورة، من حيث معرفة أسمائها، وعدد آياتها، وزمن نزولها، ومعرفة أغراضها ومحتوياتها، ومعناها الإجمالي، وفضلها، وما قيل في سبب نزولها، والجوّ الذي نزلت فيه، ومناسبتها لما بعدها، ومناسبة آياتها ومقاطعها، وعلاقتها بالسور المفتتحة بـ(الحمد لله)، وعلاقتها بالمقاصد العامة للقرآن.

وقد كانت نتائج هذا الفصل كما يلي:

1– تمَّ التعرّف على أسماء هذه السورة، فهناك أسماء توقيفية، وأسماء اجتهادية.

2– سورة الفاتحة سورة مكية عند جمهور العلماء، وعدد آياتها سبع آيات إلّا أنّه اختُلِف في البسملة، وكان الرأي الراجح أنها آية من سورة الفاتحة وغيرها ما عدا التوبة.

3– سورة الفاتحة كغيرها من السور المكيّة ركَّزت على أهداف وأغراض القرآن المكِّي الذي يتحدث عن أمور العقيدة والتوحيد، وإثبات البعث والجزاء، والإخبار عن أحوال الأمم السابقة...

4– تبيَّن أن ما قيل في هذه السورة من سبب نزول لا يُعدُّ سبب نزول، وإنما هو توطئة وتهيئة بين يدي نزول السورة.

5– ظهر أن السورة نزلت في المرحلة الأولى من مراحل الدعوة الإسلامية، وهي مرحلة الدعوة سِراً.

6– من خلال دراسة مناسبة سورة الفاتحة مع سورة البقرة، تبيَّن وجود ترابط وتناسب واضح بين السورتين.

7– تعدّ هذه السورة من السور الخمس في القرآن التي افْتُتِحَتْ بـ(الحمد لله)، وظهر مدى العلاقة الوطيدة بين سورة الفاتحة وهذه السور، فسورة الفاتحة أمُّ هذه السور، بل هي أمّ القرآن كلّه.

8– ظهر مدى العلاقة الكبيرة بين هذه السورة والمقاصد العامة للقرآن الكريم.

وأمّا الفصل الثاني: فهو صلب الرسالة، وقد تناول التفسيرَ الموضوعي لسورة الفاتحة، وذلك بتعريف التفسير الموضوعي، وبيان أهميته، مع بيان المحور الرئيس للسورة، والقضايا الفرعية فيها، وعلاقتها بالمحور الرئيس، مع تناول أهمّ الموضوعات التي عرضتها السورة.

وقد كانت نتائج هذا الفصل كما يلي:

1– تبيَّن أن السورة بمجموع آياتها تدور حول محور رئيس، وهو تقرير العبودية لله –تعالى.

2- وظهر أن هناك أربع قضايا فرعية في السورة تتعلَّق بمحور السورة الرئيس، وهذه القضايا هي: (التوحيد، الشريعة، الأخلاق، بيان أحوال الأمم).

3- تبيَّن الفرق بين الحمد والشكر والمدح في المعنى، وكان الراجح أن الشكر أعمّ من الحمد، والمدح أعمّ من الشكر وأعمّ من الحمد.

4- تبيَّن من خلال تدبّر معاني هذه السورة أنها تشتمل على أنواع التوحيد الثلاثة: (الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات).

5- تمَّ التعرف على حقيقة يوم الدين وأسمائه، وأهميته وفضله.

6- تمَّ التعرف على حقيقة العبادة والاستعانة، ومنزلتهما، وبعض القضايا التي تتعلَّق بهما.

7- ظهر في هذه السورة حقيقة الهداية ومعناها، وهو الإرشاد والدلالة على الصراط المستقيم، والتوفيق والتثبيت عليه.

8- بيان حقيقة الصراط المستقيم، وأهمية الاهتداء إليه، ومعرفة مَنْ أنعم اللهُ عليهم، وهم النبيّون والصدّيقون والشهداء والصالحون، مع بيان فضل إتباعهم.

وأمّا الفصل الثالث: فقد تناول القواعدَ والمسائلَ والفوائدَ العامّة المستنبطة من السورة، منها: القواعد الإيمانية، كإخلاص النيّة لله -تعالى، والدعاء وحسن التوجّه إلى الله -تعالى، وبناء الأمة المسلمة الواحدة على الصراط المستقيم، والتحذير من إتباع طريق اليهود والنصارى، ومنها: المسائل الفقهية المتعلِّقة بالبسملة، وبالسورة كلّها، ومنها: الفوائد واللطائف المستنبطة من كلّ آية من السورة على حدة، ثم الفوائد واللطائف الإعجازية في السورة بمجموعها.

وقد كانت نتائج هذا الفصل كما يلي:

1- استطاع الباحث أن يقف على بعض القواعد الإيمانية من خلال هذه السورة العظيمة.

2- تمّ التعرّف على المسائل الفقهية المتعلقة بالبسملة، وآراء العلماء فيها، وكان الرأي الراجح أنها آية من سورة الفاتحة وغيرها ما عدا التوبة، وأنها تُقْرأ جهراً في الصلاة الجهرية، وسِرّاً في الصلاة السِّرية...

3- معرفة آراء العلماء في حكم قراءة سورة الفاتحة في الصلاة، وكان الرأي الراجح أنها واجبة، لا تصحّ الصلاة إلّا بها، وأنه يجب تعلّمها على من لا يحسن قراءتها، وأنه لا يجوز ترجمتها إلى غير العربية...

4- الوقوف على بعض الفوائد واللطائف المستنبطة من كل آية.

5- الوقوف على بعض جوانب الإعجاز البياني البلاغي في السورة.

وأخيراً ألتجأ إلى الله خاشعاً متضرِّعاً أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبّله مني، وأن يجزي شيخي ومُشْرِفي كلَّ خيرٍ، إنه بالإجابة جدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

* فهرس الآيات القرآنية
* فهرس الأحاديث النبوية
* فهرس الأعلام المُتَرْجَم لهم في الرسالة
* ثبت المصادر والمراجع
* فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ	الفاتحة	1	50
الْحَمْدُ للّه ربِّ الْعَالَمِينَ	الفاتحة	2	50، 28
الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ	الفاتحة	3	50، 28
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ	الفاتحة	4	50، 28
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	الفاتحة	5	53
اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ	الفاتحة	6	144، 55
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ...	الفاتحة	7	144، 57
الم ،ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيه...	البقرة	2، 1	30 ،29، 28
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...	البقرة	3	30، 28
والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ...	البقرة	4	30، 28
أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ...	البقرة	5	30
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ...	البقرة	21	29 ، 104, 107
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً...	البقرة	22	29
الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّه مِن بَعْدِ مِيثَاقِه ...	البقرة	27	110
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّه وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً...	البقرة	28	29
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ	البقرة	30	109
...وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ...	البقرة	40	110
وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ...	البقرة	45	111 , 29 116،
... وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّه...	البقرة	61	147
وَلَقَدْ جَاءكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ...	البقرة	92	30
وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ...	البقرة	113	30
فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي ...	البقرة	152	أ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّه أَندَاداً...	البقرة	165	101، 80
إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ...	البقرة	166	81
وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً...	البقرة	167	81

الآيـــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ...	البقرة	170	83، 127
... صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ	البقرة	171	122
... فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ...	البقرة	173	194
لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ...	البقرة	177	90
...فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ...	البقرة	178	30، 108
كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ...	البقرة	180	108
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ	البقرة	183	108
... يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ...	البقرة	185	129
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...	البقرة	186	14، 30، 102، 143
وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ...	البقرة	190	30
...وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...	البقرة	195	114
الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ...	البقرة	197	56
... وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ	البقرة	202	94
... ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ...	البقرة	232	90
... وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ	البقرة	264	123
لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا...	البقرة	286	129
رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا...	آل عمران	8	188
إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ...	آل عمران	19	113
...وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ ...	آل عمران	79	101
وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً ...	آل عمران	85	113
وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ...	آل عمران	104	146
وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ...	آل عمران	105	146
كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...	آل عمران	110	146
... وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ	آل عمران	145	66
... وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ...	النساء	38	90
إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...	النساء	40	91، 122
إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ...	النساء	48	76، 85

الآيـــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم...	النساء	69	135، 191، 199
أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ...	النساء	82	25
لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ...	النساء	114	141
وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى...	النساء	115	135
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ...	النساء	136	124
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ...	النساء	175	133
...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى...	المائدة	2	114
وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ...	المائدة	18	197
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء...	المائدة	51	149
قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً...	المائدة	60	147
لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ...	المائدة	73	147
أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ...	المائدة	74	148
مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ...	المائدة	75	148
قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ...	المائدة	76	148
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ...	المائدة	77	148
لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ...	المائدة	78	149
كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ...	المائدة	79	149
تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ...	المائدة	80	149
... وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ	المائدة	108	123
الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ...	الأنعام	1	34
وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ ...	الأنعام	17	114
وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا...	الأنعام	126	133
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...	الأنعام	153	133
إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا...	الأنعام	159	146

الآيـــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ...	الأنعام	161	140
قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي...	الأنعام	162	140
لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ	الأنعام	163	140
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ...	الأعراف	12	195
قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا...	الأعراف	23	175
... وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ...	الأعراف	29	144
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ...	الأعراف	43	120، 119
ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً...	الأعراف	55	143
... اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...	الأعراف	59	103، 75، 48
قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ ...	الأعراف	128	116، 105
... وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ	الأعراف	158	162، 158
وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا...	الأعراف	180	77
وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ...	الأعراف	204	160
إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ...	الأنفال	9	116، 105
وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ ...	الأنفال	10	106
وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ...	الأنفال	23	125
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ...	الأنفال	24	16
... مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ...	التوبة	38	91
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ...	يونس	9	121 ،120
دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ...	يونس	10	66، 62
وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ...	يونس	99	123
مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا...	هود	15	142
أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ...	هود	16	142
وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا...	هود	41	170، 169
وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا...	هود	61	110، 48
لَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ ...	هود	116	145
وَكُــلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ ...	هود	120	58

الآيـــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	يوسف	2	164
...فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ	يوسف	18	116، 105
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا...	يوسف	24	141
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ...	يوسف	111	58
... وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ	الرعد	7	120
... وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ	الرعد	39	6
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ...	إبراهيم	7	66
قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ...	إبراهيم	10	73
وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّهِ...	إبراهيم	12	15
... وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا...	إبراهيم	34	192
الْحَمْدُ للّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ...	إبراهيم	39	174
... وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ...	إبراهيم	50	95
قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ...	الحجر	39	82
إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ	الحجر	40	82 ، 141
قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ	الحجر	41	82
إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ...	الحجر	42	82
نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ	الحجر	49	182
وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ	الحجر	50	182
وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ	الحجر	87	د ،4، 9
وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ	الحجر	97	103
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ	الحجر	98	103
وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ	الحجر	99	103
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً...	النحل	36	84، 75، 48 103،
وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...	النحل	93	123
سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً ...	الإسراء	1	103
إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...	الإسراء	9	120، 119
...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً	الإسراء	15	129

الآيـــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا...	الإسراء	19	96، 141
كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ...	الإسراء	20	141
انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...	الإسراء	21	141
وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ...	الإسراء	23	104
وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...	الإسراء	36	128
وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ...	الإسراء	70	127
قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ...	الإسراء	110	77، 169 177،
وَقُلِ الْحَمْدُ للّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا...	الإسراء	111	174
الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ...	الكهف	1	34
... إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ...	الكهف	13	123
وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن...	الكهف	29	117 ، 123 128،
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ...	الكهف	30	123
أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ...	الكهف	31	123
قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا	الكهف	103	83
الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...	الكهف	104	83
... وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا...	مريم	21	177
وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ...	مريم	39	95
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ...	مريم	41	82
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ...	مريم	42	82
يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ...	مريم	43	82
يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ...	مريم	44	82، 100
يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ...	مريم	45	82
تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ...	مريم	90	181
وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا	مريم	95	183
إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ...	طه	14	104

الآيـــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ...	طه	50	120، 50 121،
وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي...	طه	124	184
... نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى	طه	132	181
وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ...	الأنبياء	25	103 , 52
إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...	الأنبياء	92	145
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ	الأنبياء	107	178
قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ...	الأنبياء	112	105
... فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ	المؤمنون	28	174
وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ...	المؤمنون	74	134
وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم...	المؤمنون	75	134
وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا...	المؤمنون	76	134
قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا...	المؤمنون	84	76
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ	المؤمنون	85	76
أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا...	المؤمنون	115	109، 48
... إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...	النور	2	90
وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ	النور	42	94
... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...	النور	63	158
قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ	الشعراء	23	74
قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي...	الشعراء	29	81
وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ	الشعراء	69	81
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ	الشعراء	70	81
قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ	الشعراء	71	81
قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ	الشعراء	72	81
أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ	الشعراء	73	81
قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا...	الشعراء	74	81
الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ	الشعراء	78	7
رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ	الشعراء	83	7

الآيـــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
... بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ	الشعراء	195	164
وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...	النمل	14	74
... وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ...	النمل	15	174
إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	النمل	30	170، 151
بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ...	النمل	66	126
فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ ...	القصص	15	116، 114
... ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ...	العنكبوت	25	196
... إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ...	العنكبوت	45	56، 38
وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...	العنكبوت	69	123، 120
أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا...	الروم	9	84
ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى...	الروم	10	84
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ	الروم	12	93
... فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...	الروم	30	127
ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...	الروم	41	85
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ...	لقمان	4	91
أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ...	لقمان	5	91
أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم ...	لقمان	20	112
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...	لقمان	25	75، 74
وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...	السجدة	24	120
... وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا	الأحزاب	43	198
إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ...	الأحزاب	72	109
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ...	سبأ	1	35
... وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ	سبأ	13	70
الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...	فاطر	1	35
... فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ...	فاطر	8	122
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ...	فاطر	15	102، 47 110،
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ	فاطر	16	47

الآيـــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ	فاطر	17	47
... فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ...	فاطر	32	170
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ...	فاطر	34	174
أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ...	يس	60	83
مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ	الصافات	23	119 ، 121
... فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ	الزمر	2	84
... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...	الزمر	3	75 ، 84
وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ...	الزمر	8	184
قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا...	الزمر	11	140
وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ	الزمر	12	140
قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ...	الزمر	13	140
قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي	الزمر	14	140
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ ...	الزمر	29	112
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ...	الزمر	74	65
وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ...	الزمر	75	62
... لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ	غافر	15	93
... لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ	غافر	16	97، 182
الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ...	غافر	17	88
وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ...	غافر	18	95
وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...	غافر	60	14، 101 144،
هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...	غافر	65	62
وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى...	فصلت	17	119
... وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ	فصلت	46	122
... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...	الشورى	11	78، 194
شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا...	الشورى	13	85 ، 145
... وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ	الشورى	52	119
وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا...	الزخرف	45	177

الآيـــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ...	الزخرف	51	81
أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ...	الزخرف	52	81
فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ...	الزخرف	53	82
فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ...	الزخرف	54	82
الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ	الزخرف	67	125
أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ ...	الجاثية	23	80
فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ...	الجاثية	36	73
وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ...	محمد	8	123
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ...	محمد	9	123
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى...	محمد	17	119، 55 121،
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا	محمد	24	38
... حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ...	الحجرات	7	184
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	الذاريات	56	101، 47 109 ، 104،
مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ	الذاريات	57	47
إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ	الذاريات	58	47
... لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا...	النجم	31	181
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ	القمر	17	32
إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ	الواقعة	1	95
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ...	الحشر	18	13
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ	الصف	2	113
كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ	الصف	3	113
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا...	الصف	4	146
يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ...	التغابن	9	94
... وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ...	التغابن	11	121
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ...	الملك	2	124
الْحَاقَّةُ ، مَا الْحَاقَّةُ	الحاقة	2، 1	94

الآيـــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ	الحاقة	3	94
يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا...	المعارج	43	93
فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً	نوح	10	101
وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا...	نوح	23	76
رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ...	نوح	28	175
وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ ...	الجن	6	115
وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ...	الجن	10	195
... فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ...	المزمل	20	158، 162
يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ	المدثر	1	11
لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ	القيامة	1	93
كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ	القيامة	20	92
وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ	القيامة	21	92
وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ	القيامة	29	88
إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ	القيامة	30	88
أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى	القيامة	36	109
أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى	القيامة	37	109
ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى	القيامة	38	109
فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى	القيامة	39	109
أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى	القيامة	40	109
يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا...	النبأ	38	93
فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى	النازعات	24	81
فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى	النازعات	25	81
فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى	النازعات	34	94
فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ	عبس	33	96
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا...	الانفطار	19	33، 51، 89، 97، 183
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ	المطففين	6	93
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا	الأعلى	16	92

الآيـــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى	الأعلى	17	92
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ	الغاشية	1	95
وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ	البلد	10	120، 121
وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى	الليل	19	113
إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى	الليل	20	113
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ	الضحى	11	65
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ	العلق	1	11، 171
وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ...	البينة	5	104، 113، 139
فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ	الزلزلة	7	98
وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ	الزلزلة	8	98
الْقَارِعَةُ ، مَا الْقَارِعَةُ	القارعة	1،2	96
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ	القارعة	3	96
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ... إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ	الكوثر	1-3	152

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث الشريف	الراوي	الحكم	الصفحة
أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم ...	مسلم	صحيح	56
أتيتُ رسولَ الله–صلى الله عليه وسلم– وهو جالس في المسجد فقال القوم: هذا عدي بن حاتم...	أحمد والترمذي	حسن صحيح	147
احرص على ما ينفعك واستعن بالله...	مسلم	صحيح	15
إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا...	البخاري ومسلم	صحيح	165
إذا جئتم إلى الصلاة، ونحن سجود فاسجدوا...	أبو داود	صحيح	161
إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب...	مسلم	صحيح	68
إذا قمت إلى الصلاة فكبّر، ثم اقرأ ما تيسَّر معك...	البخاري ومسلم	صحيح	158
إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته قبضتم ولد عبدي؟...	الترمذي	حسن غريب	66
أغيظ رجل على الله يوم القيامة...	مسلم	صحيح	98
أفضل الذكر لا إله إلا الله....	الترمذي	حسن غريب	76
ألا أخبرك يا جابر بن عبد الله بأخير سورة في القرآن...	أحمد	صحيح	17
اللهم ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل	مسلم	صحيح	134
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله...	مسلم	صحيح	75
أم القرآن عوض من غيرها....	الحاكم	رجاله ثقات	7
إن أخنع اسم عند الله رجلٌ تسمَّى...	البخاري ومسلم	صحيح	98

الحديث الشريف	الراوي	الحكم	الصفحة
إن أقواماً خلفنا في المدينة ما سلكنا شعباً...	البخاري ومسلم	صحيح	141
إن الله خلق الخلق في ظلمة...	أحمد والترمذي	صحيح	193
إن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة...	الترمذي	غريب	149
إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة...	مسلم	صحيح	66
إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده...	الترمذي	حسن	65
إن خير عباد الله يوم القيامة الحمّادون	أحمد	صحيح	66
إن لله تسعة وتسعين اسماً...	البخاري ومسلم	صحيح	78
إنما بعثت لأتمّم صالح الأخلاق	أحمد	صحيح	56
إنما جعل الإمام ليؤتم به...	البخاري ومسلم	صحيح	160
إنما الأعمال بالنية...	مسلم	صحيح	139
بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي سمع نقيضاً..	مسلم	صحيح	17
بينما رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ذات يوم بين أظهرنا إذا أغفى...	مسلم	صحيح	152
الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني	الترمذي	صحيح	6
الحمد لله على كل حال	الترمذي	غريب	64
خرج النبي-صلى الله عليه وسلم- إلى بدر فتبعه رجلٌ من المشركين...	مسلم	صحيح	114
خط لنا رسول الله-صلى الله عليه وسلم- خطَّاً ...	أحمد	صحيح	134
الدعاء هو العبادة	الترمذي	حسن صحيح	143
ربّ أعني ولا تعن عليّ...	الترمذي	حسن صحيح	106

الحديث الشريف	الراوي	الحكم	الصفحة
ربّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون	البخاري ومسلم	صحيح	178
رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ...	الترمذي	حسن غريب	127
سمعني أبي و أنا في الصلاة أقول بسم الله الرحمن الرحيم ...	أحمد والترمذي	حسن	154
صلّى فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم	النسائي	صحيح	155
الطهور شطر الإيمان...	مسلم	صحيح	66
قرأ النبي – صلى الله عليه وسلم– في الصبح فثقلت...	الترمذي	حسن	159
قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقال آمين....	أحمد والترمذي	صحيح	166
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين...	مسلم	صحيح	17، 7 151،
قل سبحان الله والحمد لله...	أبو داود	حسن	163
كانت قراءته مدّاً , ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم	البخاري	صحيح	152 , 155
كان رسول الله– صلى الله عليه وسلم– إذا برز سمع منادياً...	الواحدي	منقطع	19
كان رسول الله–صلى الله عليه وسلم– إذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين...	ابن ماجة	إسناده ضعيف	167
كان رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – يُقرئنا القرآن ...	الترمذي	حسن صحيح	156
كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل...	الحاكم	صحيح	152
كان النبي – صلى الله عليه وسلّم – يذكر الله على كل أحيانه ...	مسلم	صحيح	156
كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين...	البخاري ومسلم	صحيح	154
كان يفتتح الصلاة بالتكبير	مسلم	صحيح	151

الحديث الشريف	الراوي	الحكم	الصفحة
كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم...	السيوطي	إسناده ضعيف	172
كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله...	أبو داود	ضعيف	67
كنت أسمع أنه لا يموت نبي ...	البخاري	صحيح	136
الكيس من دان نفسه...	الترمذي	حسن	13
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين...	البخاري	صحيح	148
لا تقرأ الحائض ولا الجُنب شيئاً من القرآن	الترمذي	ضعيف	156
لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي...	البخاري	صحيح	148
لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب...	أحمد والترمذي	حسن	158، 4
لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن...	البخاري	صحيح	16، 10
لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم حذو...	مسلم	صحيح	148
ليس شيء أكرم على الله من الدعاء	الترمذي	حسن غريب	143
ما من مولود إلا يولد على الفطرة...	البخاري ومسلم	صحيح	127
الماهر بالقرآن الكريم مع السفرة الكرام...	مسلم	صحيح	38
من أدرك ركعة من الصلاة...	البخاري ومسلم	صحيح	161
من شغله ذكري عن سؤالي...	الترمذي	حسن غريب	7
من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن...	مسلم	صحيح	16، 4 158،
من قرأ في ليلة خمسين آية...	الطبراني والهيثمي	رجاله ثقات	9
من كان له إمام فقراءة الإمام...	أحمد	صحيح	160
من لا يشكر الناس لا يشكر الله	الترمذي	حسن صحيح	أ

الحديث الشريف	الراوي	الحكم	الصفحة
هو اسم من أسماء الله ...	الحاكم	صحيح الإسناد	169
وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين يجبكم الله.	مسلم	صحيح	166
وإذا قال –يعني الإمام– ولا الضالين...	مالك وابن ماجة	صحيح	165
والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة...	الترمذي	صحيح	17، 6، 4
وجُعِلَ قرة عيني في الصلاة	أحمد	صحيح	111
وعظنا رسول الله–صلى الله عليه وسلم– موعظة بليغة...	أحمد والترمذي	صحيح	136
وفي بضع أحدكم صدقة...	مسلم	صحيح	108
وما كان يدريه أنها رقية...	البخاري ومسلم	صحيح	16، 8
يا بلال أرحنا بالصلاة	أحمد	صحيح	111
يا عبادي إنكم لم تبلغوا ضرّي...	مسلم	صحيح	110
يا غلام إني أعلّمك كلمات...	الترمذي	حسن صحيح	106
يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟...	البخاري ومسلم	صحيح	112
يقبض الله الأرض يوم القيامة...	البخاري ومسلم	صحيح	98

فهرس الأعلام المُتَرْجَم لهم في الرسالة

التسلسل	الاسم	مكان وروده في الحاشية
1-	**إبراهيم بن أدهم :** أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم البلخي	111
2-	**ابن أبي شيبة :** أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد العبسي .	19
3-	**ابن سيرين :** أبو بكر محمد بن سيرين الأنصاري	6
4-	**أبو بكر بن دريد:** محمد بن الحسين بن دريد الأزدي.	5
5-	**أبو بكر بن العربي:** محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي.	25
6-	**أبو بكر النيسابوري:** محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري.	23
7-	**أبو جعفر بن الزبير:** أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي.	23
8-	**أبو حيان الأندلسي:** أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي.	24
9-	**أحمد بن فارس:** أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني.	41
10-	**الأوزاعي:** أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.	151
11-	**البقاعي:** أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي.	18
12-	**البيهقي :** أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي .	19
13-	**الثعلبي:** أبو اسحاق أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري.	6
14-	**جعفر الصادق:** أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.	64
15-	**الحسن البصري:** أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري الأنصاري.	6
16-	**داود الظاهري:** داود بن علي الأصبهاني البغدادي الظاهري.	153
17-	**داود القيصري:** داود بن محمود بن محمد شرف الدين القيصري.	64
18-	**الراغب الأصفهاني:** أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني.	3
19-	**الزهري:** أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري.	11
20-	**زياد بن أبي سفيان :** زياد بن أبي سفيان أو ابن أبيه	67
21-	**زين العابدين :** أبو الحسين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.	179
22-	**سعيد بن جبير:** أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدي.	170
23-	**سفيان الثوري:** أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري.	152

التسلسل	الاسم	مكان وروده في الحاشية
24-	**سفيان بن عيينة :** أبو محمد سفيان بن عيينة الكوفي المكي	6
25-	**الشعبي:** أبو عمرو عامر بن عبد الله بن شرحبيل الشعبي.	18
26-	**شقيق البلخي:** أبو علي شقيق بن إبراهيم الأزدي البلخي.	64
27-	**عبد الله بن المبارك:** أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزي.	152
28-	**عبد الله الغماري:** أبو الفضل عبد الله بن محمد بن قاسم الغماري.	23
29-	**عبد القادر الجيلاني:** أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني.	115
30-	**عروة بن الزبير:** أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام المدني.	186
31-	**العزّ بن عبد السلام:** أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم الدمشقي.	24
32-	**عكرمة:** أبو عبد الله عكرمة المدني مولى ابن عباس.	80
33-	**الفراهيدي:** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي.	171
34-	**قتادة السدوسي:** أبو الحطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري.	80
35-	**الكفوي:** أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي.	41
36-	**الماوردي:** أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي.	5
37-	**مجاهد بن جبير:** أبو الحجاج مجاهد بن جبير المكي القرشي المخزومي.	11
38-	**محمد بن حامد**	106
39-	**محمد عبد الله دراز**	24
40-	**محمد عبد الله الغزنوي**	24
41-	**محمد عبده**	48
42-	**وائل بن حجر :** أبو هنيدة وائل بن حجر بن سعد الحضرمي	166
43-	**الواحدي:** أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري.	19
44-	**الورَّاق:** أبو بكر محمد بن عمر الورّاق البلخي.	106

ثبت المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم .**

1- **إتقان البرهان في علوم القرآن :** د.فضل حسن عباس،دار الفرقان ، عمان – الأردن، ط1 ، 1417هـ -1997م.

2- **الإتقان في علوم القرآن:** جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة -مصر، 1425هـ - 2004م.

3- **أحكام الطهارة في الفقه الإسلامي :** د.أبو سريع محمد عبد الهادي، دار الاعتصام، القاهرة – مصر، 1407هـ - 1987م.

4- **أحكام القرآن :** أبو بكر أحمد الرازي الجصّاص (ت 370هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر.

5- **إحياء علوم الدين :** أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت 505هـ)، دار الصابوني، القاهرة – مصر.

6- **الأخلاق في الإسلام :** د.كايد قرعوش وآخرون، دار المناهج، عمان – الأردن، ط2، 1422هـ - 2001م.

7- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :** أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت 951هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان.

8- **الأساس في التفسير:** سعيد حوّى ، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، ط2، 1409هـ - 1989م.

9- **أسباب النزول :** أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت 468هـ)، مكتبة المتنبي، القاهرة – مصر.

10- **أصول الفقه الإسلامي :** د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق – سورية، ط1، 1417هـ - 1996م.

11- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن :** محمد الأمين بن محمد الشنقيطي (ت 1393هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة – مصر، 1408هـ - 1988م.

12- **إعراب القرآن الكريم وبيانه :** محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق – سورية، ط4، 1415هـ - 1994م.

13- **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعمرين و المستشرقين) :** خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان.

14- **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم :** أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت 728هـ)، تحقيق: طه سعد ، دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر.

15- **إلى الذين أسرفوا على أنفسهم** : د. عائض بن عبد الله القرني، دار ابن حزم، بيروت – لبنان ط2، 1422هـ - 2001م.
16- **أم القرآن وخير ثلاث سور أنزلت** : محمد محمود الصواف، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، 1399هـ - 1979م.
17- **أم القرآن والسبع المثاني** : إبراهيم أحمد شلبي، دار البشير، طنطا – مصر، ط 1، 1418هـ - 1998م.
18- **الانحراف** : د.عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، الرياض – السعودية، ط1، 1422هـ - 2001م.
19- **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**: أبو بكر الجزائري، دار العلوم والحكم، دمشق – سورية، ط 5، 1424هـ - 2003م .
20- **الإيمان أركانه حقيقته نواقضه** : د.محمد نعيم ياسين، دار السلفية لنشر العلم، القاهرة – مصر، ط1، 1422هـ - 1991م.
21- **الإيمان والحياة** : د.يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط2، 1395هـ - 1975م.
22- **البحر المحيط** : أبو حيّان محمد بن يوسف الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ - 2001م.
23- **بدائع الفوائد** : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيِّم الجوزية (ت 751هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان.
24- **البداية والنهاية** : أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، دار المنار، القاهرة – مصر، ط1، 1421هـ - 2001م.
25- **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة** : د.عبد الفتاح القاضي، مكتبة أنس بن مالك، مكة المكرمة – السعودية، ط1، 1423هـ - 2002م.
26- **البرهان في علوم القرآن** : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة – مصر.
27- **بناء الأمة المسلمة الواحدة** : د.عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، الرياض – السعودية، ط1، 1417هـ - 1997م.
28- **بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز** : أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت388هـ)، تحقيق : محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط 4 ، 1411هـ - 1991م .
29- **التبيان في عدّ آي القرآن في علم الفواصل** : د.عبد الرحمن يوسف الجمل.

30- **التحرير والتنوير** : محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (ت 1393هـ)، دار سحنون، تونس، 1418هـ - 1997م.
31- **التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية** : د.مروان إبراهيم القيسي، دائرة العلوم الإنسانية والاجتماعية، إربد - الأردن، ط1، 1404هـ، 1984م.
32- **تحفة المريد على جوهرة التوحيد** : إبراهيم البيجوري، مطابع الهيئة المصرية العامة للمعاهد الأزهرية، القاهرة - مصر، 1399هـ - 1979م.
33- **التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة** : أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي (ت 671هـ)،تحقيق : حامد أحمد البسيوني ، دار الفجر للتراث ، القاهرة - مصر ، ط1، 1421هـ -2000 م.
34- **التعريفات:** أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي (ت 816هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م.
35- **تفسير الشعراوي** : محمد بن السيد متولي الشعرواي (ت 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم التجارية، هليوبوليس، ط1، 1412هـ - 1991م.
36- **تفسير القرآن الحكيم الشهير (بتفسير المنار)** : محمد رشيد بن علي رضا شمس الدين بن محمد (ت 1354هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط2.
37- **تفسير القرآن العظيم** : أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت 774هـ)، دار التراث، القاهرة - مصر.
38- **تفسير القرآن الكريم:** د . عبد الله محمود شحاتة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط 2 ، 1419هـ - 1999م .
39- **التفسير القرآني للقرآن** : عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي.
40- **التفسير القيم** : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزية (ت 751هـ)،جمعه : محمد أويس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 1398هـ - 1978م.
41- **التفسير الكامل** : أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت 728هـ)، تحقيق: أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط1، 1423هـ - 2002م.
42- **التفسير الكبير المشهور (بمفاتيح الغيب)** : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت 604هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1411هـ - 1990م.
43- **تفسير المراغي** : أحمد مصطفى المراغي ، دار الفكر، القاهرة - مصر.
44- **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق** : د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس، عمان - الأردن، ط1، 1418هـ - 1997م.

45- **تناسق الدرر في تناسب السور:** جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1406هـ - 1986م.
46- **تنوير الأذهان :** إسماعيل حقي البروسوي ، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة – مصر، ط1، 1408هـ - 1988م.
47- **التوحيد وواقعنا المعاصر :** د.عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، الرياض – السعودية، ط1، 1411هـ - 1990م.
48- **التوقيف على مهمّات التعاريف :** محمد عبد الرؤوف المناوي (ت 1031هـ)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، ط1، 1411هـ - 1990م.
49- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :** عبد الرحمن السعدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة – السعودية.
50- **جامع الأحاديث للجامع الصغير وزوائده و الجامع الكبير :** جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911) ، دار الكتب القاهرة – مصر ، 1404هـ -1984م.
51- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن:** أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، ضبط وتخريج: صدقي جميل العطار،دار الفكر ، بيروت – لبنان، 1420هـ - 1999م.
52- **الجامع لأحكام القرآن:** أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط2، 1405هـ - 1985م.
53- **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة:** محمود صافي، دار الرشيد، بيروت – لبنان.
54- **حتى نغيِّرما بأنفسنا:** د.عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، الرياض – السعودية، ط1، 1423هـ - 2002م.
55- **الحقيقة الكبرى في الكون والحياة:**د. عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، الرياض – السعودية، ط1، 1416هـ - 1996م.
56- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:** أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت 430هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
57- **دراسة في السيرة:** عماد الدين خليل، دار النفائس، بيروت – لبنان، ط5، 1401هـ-1981م.
58- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة:** شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، دار الجيل، بيروت – لبنان.

59- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:** أبو العباس شهاب الدين بن يوسف بن محمد المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1414هـ - 1994م.

60- **الدين الخالص:** محمود خطاب السبكي، مطبعة الاستقامة، القاهرة – مصر.

61- **رحلة إلى الدار الآخرة :** محمود المصري، دار البيان الحديثة، القاهرة – مصر، ط1، 1426هـ - 2005م.

62- **الرحيق المختوم :** صفي الرحمن المباركفوري، دار إحياء التراث.

63- **روائع البيان تفسير آيات الأحكام:** د. محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة – مصر.

64- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :** أبو الفضل محمود شهاب الدين الألوسي (ت 1270هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط4، 1405هـ - 1985م.

65- **زاد الدعاة:** عبد المنعم عبد الوهاب المغازي، مكتبة الإيمان، القاهرة – مصر.

66- **زاد المعاد في هدي خير العباد:** أبوعبد الله محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية (ت751 هـ)، تحقيق:د. شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط26، 1412هـ - 1992م.

67- **زهرة التفاسير:** محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر.

68- **السبعة في القراءات السبع:** أبو بكر بن مجاهد ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، دار الشروق ، القاهرة – مصر ، ط3.

69- **سلسلة أعمال القلوب:** محمد صالح المنجد، دار الفجر للتراث، القاهرة – مصر، ط1، 1426هـ - 2005م.

70- **سنن أبي داود:** أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ)، دار الحديث، القاهرة – مصر.

71 – **سنن الترمذي:** أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت 279هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة – مصر، ط1، 1419هـ - 1999م.

27- **سير أعلام النبلاء:** شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: د. شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط7، 1410هـ - 1990م.

73- **شرح رياض الصالحين :** محمد بن صالح العثيمين، مكتبة الإيمان، المنصورة – مصر.

74- **شرح العقيدة الطحاوية :** علي بن محمد بن أبي العزّ الحنفي (ت 792هـ)، تحقيق: د.عبد الله التركي، و د.شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط2، 1413هـ – 1993م.

75- **شعب الإيمان :** أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت 458هـ)، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1410هـ – 1990م.

76- **صحيح البخاري:** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الإيمان، المنصورة – مصر، 1423هـ – 2003م.

77- **صحيح الجامع الصغير وزيادته :** محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط3، 1408هـ – 1988م.

78- **صحيح مسلم :** أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)، مكتبة الإيمان، المنصورة – مصر.

79- **صحيح مسلم بشرح النووي:** يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ)، دار الريان، القاهرة – مصر، 1407هـ – 1987م.

80- **صفوة التفاسير:** د.محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة – مصر، ط9.

81- **صفوة الصفوة:** أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت 597هـ)، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة – مصر، 1421هـ – 2000م.

82- **الطبقات الكبرى:** أبو عبد الله محمد بن سعد البصري ، دار صادر، بيروت – لبنان، 1405هـ – 1985م.

83- **العبادة في الإسلام :** د.يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، ط15، 1405هـ – 1985م.

84- **العقائد الإسلامية:** سيد سابق، دار سابق، القاهرة – مصر.

85- **عقيدة التوحيد:** صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار القاسم للنشر، الرياض – السعودية.

86- **العقيدة الصحيحة وما يضادها:** عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مطابع دار طيبة، الرياض – السعودية.

87- **عقيدة المؤمن:** أبو بكر الجزائري، دار الكتب السلفية، القاهرة – مصر، 1405هـ – 1985م.

88- **فتح البيان في مقاصد القرآن:** أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، قدم له : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، 1410هـ – 1989م .

89- **فتح الرحمن شرح ما يلتبس من القرآن:** زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت 925هـ)، تعليق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1424هـ - 2003م.
90- **فتح القدير الجامع بين فنّيّ الرواية والدراية من علم التفسير:** محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1255هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة – مصر، ط3، 1417هـ - 1997م.
91- **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد:** عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت 1285هـ)، تعليق: عبد العزيز بن باز، دار البيان الحديثة، القاهرة – مصر، ط1، 1424هـ - 2003م.
92- **الفقه الإسلامي وأدلته:** د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق – سورية، ط3، 1409هـ - 1989م.
93- **فقه السيرة النبوية:** د.محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق – سورية، ط11، 1412هـ - 1991م.
94- **فقه العبادات:** محمد بن صالح العثيمين (ت 1421هـ)، دار البيان الحديثة، القاهرة – مصر، ط1، 1426هـ - 2005م.
95- **الفوائد:** أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، دار الريان للتراث، القاهرة – مصر، ط1، 1407هـ - 1987م.
96- **في رحاب التفسير:** عبد الحميد بن عبد العزيز محمد كشك (ت 1996م)، مطابع الأهرام التجارية، قليوب، والقاهرة – مصر.
97- **في ظلال القرآن :** سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي (ت 1966م)، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط17، 1412هـ - 1992م.
98- **القاموس المحيط :** مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817هـ)، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة – مصر، ط2، 1372هـ - 1952م.
99- **قبسات من الكتاب والسنة :** د.عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، الرياض – السعودية، ط1، 1415هـ - 1995م.
100- **قبس من نور القرآن الكريم :** د.محمد علي الصابوني، دار السلام، القاهرة – مصر، ط1، 1417هـ - 1997م .
101- **قصة الهداية :** د.عبد الله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة – مصر، ط2، 1405هـ - 1985م.
102- **القيم الخلقية في الإسلام :** د.أحمد ماهر البقري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية – مصر.

103- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :** أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، شرحه وضبطه: يوسف الحمّادي، دار مصر للطباعة، مكتبة مصر، القاهرة – مصر .

104- **الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية):** أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكَفَويْ (ت 1094هـ)، فهرسه: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط2، 1413هـ - 1993م.

105- **كيف ضيعت الأمانة التي خلقنا للوفاء بها:** د.عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، الرياض – السعودية، ط1، 1423هـ - 2002م.

106- **لسان العرب:** أبو الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت 711هـ)، دار صادر، بيروت – لبنان.

107- **لقاء المؤمنين:** د.عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، الرياض – السعودية، ط4، 1414هـ - 1993م.

108- **لمسات بيانية في نصوص التنزيل :** د.فاضل صالح السامرّائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة – مصر، ط2، 1427هـ - 2006م.

109- **مائتا سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية:** حافظ بن أحمد حكمي، دار الإيمان، الإسكندرية – مصر.

110- **ماذا يعني انتمائي للإسلام :** فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، 1397هـ - 1977م.

111- **مباحث في التفسير الموضوعي :** د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق – سورية، ط1، 1410هـ - 1989م.

112- **مباحث في التفسير الموضوعي نظرياً وتطبيقياً :** د.عبد السلام حمدان اللوح، ود.عبد الكريم حمدي الدهشان، مكتبة الطالب – الجامعة الإسلامية، غزة – فلسطين، ط2، 1427هـ - 2007م.

113- **مباحث في علوم القرآن :** مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، ط7، 1410هـ - 1990م.

114- **مجمع البيان في تفسير القرآن :** أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان.

115- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :** نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت 807هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ - 2001م.

116- **مجموع فتاوى ابن تيمية :** أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المشهور بابن تيمية (ت 728هـ)، جمعه: عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة – السعودية، 1389هـ - 1968م.

117- **محاسن التأويل :** محمد جمال الدين القاسمي (ت 1332هـ)، تحقيق: أحمد بن علي، وحمدي صبح، دار الحديث، القاهرة – مصر، 1424هـ - 2003م.

118- **مختار الصحاح :** محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ت 666هـ)، دار الحديث، القاهرة – مصر، ط1، 1421هـ - 2000م.

119- **مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل:** محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط3، 1405هـ - 1985م.

120- **مدارج السالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين):** أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، تحقيق: عماد عامر، دار الحديث، القاهرة – مصر، ط1، 1416 هـ - 1996م.

121- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل:** عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت 710هـ)، ضبطه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ - 1995م.

122- **المدخل إلى التفسير الموضوعي:** د.عبد الستار فتح الله السعيد، دار التوزيع، والنشر الإسلامية، القاهرة – مصر، ط2، 1411هـ - 1991م.

123- **المستدرك على الصحيحين:** أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت 405هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1410هـ - 1990م.

124- **مسند أحمد:** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت 241هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، وحمزة الزين، دار الحديث، القاهرة – مصر، ط1، 1416هـ - 1995م.

125- **مشكاة المصابيح:** محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط3، 1405هـ - 1985م.

126- **مصنف عبد الرزّاق:** أبو بكر عبد الرزاق بن همّام الصنعاني (ت 211هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي.

127- **معارج التفكر ودقائق التدبر:** عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق – سورية، ط1، 1420هـ - 2000م.

128- **معاني القرآن وإعرابه:** أبو إسحاق إبراهيم بن السِّرِّي الزجاج (ت 311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة – مصر، 1424هـ - 2004م.

129- **معترك الأقران في إعجاز القرآن:** جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي (ت 911هـ)، ضبطه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1408هـ – 1988م.

130- **معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م:** كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1،1424هـ – 2003م.

131- **معجم المؤلفين:** عمر رضا كحَّالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

132- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:** محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة – مصر، 1422هـ – 2001م.

133- **معجم مقاييس اللغة:** أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد القزويني ت(395هـ) ، مؤسسة الرسالة – ط2 – 1406هـ –1986م .

134- **المعجم الوسيط :** إبراهيم مصطفى وآخرون، إصدار مجمع اللغة العربية، ط2، 1392هـ – 1972م.

135- **المغني والشرح الكبير على متن المقنع في فقه الإمام أحمد بن حنبل:** أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة (ت 620هـ)،و أبو الفرج شمس الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن قدامة (ت 682) دار الفكر، بيروت – لبنان، 1414هـ – 1994م.

136- **مفردات ألفاظ القرآن:** أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

137- **مقاصد القرآن الكريم :** حسن البنا (ت 1949م)، تحقيق: أحمد سيف الإسلام حسن البنا، دار الوثيقة، الكويت، ط1، 1425هـ – 2004م.

138- **المقتطف من عيون التفاسير:** مصطفى المنصوري، تحقيق:د. محمد علي الصابوني، دار السلام، القاهرة – مصر، ط1، 1417هـ – 1996م.

139- **مناهل العرفان في علوم القرآن :** محمد عبد العظيم الزرقاني ، تحقيق: د.أحمد عيسى المعصراوي، دار السلام، القاهرة – مصر، ط1، 1424هـ – 2003م.

140- **من بلاغة القرآن الكريم :** د.محمد علوان، ود.نعمان علوان، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط2، 1418هـ– 1998م.

141- **منهاج الفرقة الناجية:** محمد بن جميل زينو، مكة المكرمة – السعودية، 1411هـ – 1991م.

142- **منهج القرآن الكريم في عرض قضايا العقيدة:** د.وليد محمد العامودي، مكتبة آفاق، غزة – فلسطين.

143- **من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم** : طه عبد الله العفيفي، دار الاعتصام، القاهرة – مصر.

144- **موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام** : د.عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، الرياض – السعودية، ط3، 1419هـ - 1999م.

145- **الموسوعة الفقهية:** وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية (الكويت)، دار الصفوة للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، ط4، 1414هـ - 1993م.

146- **الموطأ:** الإمام مالك بن أنس (ت 179هـ)، تحقيق: بشار عوّاد معروف، ومحمود محمد خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط2، 1413هـ - 1993م.

147**–نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:** أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885هـ)، خرّجه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط2، 1424هـ - 2003م.

148- **النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز:** أبو الحسن علي بن عيسى الرمّاني (ت 386هـ)، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط4، 1411هـ - 1991م.

149- **النكت والعيون:** أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت 450هـ)، علَّق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

150- **النور الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى:** سليمان محمود، دار الصابوني، القاهرة – مصر.

151- **النية إشراقة في النفس وجمال:** د.عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، الرياض – السعودية، ط1، 1423هـ - 2002م.

152- **النية في الإسلام وبعدها الإنساني:** د.عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، الرياض – السعودية، ط1، 1412هـ - 1992م.

153- **هذا هو الصراط المستقيم فاتبعوه:** د.عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، الرياض – السعودية، ط1، 1423هـ - 2002م.

***مواقع الكترونية :**

1- **موقع السنة :** WWW.alsunna.org/ghummari.htm

2- **مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة :** WWW.iuedu.sa/magazine

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير.	أ
مقدمة.	ج
أسباب اختيار الموضوع.	د
الدراسات السابقة.	د
أهداف البحث.	هـ
منهج الباحث.	هـ
خطة البحث.	ز
الفصل الأول **وقفات حول السورة**	
المبحث الأول: بين يدي السورة.	2
المطلب الأول: أسماء السورة.	3
أولاً: الأسماء التوقيفية.	3
ثانياً: الأسماء الإجتهادية.	6
المطلب الثاني: عدد آيات السورة وزمن نزولها.	9
أولاً: عدد آيات السورة.	9
ثانياً: زمن نزول السورة.	10
المطلب الثالث: أغراض السورة ومحتوياتها .	12
المطلب الرابع: المعنى الإجمالي للسورة .	13
المطلب الخامس: فضل السورة.	16
المطلب السادس: ما قيل في سبب نزول السورة والظروف التي نزلت فيها .	19
أولاً: ما قيل في سبب نزول السورة.	19
ثانياً: الظروف التي نزلت فيها السورة.	20
المبحث الثاني: المناسبات في سورة الفاتحة.	22
المطلب الأول: تعريف بعلم المناسبات وأهميته.	23
أولاً: تعريف علم المناسبات.	23
ثانياً: أهمية علم المناسبات.	25

المطلب الثاني: مناسبة سورة الفاتحة مع سورة البقرة.	28
أولاً: المناسبة بين السورتين في الصدر.	28
ثانياً: المناسبة بين السورتين في المضمون.	28
ثالثاً: مناسبة خاتمة سورة الفاتحة مع صدر سورة البقرة.	30
المطلب الثالث: مناسبة آيات سورة الفاتحة مع بعضها البعض.	31
المطلب الرابع: علاقة السورة بالسور المفتتحة بقوله:(الحمد لله).	34
المطلب الخامس: علاقة السورة بالمقاصد العامة للقرآن الكريم.	36
أولاً: القرآن كتاب هداية الإنس والجن.	36
ثانياً: القرآن كتاب إعجاز.	37
ثالثاً: القرآن أنزل ليتعبد الخلق بتلاوته.	38
رابعاً: القرآن الكريم فيه علوم عظيمة.	38
الفصل الثاني **التفسير الموضوعي لسورة الفاتحة**	
المبحث الأول : تعريف التفسير الموضوعي وألوانه وبيان أهميته.	41
أولاً: تعريف التفسير الموضوعي .	41
ثانياً: ألوان التفسير الموضوعي .	42
ثالثاً: أهمية التفسير الموضوعي.	45
المبحث الثاني : المحور الرئيس والقضايا الفرعية في السورة.	47
المطلب الأول: المحور الرئيس في السورة.	47
المطلب الثاني: القضايا الفرعية في السورة وعلاقتها بالمحور الرئيس.	50
القضية الأولى: التوحيد وعلاقته بمحور السورة.	50
القضية الثانية: الشريعة وعلاقتها بمحور السورة.	53
القضية الثالثة: الأخلاق وعلاقتها بمحور بالسورة.	55
القضية الرابعة: بيان أحوال الأمم وعلاقته بمحور السورة.	57
المبحث الثالث : أهمّ الموضوعات التي تناولتها السورة.	59
المطلب الأول: حمد الله تعالى على آلائه.	60
الفرع الأول: آية الحمد في السورة.	61
الفرع الثاني: حقيقة الحمد لله تعالى وفضله.	63

أولاً: حقيقة الحمد لله تعالى.	63
ثانياً: فضل الحمد.	65
الفرع الثالث: الفرق بين الحمد والشكر والمدح في المعنى.	68
المطلب الثاني: أدلة التوحيد في السورة.	71
الفرع الأول: تعريف التوحيد لغة واصطلاحاً.	72
الفرع الثاني: أنواع التوحيد كما تعرضه السورة.	73
أولاً: توحيد الربوبية.	73
ثانياً: توحيد الألوهية.	75
ثالثا: توحيد الأسماء والصفات.	77
الفرع الثالث: بعض صور الانحراف عن التوحيد الصحيح.	80
أولاً: الهوى.	80
ثانياً: أنداد من دون الله.	80
ثالثا: أصنام وأوثان من الحجارة وغيرها.	81
رابعاً: عبادة رجل ذي ملك وسلطان.	81
خامساً: عبادة الشيطان.	82
سادساً: التقليد الأعمى.	83
النوع الرابع: أهمية أنواع التوحيد الثلاثة.	84
المطلب الثالث: الإيمان بيوم الدين.	87
الفرع الأول: حقيقة يوم الدين.	88
الفرع الثاني: أهمية وفضل الإيمان بيوم الدين.	90
الفرع الثالث: أسماء يوم الدين.	93
الفرع الرابع: بعض القضايا التي تتعلق بـــ(يوم الدين).	97
المطلب الرابع: عبادة الله والاستعانة به.	99
الفرع الأول: حقيقة العبادة والاستعانة.	100
أولاً: حقيقة العبادة.	100
ثانياً: حقيقة الاستعانة.	102
الفرع الثاني: منزلة العبادة والاستعانة.	103
أولاً: منزلة العبادة.	103
ثانياً: منزلة الاستعانة بالله.	104

الفرع الثالث: مجالات العبادة في الإسلام.	107
أولاً: شمول العبادة لجميع أمور الدين.	107
ثانياً: شمول العبادة لحياة الإنسان كلها.	107
الفرع الرابع: بعض القضايا التي تتعلق بالعبادة والاستعانة.	109
أولاً: بعض القضايا التي تتعلق بالعبادة.	109
ثانياً: بعض القضايا التي تتعلق بالاستعانة.	113
المطلب الخامس: هداية الله للإنسان.	118
الفرع الأول: حقيقة الهداية ومعناها في سورة الفاتحة.	119
الفرع الثاني: بعض القضايا التي تتعلق بالهداية.	122
الفرع الثالث: أسباب الهداية التي وهبها الله للإنسان.	127
المطلب السادس: الاعتصام والتمسّك بالصراط المستقيم.	130
الفرع الأول: تعريف الصراط المستقيم وحقيقته.	131
الفرع الثاني: أهمية الاهتداء إلى الصراط المستقيم.	133
الفرع الثالث: بيان من أنعم الله عليهم وفضل اتباعهم.	135
الفصل الثالث **القواعد والمسائل والفوائد العامة المستنبطة من السورة**	
المبحث الأول: القواعد الإيمانية في هذه السورة.	138
المطلب الأول: إخلاص النية لله تعالى.	139
المطلب الثاني: الدعاء وحسن التوجّه إلى الله تعالى.	143
المطلب الثالث: بناء الأمة المسلمة الواحدة على الصراط المستقيم.	145
المطلب الرابع: التحذير من اتباع طريق اليهود والنصارى.	147
المبحث الثاني: المسائل الفقهية العامة المستنبطة من السورة.	150
المطلب الأول: المسائل الفقهية المتعلقة بالبسملة فقط.	151
أولاً : آراء العلماء في البسملة .	151
ثانياً : كيفية قراءة البسملة في الصلاة .	154
ثالثاً : حكم قراءة البسملة للحائض و النفساء و الجنب .	155
المطلب الثاني: المسائل الفقهية المتعلقة بالسورة كلها.	158
أولاً : حكم قراءة الفاتحة في الصلاة .	158

ثانياً : حكم قراءة الفاتحة على المقتدي خلف الإمام .	159
ثالثاً : حكم من فاتته سورة الفاتحة و أدرك الإمام راكعاً .	161
رابعاً : حكم قراءة الفاتحة في كل ركعة في الصلاة .	161
خامساً : حكم من لم يستطع تعلم سورة الفاتحة .	162
سادساً : حكم صلاة من قراءة الفاتحة بغير العربية .	164
سابعاً : حكم من يُلحن بقراءة الفاتحة	164
ثامناً : حكم التأمين للمصلي ...	165
تاسعاً : كيفية التأمين بعد الفاتحة .	166
عاشراً : أقوال العلماء في اختلافهم في الجهر بالتأمين للمأموم ...	167
المبحث الثالث: الفوائد واللطائف العامة المستنبطة من السورة.	168
المطلب الأول: الفوائد واللطائف من البسملة.	169
المطلب الثاني: الفوائد واللطائف من الحمد لله رب العالمين.	174
المطلب الثالث: الفوائد واللطائف من الرحمن الرحيم.	177
المطلب الرابع: الفوائد واللطائف من مالك يوم الدين.	181
المطلب الخامس: الفوائد واللطائف من إياك نعبد وإياك نستعين.	184
المطلب السادس: الفوائد واللطائف من اهدنا الصراط المستقيم.	188
المطلب السابع: الفوائد واللطائف من صراط الذين أنعمت عليهم.	191
المطلب الثامن: الفوائد واللطائف من غير المغضوب عليهم ولا الضالين.	194
المطلب التاسع: الفوائد واللطائف الإعجازية في السورة كلها.	198
الخاتمة.	201
الفهارس العامة .	203
أولاً: فهرس الآيات القرآنية.	204
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.	216
ثالثاً: فهرس الأعلام المُتَرْجَم لهم في الرسالة.	221
رابعاً: ثبت المصادر والمراجع.	223
خامساً: فهرس الموضوعات.	234
ملخص الرسالة باللغة الانجليزية.	*

Abstract

Thanks to Allah, the Greatest, who bestowed upon me to accomplish this study which supported me with a chance to live in fragrant and faithful moments.

Thus, I am going to present a concise that each chapter in this study tackles: Besides, I will state some of the significant results that I could find out:

- Chapter1:

It tackles stations that the *Sura* (*Al-Fateha* as a chapter of the *Holy Koran*) stopped at. This is through identifying its names, number of its verses, time of descending, targets and contents, general idea, merits, cause of descending, atmosphere of descending, relation to the following *Sura,* occasion of its verses and stanzas, its relation to the *Suras* opened by *Al-Hamdu lellah* (Thanks to Allah) and its relation to the general meanings of the Holly Koran.

Some results in this chapter are as follows:

- Identifying the names of this *Sura*: Both of *Tawqeefiya* and *Ijtihadeya* names.
- Finding out that the *Sura* was descended in the first stage of the Islamic *Da'wah* (Call), id est. the Secret Call.
- Coming up with the sincere relationship existed between the *Sura* and the general meanings and targets of the Holy Koran.

- Chapter 2:

It constitutes the essence of this study, as it tackles the objective interpretation for *Al-Fateha Sura*. This is by defining the objective interpretation, pinpointing its importance, clarifying the main core of the *Sura* and its secondary issues with relation to the main core of it. Besides, it tackles the most important subjects that the *Sura* presents.

Some results in this chapter are as follows:

- Coming up with the fact that the Sura with its all verses revolve around the main core which is fixing and acknowledgement of worship to Allah, the Highest.
- Pinpointing the fact of the Day of Judgment, its names, importance and merits.

- Chapter 3:

It tackles the bases, the questions and general benefits derived from the *Sura*. Some of which are faithful bases, such as: Praying to Allah, building up the one Moslem nation, following the straight way to heaven and warning of following and tracing the way of Jews and Christians. Some of which are juristical questions concerned with the utterance of "In the name of Allah, the Compassionate, the Merciful" and all of the *Sura*. And some of which are benefits derived from each verse of the *Sura* aside and in the *Sura* as a whole.

Some results in this Chapter are as follows:

- Pointing out that the Jews are meant by as mentioned in Quran "Those whose (portion) is not wrath" and the Christians are meant by "who go not astray".
- Identifying some aspects of the miraculous, wondrous nature and rhetorical inimitability of the *Sura*.